مجلة سورية شهرية
العدد 13 نوفمبر - تشرين الثاني 2014

بناة المستقبل

متلازمة الفقر والأمية في سوريا

مهرجات سينما الموبايل

ذاكرة شهيد - وسام الجزائري

إياد قدسي لبناة المستقبل:

لن نكون تاجر البندقية من جديد

عودة إلى المصير المشترك
أحمد برقاوي

الحذر الغربي تجاه الربيع العربي
خطار أبو دياب

الاستبداد يولّد الإرهاب
رياض نعسان آغا

السويداء بين الهوية والمعتقد
جبر الشوفي

ولا تموت الذكريات فاضل السباعي

شريط الرجم محمد حبش

حبل السرة الإسرائيلي يحيى العريضي

وشم المواطنين السوريين ابراهيم الجبين

الشتاء والمازوت وأحوال السوريين

المعارضة السورية المعتدلة
رهان المجتمع الدولي

الحكومة وضرورة الاستراتيجيات

من يدخل تجربة العمل العام، في خدمة الشعب وتلبية احتياجاته، لا يعود قادراً على تضييع لحظة واحدة في نزاعات هامشية على المكاسب الشخصية السياسية، ولا يحرّك فيه ساكن الصراع والتنافس على أي رقعة سياسية، فيتوجب أن ينصبّ الجهد على العمل المخلص أكثر من أي شيء آخر.

وما قدمته الحكومة السورية المؤقتة، حتى اليوم، بأخطائه وإيجابيته، يعتبر مؤشراً هاماً على جدية العاملين فيها، بعضهم أو غالبيتهم لا فرق، ورغبتهم في إنجاز شيء ما، يتحقق به الهدف من تشكيل تلك الحكومة، وإن الاستفادة من أشكال ونظم الحكم التي تم تطبيقها عالمياً في ظروف مشابهة لما مرّت وتمرّ به سوريا، لهو الخطوة الأولى في طريق وضع الخطط المناسبة للعمل الحكومي في حكومة سورية مؤقتة تتحمل المسؤوليات، وتدير الأرض ضمن المعطيات المتوافرة أمنياً وعسكرياً واقتصادياً وسياسياً.

وفي هذا المجال لابدّ من دراسة كافة الأوجه التي تم بها اعتماد خطط للخروج من الاستعصاءات على كافة المجالات في حالات الحرب وما بعدها، كالحالة الألمانية، والحالة اليابانية، وغيرهما، ولذلك كان علينا البحث في ما يمكن استحضاره من الأساليب الذكية، ممكنة التطبيق، والأخرى المبتكرة التي يتطلب الوضع السوري التوصّل إليها بحكم خصوصية الحالة السورية.

وما يمكن الوقوف عنده من خلال العمل المباشر في تجربة حكومة سورية معارضة مؤقتة لعام كامل، يطرح الكثير من الأسئلة، والكثير من الإجابات عليها، بحيث لا يمكن التسليم بغموض أي من جوانب العمل التي يرفع كثيرون أصواتهم باستحالة حلّها كمشكلات واجهت شخصيات في موقع القرار وأوصلت عملهم إلى العجز أو الخطأ أو الفشل، بمقابل نجاح آخرين في إدارة مشاريع الحكومة على الصعد كافة، وهذا يعطي مؤشرات مطمئنة إلى أن المشكلة تكمن في طبيعة الاستراتيجيات المطبقة، إن كان قد تم اعتماد مثل تلك الاستراتيجيات أساساً وعدم الاكتفاء بالارتجال في اتخاذ القرار وإدارة الحقل المعني.

ويتوجّب التنويه إلى ضرورة تكريس الفصل ما بين السياسي والخدمي، في عمل الحكومة، ما يجعل منها جهازاً لخدمة الشعب السوري وليس للدخول في التجاذبات والتنافس حتى لو كان هذا التنافس ديمقراطياً، ولابد من التأكيد على صعوبات كبيرة تواجه عمل أية حكومة يمكن تشكيلها، تتمثل في أن تلك الحكومة تعمل على أرض غير أرضها، في الوقت الذي يجري تكليفها بإدارة شؤون أرضٍ ليست آمنة، ويمكن لأي مشروع من مشاريع الحكومة أن ينهار في أية لحظة تحت القصف أو الاجتياح أو التخريب، علاوة على مشكلة الموارد، فاليوم، لا تسيطر الحكومة المؤقتة على موارد سوريا، من النفط والفوسفات والمياه وبقية الثروات، كما أنها في ظل انعدام الأمن تعاني من عدم الإمساك بزمام الثروات الحيوانية والزراعية، ولا يملك السوريون منذ أربع سنوات سوى الدعم الدولي والمساعدات التي يقدّمها أصدقاء الشعب السوري، أما المشكلة الثالثة فتتمثل في الموارد البشرية، مع اعتزازنا بالمواطن السوري، الذي يتمتع بالكفاءة والقدرات المميزة، والذي أثبت ذاته في غير موقع على مستوى العالم، إلا أننا يجب ألا نغفل عن النظر إلى أمرين هامين للغاية، كون هذا المواطن يعيش في حالة حرب غير طبيعية تفرض عليه التفكير والتصرّف بطريقة غير طبيعية، أقرب إلى الاحتياج الدائم للمساعدة، والتعوّد على هذا الاحتياج، بحيث يتناقص عنده الدافع إلى العمل المباشر والذاتي، في ظل وجود من يقدّم تلك المساعدات، وفي هذا يتساوى الجريح مع الطفل مع المرأة مع الشيخ مع الشاب الذي يفترض به أن يحمل مسؤوليات كل من سبقه، و البيئة التي خرج منها السوريون في ظل هيمنة النظام على نواحي الحياة كافة، والتدريب المتواصل للسوريين على الاتكال على الدولة في كل شيء، وشيوع فلسفة ابتزاز الدولة عبر المهمات والمكافآت والتمييز بين العاملين على أسس غير مهنية، مما خلق ذهنية عمل مشوّهة، تعجز عن العمل في بيئة مختلفة ذات شروط موضوعية وليست قائمة على المحسوبيات والقرابات والولاء بدلاً عن الأداء.

لكن مواجهة هذا كلّه، حتمية، ولا مفرّ منها، وعلى السوريين التحلي بالواقعية في معالجة مشكلاتهم، دون توهّم ما ليس موجوداً لديهم من إمكانات أو موارد، والتحدي الحقيقي هو في تحويل الواقع الفقير الذي تعيشه الثورة السورية إلى غنى حقيقي وإنجاز كبير يخدم الإنسان وحياته ومبادئه.

Syrian Revolution - Photography

فهرس

بناة المستقبل

مجلة سورية شهرية

تصدر برعاية

م. وليد الزعبي

ترحب المجلة بالمقالات والآراء والدراسات والنصوص الأدبية التي تتناول الشأن السوري وترصد حاضر الثورة السورية ومستقبلها

ترسل المواد إلى بريد المجلة الإلكتروني

الموقع الإلكتروني:

www.bof-sy.com

البريد الإلكتروني:

info@bof-sy.com

الإخراج الفني

مهيار الدمشقي

جميع الحقوق محفوظة ويسمح بالنسخ والنقل وإعادة النشر مع الاشارة إلى المصدر

الآراء والمقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

في النظرية السياسية للإسلام — 30
رياض درار

الهيئات الإغاثية بين الثورة والثروة — 66
أحمد سليمان الناصر

بين ربيع براغ وربيع البوعزيزي — 34
ميساء آق بيق

سأعيش في تاكاموندو — 100
نجم الدين السمان

حوار مع موفق نيربية — 10

إياد قدسي — 6

مؤنس البخاري — 76
استراتيجية القصف العشوائي

ثائر الزعزوع — 64
دير الزور مدينة لا تعرف كيف تموت

د. هنادي الشوا — 54
الشخصية المستباحة للشخصية المضادة للمجتمع

متى سينهك السوريون من ثورتهم — 42
عارف حمزة

المنفى ليس قصيدة — 88
علي سفر

الرواد الأحرار — 98
نجيب الريس

حلب والمدن المستباحة — 60
فؤاد المداد

الخلاف الإيديولوجي بين جبهة النصرة والجيش الحر — 78
أحمد الدوري

إياد القدسي لبناة المستقبل:

لن نعيد تجسيد تاجر البندقية ونقتطع من لحمنا السوري

أكد نائب رئيس الحكومة السورية المؤقتة إياد القدسي أن الأقليات ليست هي وحدها؛ وليست هي كلها من يدافع عن النظام؛ فهناك شريحة من الأغلبية أيضاً تقف مع نظام الأسد.... بل و تدعمه، وقال في حوار مع بناة المستقبل: « التنظيمات الإرهابية هي صنيعة النظام في الأساس وقد كبرت مثل استبداد النظام الى درجة التغوّل»، وأشار إلى أن قرار انسحابه من انتخابات رئاسة الحكومة المؤقتة ليس له علاقة بأي تجاذبات دولية أو إقليمية، وأن المسؤولية الملقاة على عاتق الحكومة المؤقتة كانت أكبر بكثير من الموارد المتاحة.

حاوره: وائل سليمان

ما هي الظروف التي ترافقت مع انسحابكم من الترشّح لرئاسة الحكومة المؤقتة، وهل تأثّر قرار انسحابكم بالتجاذبات الإقليمية والدولية؟

كانت رغبتي بالوصول إلى تفاهم وتوافق يجنب المعارضة السورية أيّ انقسام أو تجاذبات لن تخدم في هذه المرحلة سوى نظام الاستبداد والإجرام. وحرصاً منّي على عدم الخوض في تجاذبات الكتل السياسية؛ ومن كوني مرشحاً ديموقراطياً مستقلاً فضّلت ان أبقى مستقلاً حتى في قراري بالانسحاب. ولا علاقة لهذا بأيّ تجاذبات دوليه أو إقليمية.

هل توفّرت لحكومة طعمة الأولى الظروف المناسبة لكي تنفذ مشروعها الذي أعلنت عنه، وما هي أهم العقبات التي حالت دون تنفيذ برنامجكم الحكومي؟

عندما تعرف العقبات التي مرت على الحكومة السابقة تجد جواب الشق الأول بالنفي: فعدم وجود خطة استراتيجية واضحة للحكومة وعدم إقرار وثيقة عمل توضح علاقة الائتلاف والحكومة وعدم التمكن من وجود مشكلات تتعلق بالتمويل حيث أن المسؤولية الملقاة على عاتق الحكومة المؤقتة كانت أكبر بكثير من الموارد المتاحة. فالحكومة لم تحظى بفرصة كافية لتطوير الجانب القانوني والإداري والعلاقات مع الداخل. سيما ان ضعف التواصل الناتج عن ضعف التمويل والتقصير الإداري أدى الى احباط السوريين.

لعل إجابتي عن الشطر الثاني من السؤال قد أعطتك فكرة واضحة عن وجهة نظري في الظروف التي لم تساعد الحكومة على تنفيذ مشروعها.

- هل تعتقد أن العلاقة بين الحكومة المؤقتة، والائتلاف الوطني علاقة واضحة المعالم، وتلتزم بمحددات واضحة، أم يسودها التداخل في الصلاحيات، والمهام، وماذا يدل غياب وزارة للخارجية عن الحكومة السابقة، وهل تتوقع إيجاد وزارة للخارجية في الحكومة القادمة؟

حتى اللحظة لم تقر الوثيقة التي توضح العلاقة بين الحكومة والائتلاف؛ وهذا بحد ذاته مشكلة تعانيها الحكومة؛ رغم أنى قد عرّفت في برنامجي الانتخابي بأن الحكومة السورية هي السلطة التنفيذية التي تقوم بتسيير شؤون الدولة في جميع الأراضي السورية ومرجعيتها السياسية هي الائتلاف؛ إلا أن هذا لا يعني عدم وجود هيئة خارجية في الحكومة « وزارة خارجية » تنفذ آلية عمل الائتلاف الخارجية؛ وتُساهم في تأمين الدعم والتمويل للحكومة وتسعى للحصول على اعتراف دولي؛ ونذكر في هذا الاطار المادة 30 الفقرة 4 التي تنص على اختصاص الحكومة بتسيير وتنفيذ السياسة الخاصة وتنظيم العلاقات مع كافة الدول والمنظمات الدولية والإقليمية وتمثيل الشعب السوري امامها وفي حال عدم البت بالوثيقة الناظمة فعلينا أن نُقرَّ بأننا سنبقى ندور في حلقة مفرغة بعيدين عن تحقيق حلم كلّ سوري بإسقاط نظام الأسد؛ لأننا لن نستطع أن نحصل لا على الاعتراف الدولي ولا على التمثيل الدبلوماسي.

- الائتلاف الوطني، اليوم وبعد أكثر من عامين على تأسيسيه، هل ترى من الضروري إعادة تشكيل جسم معارض جديد أم إعادة إصلاح جسم الائتلاف، وما هي أهم الانجازات التي ترى أن الائتلاف حققها؟

كنت ومازلت اطالب بوجود جسم وطني موحد يمثل الشعب السوري الثائر بجميع أطيافه ويسعى لتحقيق اهداف الثورة والسعي لإعادة بناء الإنسان السوري العظيم والتمهيد لقيام دولة مدنية دمقراطية تعددية دولة العدالة والقانون. علما أن المجلس الوطني ومن بعده الائتلاف، نشأ نتيجة تقاطع ظروف داخلية سورية ومناخ إقليمي ودولي؛ لهذا، من المبكر جداً الحديث عن أيّ هيئة سورية جديدة أو بديلة مالم تتوفر لها ظروف تساعد على انتاجها والاعتراف بها؛ الآن لدينا ائتلاف و طني لقوى المعارضة السورية؛ وهو الجهة المعترف بها دولياً وإقليمياً برغم ما فيه من نواقص وجّاذبات؛ ونحن مطالبون كسوريين سواء كنا داخل هذا الائتلاف أو خارجه أن نشير الى النواقص في عمله لنتجاوزها؛ وأن نتداول كلّ رأي؛ وحين تتبلور كلّ التقاطعات عن جسد جديد يمثل السوريين و ثورتهم سيكون لنا أيضاً رأينا المستقل في آلياته وتحالفاته وتمثيله للسوريين؛ بما يتجاوز ما قد سبقه؛ فما فائدة ان نطلق اسماً جديداً ولكن بذات المضامين.

> حتى هذه اللحظة لم تقر الوثيقة التي توضح العلاقة بين الحكومة والائتلاف؛ وهذا بحد ذاته مشكلة تعانيها الحكومة.

تنظيم الدولة "داعش" بات يحتل المشهد السياسي، ومعه تتوسع دائرة المسألة السورية، التي شهدت مؤخراً افتتاح جبهة للتنظيم في عين العرب - كوباني، تلك الجبهة التي عكست موقف النظام الحقيقي من الأقليات، ما هي الرسالة التي تود توضيحها للأقليات التي ما تزال تقف إلى جانب نظام بشار الأسد.

علينا ان نعترف بأن الأقليات ليست هي وحدها؛ وليست هي كلها من يدافع عن النظام؛ فهناك شريحة من الأغلبية أيضاً تقف مع نظام الأسد.... بل و تدعمه؛ وللأقليات كل الحق في التخوف من الانضمام الى صفوف المعارضة بشكل كامل؛ و بخاصة حين تتعالى اصوات دموية تطالب بإفنائها؛ علينا كوطنيين سوريين معارضين لاستبداد النظام ولكل استبداد سواه؛ أن نكسب ثقة الشعب السوري بكل أطيافه؛ وبخاصة الذين لم تتلوث يدهم بالدم السوري وهم كثيرون .ما بين صامت و مُرغمٍ على اعلان الولاء من بين الاقليات والأغلبية سواءً بسواء ممن همٍ في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام الأسدي؛ لأننا نسعى لبناء سورية جديدة حرة ولكل السوريين؛ وجمال بلدنا سوريا عبر التاريخ يكمن في تعددها لا في أحاديتها؛ سواء كانت أحادية الحزب والقائد والوريث؛ أو أحادية تكفير الآخرين لأنهم آخرين فقط؛ و أعلم ان التنظيمات الإرهابية هي صنيعة النظام في الأساس وقد كبرت مثل استبداد النظام الى درجة التغوّل؛ وأعلم ان الكثير من الأقليات يتمنون سقوط الأسد.. كما أن عدداً منهم قد خرج وقال: لا؛ وهناك من ينتظر اللحظة المناسبة للخروج؛ من غير أن ننسى بأن الأسد الأب والأسد الابن قد مارسا استبداداً مزدوجاً على هذه الأقليات؛ حين حاول انتزاعها من الفسيفساء السورية لصالح عرشه ولتوريث عرشه فيما بعد؛ ونحن كمعارضة لم نطور خطابنا السياسي مع الأسف لبث الطمأنينة في قلوبهم.

سوريا خسرت أفضل شبابها في متراس الحرب الاسدية؛ فبالإضافة الى أكثر من 250 ألف من شهداء الجيش الحرّ و شهداء القصف والشهداء تحت التعذيب في الأقبية الأمنية الأسدية؛ فقدت سوريا أيضاً أكثر من 60 ألف جندي من جميع الأطياف السورية؛ أغلبهم من الملتحقين إجبارياً بالخدمة الإلزامية؛ و حتى نحن كمعارضة لم نستطع تأمين عيشٍ لائقٍ ولو في الحد الأدنى لمن انشق عن جيش النظام أو لعائلته.

> سوريا خسرت أفضل شبابها في متراس الحرب الاسدية؛ بالإضافة الى أكثر من 250 ألف من شهداء الجيش الحرّ و شهداء القصف والشهداء تحت التعذيب في الأقبية الأمنية الأسدية.

- مؤخراً، تناقلت وسائل الإعلام أنباء تفيد بحصول بشار الأسد على قرض مالي جديد من روسيا، ما هي أسباب استمرار المد الروسي للنظام مالياً، وهل تعتقد أن روسيا وإيران تسعيان من وراء تقديم القروض، الحصول على موقع أم امتياز لدى أي حكومة تأتي بعد بشار الأسد، وهل ستقبل أي حكومة أو نظام بعد الأسد سد ديون النظام التي اقترضها لقتل أبناء الشعب السوري؟

من الطبيعي بعد أربع سنوات مثل التي مرت على السوريين أن تجعل دولة متقدمة اقتصادياً تترنح مالياً؛ فكيف الحال مع نظام نهبَ الدولة السورية والشعب السوري طيلة 44 عاماً بشكلٍ منتظم ومنهجي؛ والنتيجة المنطقية أن يلجأ نظام القتل الأسدي برغم كل الدعم المالي الايراني الى الاقتراض من روسيا؛ ولكن دولة مثل روسيا لا تُقرض الاموال هكذا لوجه الله تعالى؛ بل ان ثلاثة ارباع قرضها هو لشراء اسلحة روسية جديدة ظهر بعضها في المعارك مؤرخاً؛ كما أن روسيا لا تقرض من غير كفيل؛ و الكفيل هو النظام الايراني بالطبع؛ فما شأن الشعب السوري بسداده حين يسقط النظام؛ بل كيف لشعب أن يسدد قرضاً تم فيه تسويق أسلحة روسية لقتله؛ لن نعيد تجسيد مسرحية تاجر البندقية و نقتطع من لحمنا السوري لتسديد هذا القرض بالطبع؛ ولن تدفع ايران فقط هذا القرض وفوائده؛ بل انها ستدفع تلقائياً ثمن كل سياسات نظامها في المنطقة العربية بأكملها.. ولو بعد حين.

المعارض السوري
موفق نيربية

لبناة المستقبل:

لن نسكت بعد اليوم!
واجبنا رفع مستوى الحس بالمسؤولية الوطنية، ومحاربة كل ما أنتجه استنقاع الثورة من تفرد وتسلط وإقصاء ومحسوبية وتوظيف للفساد والمال السياسي.

حاوره: عبد الحاج

مجلة بناة المستقبل ألتقت بالاستاذ موفق نيربية المعارض السوري في أوربا فكان الحديث التالي عن وضع الثورة السورية الراهن و مستقبلها خاصةً مع اشتداد وطأة العنف الممارس من قبل النظام و من قبل تنظيم الدولة الإسلامية المعروفة إعلامياً ب(داعش).

- بعد إقالة الحكومة المؤقتة برئاسة الدكتور احمد طعمة، وإعادة تكليفه من جديد، أين وصلت الأمور الان؟

لم تكن إقالة الحكومة خطوة موفقة برأيي ورأي من كانوا الأقلية في اجتماعات الائتلاف الأخيرة. لقد دعيت الهيئة العامة إلى اجتماع خاص من أجل ذلك بعد عشرة أيام من الانتخابات، وهذا تسرع غير محمود ومصاريف غير مبررة تماماً. وفي حين أن هنالك من الملاحظات على عمل الحكومة- القصير- ما يمكن أن يملأ ملفات كثيرة، نحن قادرون على تجميع مثلها، وبمضمون أكثر جذرية من تلك التي أثيرت؛ فإن» الموضوع» الأكثر إلحاحاً وفعلاً كان إصلاح الائتلاف ذاته، وهو السبب الكامن وراء ضعف أداء الحكومة، وبالمعنى المباشر، فإن الائتلاف لم يضع نظاماً للعلاقة بين الحكومة وبين مؤسساته، الأمر الذي يضع لها معايير ومحددات للعمل.. وأهملها وتسقط أخطاءها، بل إن رئيس الائتلاف السابق لم يجتمع بالحكومة مرة واحدة خلال عام كامل، ولم يدعم تمويلها كما ينبغي ويجب.. فهي عملت

انتخب موفق نيربية عضوا في الأمانة العامة للمجلس الوطني لإعلان دمشق وبقي فيها حتى 11/ 2012.

وهو عضو في المكتب التنفيذي لحركة مواطنة منذ صيف 2012، خرج من سورية أوائل شباط 2013، ثم انضم للائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، وانتخب عضوا بالهيئة السياسية للائتلاف. وظهر اسمه كمرشح عن "الكتلة الديموقراطية" على رئاسة الائتلاف، وحصل على 41 صوتاً، وفاز منافسه رئيس الائتلاف الجديد هادي البحرة الذي حصل على 62 صوتاً.

على تأمين مبلغ محدود من الشقيقة قطر ثم أخذت بتنظيم صرفه وحسب.. ثم نطالبها بميزانية أصولية على غرار الحكومات العادية، ونطالبها بتغطية نفقات تحتاج إلى أضعاف أضعاف ما لديها.

الآن، أقيلت الحكومة وانتهينا، نعمل على ألا تكون الفترة الفاصلة فشلاً جديداً، ونعمل على ألا تكون الحكومة الجديدة مجرد محاصصة وتقاسم للمناصب أو غطاء لسلطات قد يكون ضرب الائتلاف هدفاً لها،قد ننجح وقد نفشل، لكننا لن نسكت بعد اليوم! واجبنا رفع مستوى الحس بالمسؤولية الوطنية، ومحاربة كل ما أنتجه استنقاع الثورة من تفرد وتسلط وإقصاء ومحسوبية وتوظيف للفساد والمال السياسي، واجبنا ان نعمل على استعادة ألق الثورة ووهجها الحي!

- في نظركم ما هي الأولويات التي يمكن أن تشتغل عليها الهيئة السياسية الحالية في الائتلاف؟ وماذا عن المبادرات التي تتحدث عن محاولة أقصاء الائتلاف من الحياة السياسة و إستبداله بجسم سياسي أخر؟

بداية، لا تعكس بنية الهيئة السياسية بشكل جيد جميع العناصر اللازمة لصنع القرار، إذ ليس في عدادها شخصيات وقادة كتل عديدين، وهؤلاء ينبغي لهم العمل المشترك - أو بالتوازي الإيجابي- مع الهيئة السياسية: صاحبة القرار؛ لتحسين

قرارها وفاعليتها. وأول ما يجب على الهيئة السياسية بلورة رؤية سياسية تنطلق مما طرح في الاجتماعات الأخيرة، وأهمها تطوير علاقة عضوية متماسكة مع الداخل بعسكره وتجمعاته السياسية والمدنية ومجالسه المحلية، ثم إعادة تشكيل السياسة الخارجية لإخراجها من إسار الارتهان هنا وهناك، وتعزيز احترام سوريا وثورتها والائتلاف معاً. وكذلك نفض السياسة الإعلامية التي أثبتت قصورها حتى الآن.. وتوجيه الطاقة إلى أهلنا في المنافي والمخيمات، بمنتهى الشفافية والصدق والحركة المتناغمة الواحدة.

الائتلاف ينبغي النظر اليه على انه إطار للعمل المشترك بين أطراف الثورة والمعارضة لا كطرف معارض بحد ذاته. تحوله الى طرف، بسبب الارتهان او بسبب تسلط البعض على الكلّ فيه، لا يؤدي الى فشل الإطار وحسب بل الى فشل اكبر وأوسع منه، والى إطالة أمد سفك الدم السوري.

لقد ولد الائتلاف حاملاً لعاهات تلغم وجوده، ثم تطور في مناخ سيئ من التفرد والإقصاء والفساد.. لكنه ما زال البنية السياسية الشرعية بتمثيلها لشعبنا، وبقبولها من أصدقائنا.. فنحن مطالبون، ليس بالحفاظ عليها الآن، بل بنقدها وتطويرها، إلى أن يخلق الله أمراً كان مفعولا!

يعمل اليوم على إنهاء الائتلاف وإيجاد بدائل له نوعان من الجماعات: أولها أولئك المستبعدون منه أو من الذين سئموا من حالته المزرية، وثانيها أولئك الذين يريدون تعزيز نوع من الهيمنة العصبوية التي تكرس كل سلبيات الوضع الراهن.. وتحويلها مما يشبه فوضى الجريمة، إلى حالة الجريمة المنظمة... ونحاول استيعاب الخطين أو إفشالهما حسب واقع الحال. ينقصنا المزيد من تفهم شعبنا وفاعليته فيما يجري، لذلك نصر على أولوية الداخل» كما نفهمه!

- بعد التغيير الذي أصاب بعض البلدان العربية، وظهور صوت أصولي متطرف ، إضافة لسوء التأويل من قبل التيارات العنصرية في الوعي الغربي، للأ سلام، أدى إلى "مشكلة فهم" للربيع العربي تكاد تكون عالمية وشاملة، برأيك كيف يمكننا أعادة أنتاج خطاب ديني وسطي ، يواجه أتهامات الغرب لنا بالتطرف؟

يجب ألا ننسى استقبال العالم الإيجابي للربيع العربي في أشهره الأولى، حين ننظر إلى» مشكلة فهمه» له الآن! هنالك قوى عديدة تحب» النوم مع العدو» الذي يمثله التطرف الإسلامي والمتطرفون: من الطغاة أنفسهم، بأنواعهم الحاكم منها والمتواجد في المنطقة، والإسرائيليين، وأجهزة مخابرات تتعامل مع المسألة خارج القيم والمعايير لتحقيق إنجازات معينة... وبعضنا أيضاً. هذا يجعل المهمة مضاعفة الصعوبة، ولكن يبقى أن المسؤول الأول عن توضيح ذلك وتوليد سياسات وأفكار معاصرة هو الإسلاميون بأنفسهم، الذين لا بد لهم امن الخروج من إغراءات فرض الهيمنة والغلبة من طريق المقدس أو شبه المقدس... لا بد لهم من « تحديث» اجتهاداتهم وترجمتها سياسياً بما ينسجم مع الشرائع الدولية الناظمة لعالم اليوم، وألا يتباروا في المزاودة في الابتعاد عنها.

وكذلك هنالك مسؤولية هامة على كاهل» العلمانيين» الذين أسسوا منذ زمن لعلمانيتهم بوصفها مجرد تعارض مع الدين. لا كما هي: سيادة القانون والمواطنة ومنع الهيمنة من أحد الطرفين على الآخر: الدولة والمؤسسة الدينية... هذا يحتاج إلى عمل دؤوب كبير كلنا مسؤول عنه، والممارسة معيار للجميع.. نربح العالم حين نربح أنفسنا وحسب.ما يمكن أن يضاف: هنالك مسؤولية على المجتمع الدولي في مشكلة التطرف وأدواته الحالية وانتشاره، وعليه القيام بواجبه في هذا المجال.. بطريقة لا تعمق المشكلة وتعقدها!

> نيربية هنالك مسؤولية هامة على كاهل العلمانيين الذين أسسوا منذ زمن لعلمانيتهم بوصفها مجرد تعارض مع الدين.

> نيربية « هنالك قوى عديدة تحب النوم مع العدو» الذي يمثله التطرف الإسلامي والمتطرفون.

- في ظل التباعد الكبير بين الأطراف على جميع قضايا البلاد تقريباً، تدخل سوريا في منطق الحرب الاهلية، ما المدى الذي سينجح فيه المجتمع المدني من مقاربة معضلات البلاد ومشكلاته؟

غالباً ما تتحول الثورات إذ تتعمق وتأخذ وقتها إلى حرب أهلية. هذا ليس غريباً في بلد كبلدنا ونظام حكم كنظامنا استمر عقوداً ينخر ويفسد. ما هو زائد عن هذا السياق، هو الاستنقاع حتى أصبحت أطراف الحرب أربعة (النظام وداعش وحزب العمال الكردي.. ونحن بالفوضى التي نعيشها).. ولن يخرجنا من هذه الدوامة إلا إحياء «السياسة» والمجتمع المدني ومنطق الثورة نفسه.. كيف يمكن أن يتم ذلك؟ بالعمل عليه وإعطائه أولوية وعدم الاستغراق في المهام الأخرى تحت تأثير الطغاة ومشاريع الطغاة لدى خصومنا، ولدينا في المعارضة كذلك!

- بعد قرابة أربعة أعوام من الثورة وأربعين عاماً من الوصاية الرسمية، بقيت نخبة من المثقفين السوريين ذات نظر نقدي وموضوعي ومحايد ولم تغرق في الانقسام، كيف هو حال المثقف والثقافة هل دخلا في التقسيم السياسي الطائفي؟ ما ألاحظه أن عددا من المثقفين يغرقون في الانقسام، وأن لهذا الانقسام جاذبيته علي كثير من المثقفين، فما الدور الذي يلعبانه للخلاص أو المساهمة في الخلاص من نير هذا التقسيم ؟

نقدي وموضوعي» لا بأس، أما محايد، فلا أوافقك على هذا! عموماً، وخصوصاً في بلادنا، ليس المثقف بمثقف ما لم يكن نقدياً، وليس بمثقف إن كان مع الاستبداد، أو طائفياً في أي جهة كان: ظالمة أم مظلومة، مع احترام الفارق. من الطبيعي أن يكون هنالك انقسام، وأنا متأكد أن أية طاولة بحث تجمع المنقسمين ستوحدهم ببساطة، إذا احترمنا المظلومية والهواجس معاً. كلاهما سيكون مع الديمقراطية والمدنية والتعددية والمواطنة والأمان والاستقرار، وسيختلفان- بتداخل- على كيف يمكن تحقيق ذلك!

- مرعب أن يكون الديكتاتور على حق؟

بالطبع مرعب! قال الديكتاتور أننا غير مؤهلين للممارسة الديموقراطية، وأننا لا نستطيع المشي إلا وعصاه فوق رؤوسنا، وأن الفوضى بديله إذا ثرنا ورفضناه، وأن شعبنا تستحوذ عليه القيم ما قبل الوطنية وهي نائمة فلا توقظوها.. وأن بديله» أن نحرق البلد»! ونحن قادرون على عكس ذلك، لو فكرنا كما ينبغي، وعملنا كما ينبغي.. ولو أفهمنا العالم- وفهم- أننا، كعباد الله الآخرين، جديرون بالتحديث والحداثة.. لقد جربنا ذلك من قبل وكنا سباقين، ونستطيع ذلك الآن بجدارة أكبر، قائمة على تجربة من الدماء والدمار، نريد كل ما يمنع تكرارها في المستقبل!

-كيف يمكن أنقاذ سوريا؟

أولا بوحدتنا، على أساس تغليب ما هو عام على ما هو خاص.. ثم بشن الحرب على الانتهازية في صفوفنا.. وبعقلنة علاقتنا مع العالم وتحديثها، بالانطلاق من قواعد أولية: لا رجعة إلى وراء، ولا مستقبل للنظام، وبديله دولة مدنية ديموقراطية أساسها المواطنة والقانون والمساواة والعدالة... ومع أننا ندرك أهمية كسر تفوق النظام وحلفائه المختلفين، إلا أننا مع أي حل سياسي على أساس التغيير، ليوقف شلال الدم والتدمير... ثم بوقوفنا وشغلنا من دون تردد على حرب التطرف وقوى الظلام،بإدخال الدماء الشابة في صفوفنا لتحل محلنا بالتدريج وتتصدى بذاتها لمهمة المقاومة والبناء!

عودة إلى فكرة
المصير المشترك

جاء حين من الدهر كانت فكرة المصير العربي المشترك فكرة تؤكد وحدة الآمال و الآلام بين العرب , كما تؤكد أن مصير العرب واحد.
بل إن فكرة المصير العربي المشترك شكلت عنصراً أساسياً من الأيديولوجيا القومية و من الخطاب السياسي العربي.

د. أحمد برقاوي

وبعد أن شهدت المنطقة استقراراً زائفاً لمدة عقود أربعة , بدا أن فكرة المصير المشترك فكرة زائفة , حيث راحت كل سلطة تبرز إستقلالها إلى الحد الذي ظهر على السطح شعار ((أولاً)) , الأردن أولاً و لبنان أولاً و مصر أولاً إلخ.

وكان مقصود شعار كهذا السلطة أولاً وليس البلد الذي تحكمه السلطه.

وما أن إنطلقت شرارة الثورة التونسية حتى إنتظمت بلداناً عربية كثيرة بشكل مباشر أو غير مباشر. فإذا بفكرة المصير العربي المشترك واقعة وليست أيديولوجيا , وإذا العراق أولاً ومصر أولاً و لبنان أولاً هي الأيديولوجيا.

فما أن تحول الربيع العربي إلى حالة عربية حتى بدا أن التأثير المتبادل بين بلدان العرب أكثر مما هو متوقع.

ما حدث في مصر بعد ثورة 25 يناير ألقى بظله على كل الأحداث في المشرق العربي , أول بلد تأثر بالثورة المصرية فلسطين , فما أن آلت السلطة إلى الإخوان المسلمين في مصر حتى بدا أن هناك وحدة سلطة في غزة ومصر وكانت فرحة حماس بحكم الإخوان في مصر لا توصف.

تبرز زحدة المصير المشترك كثر ما تبرز الآن فيما يجري من مصر إلى اليمن.

الليبيون يذهبون إلى القاهرة يطلبون التدخل , ويقال إن المصريين تدخلوا.

السلطة الفلسطينية عادت إلى مصر بوصفها المركز لحل مشكلاتها , مصر تعلن أن أمن الخليج من أمن مصر وأن مصر تتدخل عسكرياً إذا ما تعرض أمن الخليج العربي للخطر . مصر والسودان تعلنان عن مساعدتهما لإستقرار ليبيا.

دول الخليج والسعودية تدعمان مصر و التحالف المصري السعودي الخليجي واضح للعيان.

لبنان الذي قرر أن ينأى بنفسه عما يجري في سورية يجد نفسه في قلب المعمعة السورية , حزب الله يحارب إلى جانب النظام , وأغلب سنة لبنان مع الثورة والمسيحيون منقسمون بين هذا وذاك, وجنبلاط مع الثورة فيما رسلان شبه صامت . الإنفجارات في لبنان بسبب الثورة , وخطف الجنود بسبب التدخل من قبل حزب الله.

الأردن يخشى إنتقال عدوى داعش إلى مدنه وقراه ويبني علاقة ما مع الجيش الحر. أما العراق و سوريا فيبدو أن المصير المشترك أوى مما يظن.

داعش تلغي الحدود بين البلدين و شمال شرق سورية وشمال غرب العراق أصبح عالماً واحداً . المليشيات الشيعية العراقية تقاتل في سورية والعراق , ويبدو للجميع أن التأثير المتبادل بين سورية والعراق أكثر مما يظنه الغرب وأمريكا وإيران.

السعودية ترى الخطر القادم من اليمن, وأمن السعودية من أمن اليمن. وها هي الأصوات تتعالى مرة أخرى عن الأمن العربي المشترك في وجه العدو المشترك.

ما معنى هذه الوقائع ؟ تعني أولاً أن هناك واقعة إسمها العرب لم تتشكل صورتها السياسية بعد. وما ظن أنه صورة نهائية رسمها الآخر , قد بددته هذه الوقائع.

ولهذا كله عاد الغرب و أمريكا مع دول أقليمية غير عربية لضبط حركة المنطقة خوفاً من أن تترك للحركة الداخلية وحدها أن تقرر مصيرها.

فإذا كان ولا بد من زوال عالم سايكس-بيكو , فلابد معه من تقسيم جديد , هكذا يفكر الغرب وأمريكا , إذ لا يجوز للحركة الداخليه أن تقرر مصيرها بذاتها.

بل إن بقاء النظام السياسي في العراق و سورية ما كان ممكناً دون القوى الخارجية , ولو ترك الأمر للقوى الداخلية لتغيرت صورة سايكس-بيكو دون سايكس-بيكو جديد.

و الخوف من ترك المنطقة لتحدد مصيرها بذاتها , أقصد خوف الغرب و أمريكا و العنصر الجديد إيران , يعود إلى أن المنطقة العربية و بخاصة آسيا العربية ومصر قد تشكل كياناً ما قادراً على أن يكون له شأن في التاريخ.

أنا لا أتحدث عن قيام دولة متحدة بين آسيا العربية و مصر , بل عن شكل ما من كيان يمتلك حدا من المسترك السياسي - الإقتصادي تجاه الداخل و الخارج معاً .

لم تعد المسألة مسألة أيديولوجية وبحاجة إلى منظرين قوميين , بل مسألة قوم لهم مصالح مستركة وتبين لهم أنهم لا يستطيعون العيش بمعزل عن بعضهم البعض , وأن مشكلاتهم واحدة , وأن التأثير المتبادل بين بلدانهم قوى إلى الحد الذي إخترق الحدود و السدود.

> ما أن إنطلقت شرارة الثورة التونسية حتى إنتظمت بلداناً عربية كثيرة بشكل مباشر أو غير مباشر. فإذا بفكرة المصير العربي المشترك واقعة وليست أيديولوجيا

> فإذا كان ولا بد من زوال عالم سايكس - بيكو, فلابد معه من تقسيم جديد, هكذا يفكر الغرب وأمريكا, إذ لا يجوز للحركة الداخليه أن تقرر مصيرها بذاتها

المسألة أن آسيا العربية و مصر تمتلك من التكامل الإقتصادي - السياسي ما لا يستطيع أحدٌ تجاوزه.

وسائل يسأل: ولكن المنطقة آيلة للتقسيم الجديد, وأنت تتحدث عن مصير مشترك ؟

قد تؤول المنطقة إلى تقسيم جديد بفعل عامل خارجي وقوى داخلية ذات مصلحة بالتقسيم, أو لسبب وهم الخلاص من الحروب الداخلية.

لكن دورة الحياة ستعود مرة أخرى لتطرح مصير المنطقة , بناء على قياس صحيح , قياس ما يجري الآن.

إن مشكلات مصر التنمويه تحتاج إلى ما تحتاج إليه رأسمال دول الخليج القادر على المساهمة في التنمية في كل قطاعات الإقتصاد المصري , و الخبرة المصرية أكثر من ضرورية لإقتصاديات الخليج العربي والسعودية.

و الأردن ولبنان وفلسطين كيانات غير قابلة للحياة دون شكل ما من أشكال الترابط مع سورية والعراق. فالسيادة الزائفة لهذه البلدان هشة إلى الحد الذي لا تسمح لها بأي نوع من أنواع الإستقلال السياسي والإقتصادي.

بل إن الأمن - كما بينت التجربة - أواني مستطرقة في آسيا العربية و مصر . إذا لا يمكن أن يكون أمن السعودية مفقوداً وأمن مصر موجود , لا يمكن أن يكون أمن العراق مفقوداً وأمن سورية موجود , فما بالك بأمن الدويلات التي لا تملك الحد الأدنى لقيام الدولة.

فإشتعال حرب أهلية في لبنان الآن سيلغي لبنان إلى الأبد و شروطها موجودة , و التسليح لم يعد محتكراً من حزب الله الشيعي . فمن ذا الذي سيوقف هذه الحرب إذا ما إشتعلت في لبنان؟ وبخاصة إذا ما غذت إيران جماعاتها .!

و الحق : إن غياب نخبة فكرية تفكر , وإن فكرت فغياب نخبة سياسية تفعل سيودي بالمنطقة إلى خراب طويل .

ألا فأعلموا.

الاستبداد يولد الإرهاب

د. رياض نعسان آغا

يطل علينا عيد جديد والدم السوري لا يزال ينزف، وقد وصلنا إلى مرحلة يحار فيها الحليم، فكيف يمكن أن يؤيد حرباً تقصف حممها على ترابه الوطني؟ وكيف يمكن أن يرفض حرباً ضد إرهاب يروع الناس ويباهي بقطع الرؤوس ويعلن دولة دينية متطرفة تنذر المنطقة بسيل عرم من الدماء يسفك باسم الله وباسم الإسلام؟! وكيف سيفسر السوريون صمت العالم على إرهاب أكبر وأخطر حسبك منه شاهداً مجزرة الكيماوي في غوطة دمشق التي تم التصالح حولها بتسليم أداة الجريمة أو جزء منها! ولو أن ما حدث في سوريا هو هذه الجريمة وحدها لكانت كافية لإصرار العالم على استئصال هذا الإرهاب المريع فماذا لو أضفت إليها هدم مدن هي تراث الإنسانية كلها، وقتل ما يزيد عن مليون سوري وفنون التعذيب التي يتعرض لها المعتقلون الذين تسلم جثثهم مشوهة لأهلهم، فإن أضفت إلى ذلك كله مأساة تشرد عشرة ملايين سوري فإن حجم نتائج الإرهاب الرسمي تفوق قدرة هيئة الأمم المتحدة على الإغاثة أو على استيعاب الفاجعة.

وعلى رغم ذلك كله يكاد السوريون يتوحدون نظاماً ومعارضة في قبول التحالف ضد الإرهاب. وقد أعلن النظام ترحيبه بهذا التحالف راجياً أن يتم التنسيق معه. وكيف لا يرحب وهو الذي أعلن منذ البداية أن ما يحدث في سوريا ليس ثورة شعبية وإنما هو هجوم إرهابي تقوده عصابات متطرفة مسلحة اتهم دولاً عربية معروفة بدعمها، واتهم الولايات المتحدة ودولاً غربية بتمويلها وتزويدها بالأسلحة! واليوم تبدو المفارقات مضحكة. فالنظام يريد أن ينضم إلى هذه الدول ذاتها التي اتهمها بالتآمر ضده. الأمر الذي أحرج داعميه الروس والإيرانيين الذين مضوا معه بالقول إن ما يحدث هو «مؤامرة كونية». ويبدو محرجاً لهم أن ينضموا سريعاً إلى قوى المؤامرة.

أما غالبية السوريين فلا يزالون في حيرة وقلق وترقب. لقد طلب بعضهم تدخلاً أجنبياً حين حاصرهم الموت بالكيماوي والصواريخ والبراميل ولم يلبّ طلبهم أحد. واتهموا بالخيانة من قبل الطرف الذي استعان بالتدخل الأجنبي ولقي استجابة سريعة من روسيا ومن إيران ومن لبنان والعراق. وهو اليوم يرحب بالتدخل الأجنبي ويريد أن ينضم إلى خندقه. وأنصاره يرددون بقوة المقولة الشهيرة «عدو عدوي صديقي»! وإذا كانت «داعش» عدوه فهو يعود اليوم صديقاً للولايات المتحدة وحلفائها. والطريف أنه بات في الخندق ذاته مع المعارضة التي تؤيد التحالف ومع تركيا التي ستنضم إليه. وثمة وعد من الكونجرس بأن الحملة لن تتوسع لأي عمل ضد النظام.

ومن طرائف التفسيرات حول الموقف من النظام أن الحملة الدولية في بدايتها -ولا أحد يعرف موعد النهاية- ستشكل ضغطاً على النظام يجبره أن يمضي إلى جنيف 3 وأن يقبل بحل سياسي ومرحلة انتقالية سيعود الحوار الدولي فيها لسؤاله القديم «هل ستكون بقيادة الأسد أم بدونه؟».

تبدو الضمانة الوحيدة لتحقيق بعض أهداف الشعب السوري هي وجود الدول العربية الصديقة الداعمة له في المجموعة الفاعلة في التحالف الدولي. فالسوريون عامة يشعرون بأن السعودية والإمارات والأردن، وتركيا، لن يقبلوا بقاء المأساة السورية معلقة لعدة سنوات ريثما تنتهي الحرب على الإرهاب. كما أنه ليس من صالحهم أن يطول الأمد فهم معنيون مباشرة بانتهاء القضية التي تحملوا فيها أعباء مادية وإنسانية كبيرة.

وهم اليوم يجدون أنفسهم يدخلون حرباً هي من تداعيات القضية، بل هي من تداعيات سوء التشخيص الذي وقع فيه النظام منذ البداية، ومن سوء المعالجة الدولية التي منحت الإرهاب فرص النمو حتى بات خطراً مهدداً للمنطقة. وبدا وكأن الولايات المتحدة كانت تهيئ كميناً للإرهاب كي يقع في الجرائم المشهودة التي تمنح العالم شرعية تحالف ضده. ولكن هل كان العالم يحتاج إلى شواهد وإلى شرعية لمواجهة الإرهاب؟ وهل ينتهي العالم من الإرهاب إذا انتهى «داعش» وأخواته؟ وهل إرهاب الدولة المستمر والمتصاعد ضد الشعب السوري ومطالبه التي اكتسبت شرعية دولية عبر الأمم المتحدة هو إرهاب جيد بينما إرهاب المنظمات العشوائية سيئ ومرفوض؟ لابد أن المجتمع الدولي يرفض كل إرهاب، ولن تنجح حملة ضد نصف الإرهاب، مع دعم نصفه الآخر، والاستبداد والإرهاب وجهان لموقف واحد.

إننا نفهم أن رغبة الشعب السوري بإسقاط النظام قضية يراها العالم داخلية ولا يرغب في التدخل فيها. وهو عملياً مرتاح من جهة النظام، ولئن أحرجه عنف النظام في مواجهة شعبه فإن هذا الحرج لا يصل إلى حد إسقاط النظام بالقوة ولن يخوض العالم حرباً دولية لتحقيق مطالب الشعب السوري أو للدفاع عنه. لكنه مستعد بقوة لخوض حرب ضد الإرهاب الذي يمكن أن يشكل خطراً مستقبلياً عليه. ولكن هذه الرؤية تهمل قضية الشعب السوري الذي سيجد نفسه مجرد كومبارس يلعب دور الميت في المشهد الدموي الملتهب.

ولكن السوريين الذين يثقون بأشقائهم العرب وبأصدقائهم المشاركين في التحالف ينتظرون أن تتدفق الحياة في سوريا بدل أن يتدفق الموت وحده. فإذا كان التحالف لن يحمل سوى الموت لهم فليس مهماً مصدره أكان من قبل النظام أم من قبل «داعش». ولن يكون مهماً أن يزيد عليه موت جديد لابد أن يشملهم حين تتسع المعارك التي يخوضها التحالف. إن ما ننتظره من أهلنا العرب وأصدقائنا في قوى التحالف هو إعطاء الحياة فرصة البقاء. وهو التفكير بالملايين من المشردين واللاجئين والمعتقلين الذين ينتظرون حلاً. نحن ننتظر التوازن في الموقف ضد الإرهاب والاستبداد معاً. ننتظر معالجة الأسباب التي أوصلت سوريا والمنطقة إلى هذا الزلزال الذي تم التهديد به وحدث فعلاً. إن الاكتفاء بمعالجة الظواهر الإرهابية لن يقضي عليها ما لم يتم الانتهاء من مسببات ظهورها. ولولا الاستبداد والطغيان وانسداد الأفق أمام شباب سوريا لما ناصر أحد منهم الإرهاب وانضم إلى صفوفه. ولا يغيب عن قادة العالم أن العنف يستجلب عنفاً مضاداً. وأن الاستبداد يولد الإرهاب. ولن ينتهي الإرهاب إلا بتحالف ثقافي وحقوقي قبل أن يكون عسكرياً.

إنني أؤكد على ما جاء في مقالة سمو الشيخ محمد بن راشد، في «الاتحاد» تحت عنوان: «داعش التي وحدت العالم» حين قال «ليس سراً أن الصعود السريع لداعش جاء بسبب حكومتين في المنطقة، واحدة تقتل شعبها وأخرى تفرق بينهم على أساس طائفي». وقد وضع سموه يده على السبب الحقيقي لنمو الإرهاب حين قال «هناك 200 مليون شاب في منطقتنا، إما أن نغرس فيهم الأمل ونوجه طاقاتهم لتغيير حياتهم وحياة من حولهم للأفضل، أو أن نتركهم للفراغ والبطالة والأفكار الخبيثة والمنظمات الإرهابية.(الاتحاد).

رغبة الشعب السوري بإسقاط النظام قضية يراها العالم داخلية ولا يرغب في التدخل فيها. وهو عملياً مرتاح من جهة النظام، ولئن أحرجه عنف النظام في مواجهة شعبه فإن هذا الحرج لا يصل إلى حد إسقاط النظام بالقوة ولن يخوض العالم حرباً دولية لتحقيق مطالب الشعب السوري أو للدفاع عنه

المقاربة الاوروبية الحذرة حيال الحراك العربي

د. خطار ابودياب

منذ عدة قرون، يرتبط تاريخ العالم العربي بتاريخ الغرب الأوروبي. وفي كل بلد عربي نجد لمسة غربية وسبب ذلك الأثر الثقافي ووزن التاريخ الاستعماري حيث كان العالم العربي موضوع صراع بين القوى المهيمنة. ومنطق الهيمنة هذا ترك بصماته على صلات أوروبا والعرب منذ البداية. ومع أن حملة نابليون في مصر وفلسطين كانت أول تماس بين العرب والحداثة، لكن حينها لم ينظر لفرنسا كنموذج حضاري بل كمركز قوة، وافتتحت الحملة حقبة صدام القوى الأوروبية في الشرق المتوسطي، وكانت أول مشروع استعماري أوروبي منذ الحملات الصليبية. وهذا الشرخ بين الغرب والشرق تفاقم مع سقوط الإمبراطورية العثمانية، وتقاسم المشرق من خلال اتفاقية سايكس - بيكو غداة الحرب العالمية الأولى. ومن غرائب الأمور أن القوميين العرب الذين نهلوا من مبادىء الثورة الفرنسية لمناهضة التتريك فوجئوا بفرنسا الاستعمارية. وهذا الماضي الاستعماري لبعض أوروبا لا زال ماثلا بشكل أقوى في بلدان المغرب العربي إذ أن نزع الاستعمار الذي عمل له ديغول لم يتبعه نزع الاستعمار من الذهنيات والممارسات، وما الجدل حول تنقية الذاكرة والتوبة بالنسبة للجزائر إلا دليل على هذا التخبط.

إزاء بدايات ما سمي بالربيع العربي ، سادت المفاجأة عند اللاعبين الكبار في اوروبا، وتباينت المواقف بعد الانتصار التونسي بين الانخراط والحماس والحذر والتشكيك. وقد لاحظنا مثلا كيف ابتعدت ألمانيا عن فرنسا وبريطانيا في الشأن الليبي وتصرف كل طرف حسب رؤيته الوطنية .

بالنسبة لمقاربات الغالبية الساحقة من الخبراء الاكاديميين في اوروبا، نلاحظ أنهم لم يتوقعوا الهبة العربية ، وربما يعود ذلك لأسباب ثقافية تتصل بالنظرات المسبقة والجاهزة سلفا وكذلك بعدم الإحاطة بتطور المجتمعات.

ومن الاستثناءات في مدارس البحث الاوروبي، إسهام عالم الاجتماع الفرنسي ايمانويل تود الذي تحدث منذ 2009 عن صعود الطبقة الوسطى وانخفاض المواليد ونجاح مكافحة الامية في كل من تونس ومصر وسوريا حيث توقع ان تحصل في هذه البلدان تحولات عميقة .

بالنسبة للمواكبة الاوروبية للتحولات العربية والنزاعات الدائرة ، لا يمكننا اغفال خلل كبير في مسار الاتحاد الاوروبي نفسه في سياق إعادة تشكيل النظام العالمي الجديد. إن عدم النجاح الكبير على صعيد السياسة الخارجية أو الدفاع المشترك ، يعزز من قناعة الكثيرين بأن أوروبا الموحدة هي قبل كل شيء سوق اقتصادية مشتركة وعامل استقرار لأنه مع البيت الأوروبي المشترك أصبحت أوروبا عنواناً للسلام بعد قرون من الحروب.

لكن الاتحاد الأوروبي الذي زاد تأثيره بعد اعتماد اليورو كأول عملة مشتركة في العصر الحديث شاعت حوله مقولة صحيحة إلى حد كبير : " أوروبا عملاق اقتصادي وقزم سياسي" إذ ان الاتحاد بسكانه ال500 مليون نسمة ما زال أكبر قطب تجاري في العالم، وقطب دولي وسيط وقادر في أكثر من أزمة ونزاع، لكنه ليس بتلك القوة التي عقدت عليها الآمال لتفرض نفسها في المعادلة العالمية.

> الاتحاد الأوروبي الذي زاد تأثيره بعد اعتماد اليورو كأول عملة مشتركة في العصر الحديث شاعت حوله مقولة صحيحة إلى حد كبير: « أوروبا عملاق اقتصادي وقزم سياسي»

ففي مواجهة الإعصار المالي العالمي عقب انهيار وول ستريت في سبتمبر – أيلول 2008 ، وبعد عبور العاصفة المالية المحيط الأطلسي بشكل متصاعد منذ خريف 2009 ، تخوف الحريصون على البناء الأوروبي من أجوبة مستقلة ترمز للأنانية الوطنية. حصل ذلك بالفعل وسقطت منطقة اليورو في امتحان انقاذ اليونان مما كان له فعل الدومينو نحو بلدان جنوب المتوسط (البرتغال وايطاليا واسبانيا)... وهذه العثرة الاقتصادية تعمق أزمة تموضع أوروبا بعد صعود مؤثر للدور الأوروبي في تركيز أسس نظام عالمي متعدد الأقطاب سياسيا واقتصاديا.

إزاء ذلك يبقى الاتحاد الأوروبي خارج صناعة التاريخ المعاصر كلاعب أساسي. يرد البعض الحجة ويعتبر أن تراكم أفعال الأمم الأوروبية الكبرى وابرزها ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وايطاليا واسبانيا وحديثاً بولندا، تصب في صالح الإسهام الأوروبي في مواجهة الأزمات والتحديات من البلقان في منتصف التسعينات إلى الملف الايراني وازمات افريقيا حالياً.

> يبقى الاتحاد الأوروبي خارج صناعة التاريخ المعاصر كلاعب أساسي.

بيد ان التمهل او التردد في دعم التجربة التونسية اقتصاديا ، وعدم تحمل المسؤولية ازاء ليبيا، بالاضافة للسير وراء الامريكيين في العراق يعطي صورة واضحة عن تهميش الادوار الاوروبية. أما بالنسبة لسوريا لم تتمكن فرنسا من القيام بفعل ملموس خارج السياق الامريكي. والآن في مرحلة الحلف الدولي ضد داعش تعود المقاربة الاوروبية أمنية وحذرة أما الشعارات الانسانية ومثالات الديمقراطية فلا يبدو أنها مدرجة على جدول الاولويات.

السويداء
بين الهوية والمعتقد 2

ليس للدروز هوية ثقافية خاصة تميزهم عن محيطهم الثقافي والاجتماعي المكوّن تاريخيا، ولا تخولهم خصوصية شعائرهم وطقوسهم وعباداتهم، للدخول في تنازع الهويات الثقافية في محيطهم السوري والعربي الإسلامي، باعتبارهم معنيين بهذا التاريخ ومثقفين بثقافته، فضلاً عن أنهم متحدرون أصلاً من أرومته العربية الإسلامية الشاملة، لذا فإن ما يؤخذ في الحسبان من تباينات جزئية مع هذا المحيط، بقيت وستبقى أقلّ شأناً من أن تشكل بنية من بنيات هذه الهوية الثقافية الخاصة أو أسا من أساساتها، وذلك لأنها فرع ولا يمكن للفرع أن يحل محل الأصل أو يستغني عنه، بل يبقى في موقع الشريك في المناخ الثقافي العام، بينما يقتصر تأثير المعتقد الديني الخاص للدروز، في قلة قليلة من المثقفين محصورة في حدود المجتمع التقليدي.

جبر الشوفي

وباعتبار أنّ المذهب الدرزي مذهباً توليفياً، وليس ديناً دعوياً منزلاً ولا ديناً عاماً، فإن أتباعه، تحصرهم رابطة الدم الموروثة عن سلالة من اتبعوا دعوة الحاكم بأمر الله الفاطمي 1021-996 وآمنوا بمذهب التوحيد، بينما ينغلق المذهب في وجه غيرهم، ويعيش أتباعه من المتدينين حالة عزلة، ويمارسون طقوساً أقرب إلى حالة التنسك والزهد والتقشف، مدعمة في معتقدهم بأسس فلسفية، وركائز إسلامية وغير إسلامية مؤولة تأويلاً باطنياً خاصاً، فهو لذلك معدوم التأثير خارج حدود أتباعه من الطائفة الدرزية، بل إن تأثيره الفكري يبقى محدوداً حتى في داخل الطائفة، ولاسيما أن معظم رجال الدين يعانون من ضعف ثقافي وبساطة في التفكير، ولكن هذا الضعف الثقافي وهذه الخصوصية، لا تمنعنا من رؤية تأثيره الاجتماعي العميق، باعتباره يولي قضية السلوك والعلاقات الاجتماعية والتهذيب أهمية، تفوق أهمية ممارسة العبادات والتمسك بأهداب العقيدة.

ومع قوة حضور الاجتماعي وضعف التأثير الفكري والسياسي، تتعزز بين أتباع المذهب عصبية القبيلة أكثر مما تتجسد وحدة الثقافة الخاصة بالمعتقد والطائفة ومنعتها، حيث تظل رابطة العروبة الثقافية والتاريخية هي الأعمق، وهي المتساوقة مع المحيط الإسلامي العربي العام، ومن هنا تعددت أسماء المثقفين القوميين والوطنيين المنحدرين من هذه السلالة، كما برزت بينهم أسماء أولت الثقافة الإسلامية والنهضة الإسلامية جل اهتمامها ، كان الأمير شكيب أرسلان أبرزهم.

من هنا ومن هذا التاريخ المشترك، الذي جمع النخب الثقافية والسياسية من أبناء الطائفة الدرزية ، مع الحاضنة العربية الإسلامية، أفشلت كل الدعوات التي تدعو لإقامة دولة درزية خاصة، علماً أن هذه الدعوات وللمفارقة جاءت من خارج الطائفة، ولم تجد داخل الطائفة أي تجاوب يذكر، حتى بين الذين يبدون تخوفاً

التاريخ المشترك، الذي جمع النخب الثقافية والسياسية من أبناء الطائفة الدرزية، مع الحاضنة العربية الإسلامية، أفشلت كل الدعوات التي تدعو لإقامة دولة درزية خاصة، علماً أن هذه الدعوات وللمفارقة جاءت من خارج الطائفة، ولم تجد داخل الطائفة أي تجاوب يذكر

موضوعياً أو حذراً أو تحفظاً على المشاركة مع الأكثرية خشية الذوبان فيها، لم يصل بهم الأمر إلى التفكير بإقامة كيان درزي خاص، بل إنّ خوف الدروز الأكبر، يكاد ينحصر في إمكانية التفكير في إقصائهم وحصرهم جغرافياً، ليضطروا إلى إقامة كيان سياسي خاص بهم، وهم لا يمتلكون لا سياسياً ولا اقتصادياً ولا ثقافياً مؤهلات وأسس متينة، لقيام مثل هذه الدولة .

هل يفضي هذا الوضع إلى نوع من الازدواجية في الولاء والانتماء، درزي إسلامي دينيا، إسلامي عربي ثقافياً، سوري عربي سياسياً إلى انعدام العصب الطائفي الجامع أو اختفائه، أم يشكل حالة تجاذب ضاغطة على (أنا) الجماعة ، ويبلور مواقف خاصة متعددة المستويات تبعاً للمستوى الثقافي وطبيعة هذا الوعي، بوصفه وعياً بالطائفة وللطائفة، أم وعياً وطنياً مشتركاً عاماً !

يخطئ في هذا المجال، من يقيس الحالة المذهبية الدرزية على الحالة الإسلامية السنية أو الشيعية، وذلك لأننا لن نجد هنا إلا جيلاً قليل الاهتمام بالمفاهيم الطائفية الخاصة، ولن يتكئ على مرجعية وجدانية عميقة، تتمثل بالعقيدة المحكمة التأثير وبالتطبّع بسلوكيات وطقوس تعتبر بنية أساسية في الفكر والممارسة الإسلامية السنية والشيعية، وهي تؤثر تأثيراً كبيراً في ثقافة الأفراد وتحدد معالم سلوكهم الاجتماعي وموقفهم من الآخر.

قد تكون هذه الظاهرة وما ينبثق عنها، في جوهر الشقاق الكبير وعدم الانسجام بين المثقف الوطني الديمقراطي، بصفته الوطنية العامة من أبناء الطائفة في السويداء تحديداً، وبين من يضمرون نوعاً من العدمية المذهبية من جهة، وبين أقلية ذات ثقافة مذهبية مغلقة، ترى الوطن بعيون طائفية، أو تجعله امتداداً لوعيها الطائفي وسلوكها، على حين قد تتشارك الأكثرية المطلقة بوهم، أنها لم تزل تشكل ثقلاً وطنياً متضخماً، أساسه ومرجعيته تاريخ متميز لجيل الآباء والأجداد في سجل الوطنية السورية والقومية العربية، وكأنّ التاريخ يقف عندهم، عند هذه الأمجاد ولا يتجاوزها.

وإذا كانت نزعة الاستعلاء والاستقواء بتاريخ الأجداد هذه، لم تزل تشكل أساً مشتركاً ومرجعية وجدانية حتى بين الفئتين المتباينتين، فإنها كثيراً ما تؤثر في واقعية نظرة الأفراد وسلوكهم تجاه الذات والآخر، وهي تسم الوعي العام بسمات وعي مجتمع لم تنقطع علاقاته - رغم مظاهر الحداثة - بمجتمع ما قبل الدولة، فهو وعي ذاتي متمحور إلى حد الوهم وبناء الأساطير عند قلة من الفئة المنقطعة والمنغلقة مذهبياً، وهو موضوعي مشرب بالذاتية عند الفئات الأخرى ، ولا ينجو من تأثير هذه الشوائب إلا وعي وطني، تكون عماده الهوية الوطنية في المشترك السوري العام.

ولكننا ولكي نكون واقعيين، يجب أن نلاحظ أنه لا يمكن للوعي الطائفي والمذهبي، أن يظلّ معتّداً ومنعزلاً خارج الوعي السياسي، ولا بدّ له من أن يصبّ بشكل أو بآخر، في هذا الوعي أو يسمه ببعض سماته، وتزداد هذه السمات بروزاً وقد تتقدم حتى تأخذ مكانه أو تحلّ محله، كلما تقدمت حرب الطوائف، والتبست السياسة بالمذهب أو المذهب بالسياسة، وهي الحالة التي عانت منها نخبة السويداء أثناء الثورة منذ اواسط آذار2011 وأثرت سلباً في قوة الحراك المجتمعي، ولاسيما بعد ارتفاع النبرة المذهبية الغرائزية، وانفلات السلاح وإدارة حرب الكل على الكل.

وفي المحصلة النهائية نقول: ليس للسويداء كمحافظة، وليس للدروز كطائفة خلاص، إلا بخلاص سورية كاملة، ولا منقذ للجميع إلا بإعادة بناء الهوية الوطنية الجامعة، وإقامة دولة المواطنة الضامنة للحقوق والواجبات، لأنها السبيل الوحيد للوصول إلى الاستقرار النهائي، ولن يكون ذلك إلا بالخلاص من كل انواع الاستبداد السلطوي المزمن والعريق، أوالطارئ المبتكر، عبر مظاهر التطرف المنفلتة من كل عقال والخارجة على كل عرف ودين.

شريط الرجم..
يرجمون المرأة أم يرجمون الإسلام؟؟

ولو أن الصهيونية العالمية دفعت الملايين لهوليوود لتنتج فيلماً لتشويه الأسلام فلن تنتج أسوأ من هذا...

د. محمد حبش

والمقصود هنا بالطبع الممارسات المنسوبة إلى داعش وبشكل خاص شريط الفيديو الذي يقوم فيه أشخاص مجهولون برمي امرأة بالحجارة حتى الموت بمشاركة والدها في ريف حماه. واعتبار ذلك حداً من حدود الله الذي يجب تنفيذه على الناس.

ومع أن الرجم اليومي لم يتوقف في سوريا منذ أربع سنوات عبر براميل النظام وقذائف سكود وكذلك الهاون الذي يتساقط على المدن السورية المنكوبة من كل وجه وأخيراً قصف التحالف الدولي الذي يحشد جنوده في البر والبحر فهم يوزعون وهم يصرحون بأنالحرب مستمرة لثلاثين سنة أخرى. ولكن شريط الفتاة المرجومة أوقف عداد الموتى وحشد الجميع على مائدة التعليق السياسي والاجتماعي والسيسولوجي والديني في هذا المشهد الرهيب.

ولست أجهل حساسية هذا الموضوع ودقته وحوامله المختلفة، ولكنني أعتقد أن العجز في مواجهة هذا اللون من تشويه الإسلام يعتبر أمراً غير مقبول ويتناقض مع مسؤولية اللسان والقلم.

ويستفزني دفاع أصدقاء لي عن الرجم على منطق أن شروط الرجم غير مكتملة، وأن إقامة هذا الحد عمل عظيم ولكن بعد قيام الدولة الإسلامية، وستظهر هناك حكمة الحد ورحمته وواقعيته، وكأن الدولة الإسلامية المأمولة سترجم الرجال والنساء بأحجار من الشيكولاته!!!

فإلى أي حد تعتبر هذه الممارسات منتمية إلى الإسلام؟ وإلى أي حد يعتبر حد الرجم حداً إسلامياً؟

من المتفق عليه أن القرآن الكريم لم يشر من قريب ولا من بعيد إلى هذا الحد العجيب، بل إن كلمة الرجم في القرآن الكريم وردت دوماً في سياق الإخراج من الأرض وليس في سياق الضرب بالحجارة. قال آزر لابنه ابراهيم: لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً. وقال قوم نوح:لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين.

ومن المتفق عليه أن الرجم شريعة يهودية وردت في سفر التثنية بالنص اللاهوتي الآتي: سفرالتثنية 22-23 : إذا كانت فتاة عذراءمخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فاخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا: الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة؛ والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه .فتنزع الشر من وسطك.

ولكن هذا النص المنسوب للنبي موسى لم يكن محل ترحيب من قبل السيد المسيح الذي قال للقوم الذين هموا برجم زانية: من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر!!

ولا شك أن موقف السيد المسيح يعتبر بشكل ما نسخاً للنص التوراتي وفق قاعدة: ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها .

وفي القرآن الكريم وردت الإشارة بوضوح إلى تحريم الفحشاء بكل أشكالها وورد النص على عقوبة الزناة تحديداً بالجلد دون أي تمييز بين العازب والمحصن. واعتبر ذلك موقفاً نهائياً من الشريعة الإسلامية في تلك المرحلة لحد الرجم المزعوم.

ولا يمكنني أن أجاوز هذه النقطة دون التذكير بموقفي الذي دونته في دراستي المطولة عن الحدود في الشريعة، وفيها أتبنى القول بأن الحدود أدوات لتحقيق العدالة وهي قابلة للتغيير في كل زمان ومكان، وليس هناك قدسية للسوط ولا للسيف وأن المقدس هو الإنسان، وعلى الأمة أن تشرع ببرلماناتها ومجالس شوراها ما يردع الجناة عن الجرائم الخمسة المنصوص عليها في القرآن: القتل والسرقة والزنا والقذف والحرابة، وكذلك ما يستجد من الجرائم في الأيام مما لم يذكر في القرآن ولا في السنة مثل تزوير العملات والمخدرات والتهرب الضريبي وألف باب من الجرائم الحديثة التي قد تكون أخطر وأشد من الجرائم المنصوص عليها في القرآن الكريم.

وبالعودة إلى حد الرجم فإن كثيراً من الناس يتساءلون أن هذا الحد وإن لم يكن مذكوراً في القرآن الكريم ولكنه وارد في السنة، والسنة تشريع كما هو حال القرآن الكريم، ويجب اتباع القرآن والسنة جميعاً.

ولكن هذا اللون من السنة هنا معارض بالمطلق لنص قرآني محكم، ثم هو خوض في دماء الناس وافتئات على حقوقهم، ومن غير المعقول أن يكون جرم كهذا مسكوتاً عنه في القرآن وأن تنفرد السنة بتبيانه؟

وحين بادرنا إلى إنكار هذه الظاهرة الوحشية من قتل الإنسان لمجرد أنه مارس معصية لله تلقانا من أصدقائنا من يذكرنا بحديث المرأة الغامدية وماعز الأسلمي وقد رجمهما النبي الكريم في المدينة كما تشير عدة روايات بهذا الشأن.

وفي الواقع فإن هذه القصة الوحيدة في التراث النبوي حول رجم الزناة محفوفة بإشكالات كثيرة لا تنتهي، وفي القصتين يبدو واضحاً كراهية النبي الكريم لهذا اللون من العقاب، ومحاولاته ثني المعترف عن اعترافه، لعلك قبلت ؟ لعلك لا مست؟ ثم سؤاله لقوم ماعز: هل به جنون؟ وقوله للغامدية اذهبي حتى تضعي ما في بطنك، اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه!! في ظروف يؤكد أن هذه الحادثة (لو وقعت) فقد حصلت على وفق ما كان سائداً لدى العرب من سؤال أهل الكتاب في قضايا الدين، وهو أمر كانت اليهود تحتكره على العرب في تلك المرحلة، وأن ذلك كله جرى قبل أن تنزل الآيات في بيان حكم الزنا.

ولكن المؤيدين للرجم لم يتوقفوا عند هذا القدر، وحين رأوا أن لا نص في القرآن الكريم بهذا الشأن عمدوا إلى سرد رواية عجيبة تنقل عن لسان عمر بن الخطاب قوله: أيها الناس ... لقد قرأ رسول الله آية الرجم فرجم ورجمنا ولولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله آية لزدتها، كان فيما أنزل الله على نبيه: والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف.

ومن المؤسف أن هذه الرواية وجدت طريقها إلى النسخ القديمة في البخاري ومسلم وهما كتب محترمة لدى المسلمين ولا شك في جهود التحري والاحتياط التي بذلها الشيخان في تحري الرواية ولكن العصمة لله وجل من لا يخطئ وكلنا بشر.

ولكن النقد الحديثي عادة ينصرف إلى أن الحديث من رواية فلان وفلان وقد وثقه فلان وقال عنه فلان، ولكننا سنختصر هذه الطريق كلها ونقف عند حقيقة لا خلاف فيها وهي أن الرواة بشر يقع عليهم ما يقع على سائر الناس من الخطأ والنسيان والسهو، ولم يرد أن في إسناد هذه الروايات ملائكة لا يخطؤون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

والذين نقلوا هذه الروايات وقعوا في ستمطبات كبيرة لا مفر منها، كلها تسيء إلى الإسلام من حيث يعلمون أو لا يعلمون.

فقد أساؤوا إلى القرآن إذ حكموا بضياع نصوص فيه، وإمعاناً في هذا اللون من الجدل العقيم نقلت رواية الدارقطني المضحكة عن عائشة قالت لقد أنزلت آية الرجم فلقد كانت في صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله صلياالله عليه وسلم اشتغلنا بموته فدخل الداجن فأكلها!!

وقد أساؤوا إلى الرسول إذ نسبوا إليه أنه فرط في حفظ القرآن ولم يحمل الأمة على حفظه وتوثيقه.

وأساؤوا إلى عمر بن الخطاب إذ حكموا بأنه خاف من كلام الناس ولوم اللائم (لولا أن يقول الناس زاد عمر آية في كتاب الله لزدتها) وهكذا فقد ترك بعض القرآن خارج النص.

والنص بصيغته لا يفهم منه ما يفهمون (رجم المحصن): الشيخ والشيخة!! فقد يكون الشيخ والشيخة غير محصنين، ولا معنى للنص إذن كما فهموه.

ثم متى كان القرآن الكريم ينزل أحكامه على الشيوخ والشيخات؟ فقد يكون المحصن الزاني شاباً أو رجلاً وليس شيخاً، وبذلك لا يطاله الحكم.

ثم إن القرآن الكريم لا يستخدم هذا اللفظ الركيك المولَّد، فالشيخة ليست لفظاً عربياً فصيحاً، وقد قال القرآن الكريم: يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً.. فوصف الرجل بأنه شيخ والمرأة بأنها عجوز وهذا هو فصيح كلام العرب.

إنها إشارات واضحة وهي كافية لتقنع المسلم الباحث عن الحق أن القصة برمتها مختلقة ومفتراة، ومسيئة للإسلام وقيمه، وقد وهم أصحاب الصحيح بروايتها وهذا لا يقدح في مكانهم ومكانتهم، ولكن الحق أحق أن يتبع.

من المؤلم بعد ذلك أن يقوم المسلم بإلغاء عقله وقلبه والاكتفاء بما رواه الأولون على قاعدة قف على ما وقف عليه الأولون فإنهم عن علم وثقفوا، وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف.....

متى يستيقظ العقل المسلم، ويناقش تاريخه الآفل بأدوات حاضره الآمل، ومتى نوقن بقول الله تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً؟ ومتى نوقن بالقاعدة الذهبية القرآنية: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون.

محطات مررنا بها، لنصل إلى هنا:

فتّش عن حبل السرة الاسرائيلي

قبل 2011، لم يكن السوري متيقناً أنه الأقل حصانة بين مواطني كوكبنا، ونظامه الحاكم الأكثر حصانة بين أنظمة العالم. أنها معادلة مجنونة ومفارقة غريبة؛ فالمألوف أن حصانة المواطن والوطن واحدة لا تتجزأ، لكن كيف ركبت المعادلة أمر لا يعلمه إلا الله وما تكشف بعد 2011. فكيف كان ذلك؟

د. يحيى العريضي

إن نظرة سورية سريعة إلى خارطة الشرق الأوسط، وتصورها كجسد تبين كم يشبه موقعها في هذه الجغرافيا كموقع وفعل ووظيفة القلب أو الدماغ من الجسد. من يحكمها ويتحكم بقرارها، يحكم ويتحكم بالمنطقة.... صراع فيها وعليها.

منذ فجر التاريخ. ماحكمها شخص أو أسرة أكثر من بضع سنوات. حديثاً كانت تنام على انقلاب لتصحى على آخر. ماهدأت إلا في سبعينيات القرن الماضي. هل هي عبقرية حافظ الأسد أم أنه قرار أعلى بأن تهدأ ويكون شرطي الهدوء حافظ الأسد؟ لنرى.

إذا كان السر بالسكان، فهذا السوري يجب أن يهدأ، فكان قرار الشرطي أن يحوّله إلى مخلوق يعبد ألوهيته أو تكون نهايته (وليس بالضرورة الموت). تحولت سورية بفضله إلى كتلة طوع بنانه؛ يبدأ تاريخها في السادس عشر من تشرين الثاني 1970.

كانت سورية وقتها خارجة للتو من خسارة قطعة غالية من أرضها؛ فرغم كونه وزير دفاع النكسة عام 67 إلا أن ذلك وُضع في عنق القيادة السياسية الأعلى؛ وكان السعي الحثيث لمسح الدماغ الشعبي. كان الحديث همساً بأنه المسؤول الأول عن ضياع الجولان؛ ومن تصل همسته إلى مسامعه أو تعلم بها عصابته يُوقف تنفسه. أتى الهمس الأكثر ضجيجاً من المقاومة الفلسطينية- ومن هنا أساس سر كره حافظ أسد للفلسطينين -

كانت الساحة الأردنية هي الأشد حرارة بحكم التواجد الفلسطيني الكثيف وبحكم الحدود الطول مع الكيان الصهيوني؛ فكان أيلول الأسود. وقتها تدخلت دبابات سورية لنصرة المقاومة الفلسطينية، ولكنها لم تصل حيث طلبت تغطية جوية من وزير الدفاع السوري (حافظ أسد) ولم يستجب. فعادت الدبابات مدمرة.

وُقع اتفاق القاهرة عام 70 وانتقلت المقاومة الفلسطينية إلى لبنان. أضحت تحت ناظر الأسد وفي الحديقة السورية الخلفية تاريخياً. ولكن سلطانه عليها محدود. عبر عبث منظمة الصاعقة. أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية أكبر من لبنان. وكان ذلك مقصوداً وغايته تسمينها لذبحها كما اتضح لاحقاً....

حتى 1973 شابت رئاسة الأسد لسورية حالة من اللاشرعية. كان لابد أن يحارب فلا يتعمّد الطغاة إلا بالحروب والدماء. وفي الحالة السورية، عشرة أهداف تُصاب بطلق واحد: الجولان محتل وهناك همز ولمز حول شخص الأسد وهناك أغلبية مهمشة ورئاسة من الأقلية، وهناك داخل هائج دحرته سنة سبعة وستين، وهناك اهتزاز للخريطة السورية بمجملها ديموغرافياً ونفسياً واقتصادياً واجتماعياً .... لا يحسم كل ذلك إلا حرباً؛ فكانت حرب أكتوبر 1973

ما كان الخروج من الحرب كالدخول إليها. فكان اتهام مصر بأنها أرادت تشرين حرب تحريك لا حرب تحرير؛ وفي حقيقة الأمر لم تكن حرب الأسد تلك لا تحرير ولا تحريك بل تعميد. فلم يحرر أرض سورية بل خسر المزيد رغم تضحيات سورية الكبيرة؛ ولا هو حرك كما فعل السادات وحصل على سيناء عبر التحريك، بل انحصر على انجاز تعميده حاكما بامره.

استلزم عقد التعميد ذاك القيام بمهمات لا يمكن أن يقوم بها غيره بحكم تحكمه بالبلد المفصلي في الشرق العربي. يذكر بن غوريون في مذكراته عبارة هامة للغاية تقول:

« إن الخطر على اسرائيل يأتي من الشمال «. كان الجزء الجنوبي الشرقي لهذا الخطر والمتمثل بالجولان قد حُسم أمره عام سبعة وستين وأضحى على رأس حماية ذلك الجزء من سلّمه ذلك العام. والمطلوب الآن حماية الشريط الجديد الفاصل. يبقى الجزء الشمالي مباشرة والمتمثل بالجنوب اللبناني والذي استخدمه الفلسطينيون كمنصة انطلاق نحو فلسطين. وكان لابد من سحق هذا الخطر. فكان إشعال النار الداخلية اللبنانية التي مهدت لدخول قوات الأسد إلى لبنان والقيام بالمهمة الردعية القمعية للفلسطينين وكل من يتعاطف معهم من القوى الثورية الوطنية اللبنانية.

عام ثمانية وسبعين تفلتت الأمور قليلاً في لبنان واستعاد الفلسطينيون أنفاسهم وخاصة في ظل ما اعتُبر انتكاسة كامب ديفيد. وكان لابد من أخراسهم بالقوة وما عادت قوة الأسد تكفي للقيام بالمهمة. فلا يعقل أن يقمع من يعترض على كامب ديفيد وهو يقود حملة الاعتراض عليه فهذا تناقض قد يودي به.

كان على اسرائيل أن تقوم بالمهمة فكان الغزو الاسرائيلي للبنان عام ثمانية وسبعين.

شوش الأسد على كامب ديفيد بقدر استطاعته رغم أمنياته بنجاحه حتى يُزاح من طرقه كل مزاودة في مقاومة اسرائيل. فيضحى المقاوم والمزاود الأول. وهكذا كان فعلاً. ولمزيد من تحقيق أوراق الاعتماد المقاومتيه الصمودية تم تصميم اهتزاز داخلي تمثل بحراك للاخوان المسلمين. جرف عبره الأسد أي معارضة قائمة أو سابقة أو مستقبلية محتملة.(عكر على الأسد أمر

حساس حدث في لبنان تمثل بخلق اسرائيل لشريط حدودي تناوب على قيادته سعد حداد وانطوان لحد: فشعر بان التوكيل المتمثل بالحماية من الخطر القادم من الشمال قد سُحب منه. صعّد الأسد ونسق مع الفلسطينين لينسف مصدامته الوكلاء الجدد)

أتى الخيميني عام تسعة وسبعين من القرن الماضي: أخذ الأسد جرعة قوة لم يدرك أحد مفاعيلها المرعبة إلا بعد أعوام. أخذ الفلسطينيون أيضاً جرعة خلبية وجعلتهم يصدقوا الدعم الايراني، زادت قوتهم في لبنان. عكّر على الفلسطينين الأجواء دعم عرفات لصدام في حربه مع ايران. رفعت اسرائيل درجة خطورة منظمة التحرير في لبنان وتنسيقها مع سورية الأسد فكان غزو اسرائيل للبنان ثانية عام 1982 وكان احتلال أول عاصمة عربية. سُحبت الوكالة من سعد حداد وانطوان لحد. ذهبت الأمور باتجاه اتفاقية مع كل لبنان. فكان اتفاق 17 أيار 1983. جن جنون الأسد. فلا زالت القطيعة قائمة مع عرفات منذ خروجه من لبنان مروراً بملاحقته في المياه اللبنانية وصولاً إلى وقوف قيادة المنظمة الفلسطينية مع احتلال صدام حسين للكويت الذي جعل الأسد يشعر بالنشوة.

يشترك الأسد مع قوات التحالف في إخراج العراق من الكويت فتكون الجائزة مؤتمر مدريد في تشرين الثاني :1991 وكان الهدف سحق الانتفاضة الفلسطينية سياسياً ومكافأة الأصداقاء ومحاصرة عراق صدام التي حلم الأسد بها على الدوام.

يموت الوريث باسل عام أربعة وتسعين. يرتبك الأسد بإعداد وريث جديد تبدأ عملية تهدأة وتهيئة الأجواء العربية والإقليمية وتتم بنجاح ضمن احتضان دولي خفي كان أكثره اتضاحاً استقبال الرئيس الفرنسي شيراك للوريث في قصر الأليزيه بدعم من الحريري، ليساهم كل ذلك في تخفيف الآلام عن الأسد معتل الصحة لتزيد اسرائيل بإراحته وتقديم خروج من الجنوب

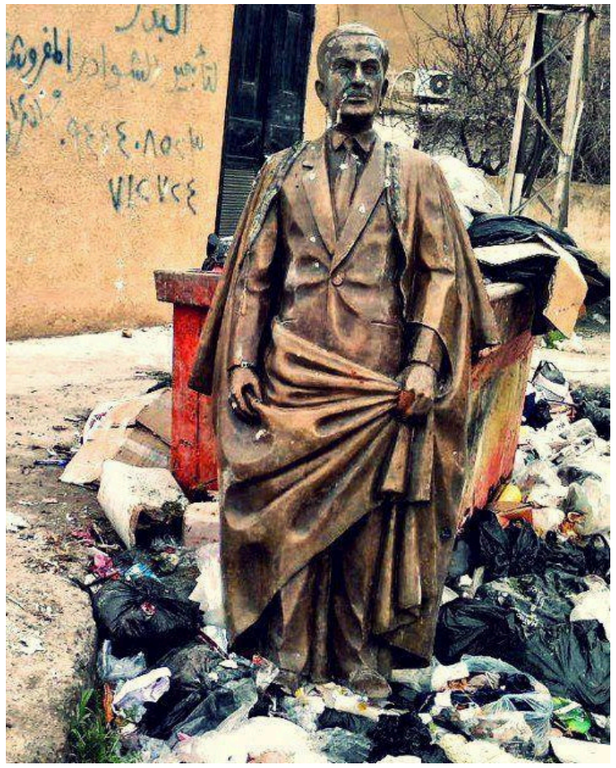

الأسد. لابد وأن تفاعلاً ما حدث عبر ضغط أمريكي بان البديل الحالي للحدود متوفر ابتزازاً أو غير ذلك. فكانت ولادة حزب الله وكان ألغاء اتفاق 17 أيار حيث اعتبر الأسد نفسه من ألغى ذلك الاتفاق. وفعلاً هو من ألغاه ليعطي الاسرائيلين صفقة أفضل بكثير مما حصلوا عليه في ذلك الاتفاق. أصبح لبنان تحت تصرفه بالمطلق لا يعيّن مختار إلا بأذن ممثليه في لبنان. ولا طلقة باتجاه الحدود الشمالية لاسرائيل.

استمر اشتعال الحرب الأهلية في لبنان وتركز بين مكونات خارجة عن مكون حزب الله الذي كان ينمو بقوة في تلك الغفلة والعجالة. اللبنانيون منشغلون بالتقاتل وهو يستمر باستعراضاته المرسومة في الجنوب وفي اختطاف رهائن غربين يطلقهم نظام دمشق لتثبيت أوراق اعتماده غربياً ليحصل على تفويض بأنهاء استعصاء الجنرال عون الذي وضع يده على رئاسة الجمهورية عام 1989 ليستقر حكم لبنان للأسد بالمطلق.

تندلع انتفاضة فلسطين عام 1989، يربك ذلك

> شوش الأسد على كامب ديفيد بقدر استطاعته رغم أمنياته بنجاحه حتى يُزاح من طرقه كل مزاودة في مقاومة اسرائيل، فيضحى المقاوم والمزاود الأول. وهكذا كان فعلا، ولمزيد من تحقيق أوراق الاعتماد المقاومتيه الصمودية تم تصميم اهتزاز داخلي تمثل بحراك للاخوان المسلمين. جرف عبره الأسد أي معارضة قائمة أو سابقة أو مستقبلية محتملة

اللبناني أهدته إياه قبل موته بأيام تاركة إدارة الأمن والأمان و (المقاومة والممانعة) لوكيله ووكيلها حزب الله في الجنوب اللبناني.

مع انهيار الاتحاد السوفيتي وبعد مصير شاوسسكو شبيهه الأساسي، كاد الأسد أن ينكشف عام ثمانية وثمانون بفتح الورقة الأمريكية. لابد أسعده تورط صدام في الكويت فها هو عدو مبين يزيح عن طريقه، وهاهو يجد طريقة لتحالف مباشر مع أمريكا في عاصفة الصحراء وهاهو يلتقي بوش الأب في جنيف ليتمخض عن ذلك دعوة لمحادثات سلام غربية - اسرائيلية برعاية أمريكية الأمر الذي شكّل ذريعة علانية للتقرب من أمريكا. ولابد أسعد الرجل عبارة شامير الشهيرة بأن المفاوضات قد تستمر خمسة عشر عاماً بحيث لن يبقى ما يستحق التفاوض عليه، وهاهي الخمسة عشر عاماً التي حكى عنها شامير تتضاعف عدداً؛ ولازال الأمريكيون يتحدثون عن عملية سلام مروراً بأوسلو وبـ «واي بلانتيشن» وبالوساطة التركية أيام العسل السوري-التركي. وكل ذلك كان مريحاً للأسد الذي مرر في ذلك الأثناء توريث ابنه إثر وفاته.

وإذا ما قفزنا إلى أيار عام 2000، نجد إيهود باراك يتخذ قراراً من جانب واحد بالانسحاب من جنوب لبنان وليصبح حزب الله الحاكم بأمره في الجنوب وصاحب الثقل السياسي في لبنان ربما بتكليف ايراني - اسرائيلي - سوري.

كان وجود شخص كرفيق الحريري عظمة في زور المشروع الثلاثي أعلاه والمبارك أمريكياً. كان لابد للبنان من اهتزاز من نوع ما بعد أن دخل الحريري على خط إعطاء لبنان هيبة الدولة التي تخرج اسرائيل إثر عناقيد غضبها.فالوكالة الحصرية التي تسلم حزب الله أوراقها لا تأخذ أبعادها وثقلها بوجود شخصيات مثل الحريري وجنبلاط وجعجع. الأخير أودع السجن والثاني أخذ التنبيه الدموي عندما جرى استهداف مروان حمادة؛ ولكن الإزاحة كانت قاتلة بالنسبة للحريري .

جذر المسألة أن هناك من لا يريحه راحة لبنان الواحد حتى ولو توفر من يضبط إيقاع الحركة على حدود لبنان الجنوبية وحدود اسرائيل الشمالية حيث يأتي الخطر المحتمل تدريجياً.

يخرج جيش بشار من لبنان إثر اغتيال الحريري، وتقع المهمة على حزب الله أن يعيد النفوذ السياسي السوري إلى لبنان ولكن بالشروط وبضوابط الإيقاع الأيرانية - الحزب ألالاوية

تنتفخ فعالية حزب الله بدخوله في سورية لقتال الشعب السوري المنتفض على سلطته. ايران تتحول بعلنية إلى المتصرف في الشأن السوري وفي الشأن اللبناني من خلال إدخالها مقاتلين حزب الله إلى سورية. لتصل الأمور مع ايران أن تعبّر رسمياً عن ارتباط نظام الأسد باسرائيل. وما العلنيه إلا لوصول الوضع السلطوي السوري إلى لحظته الحرجة الأخيرة.

وإن كان لمطلب تغيير الأسد أن يُلبى فالعنوان هو طهران فخاروفها في دمشق رغم اعتلاله إلا أنه سمين بما يكفي لانجاز صفقة ايرانية - أمريكية ترمم الوضع الأيراني المهترئ.

وشم المواطنين السوريين

إبراهيم الجبين

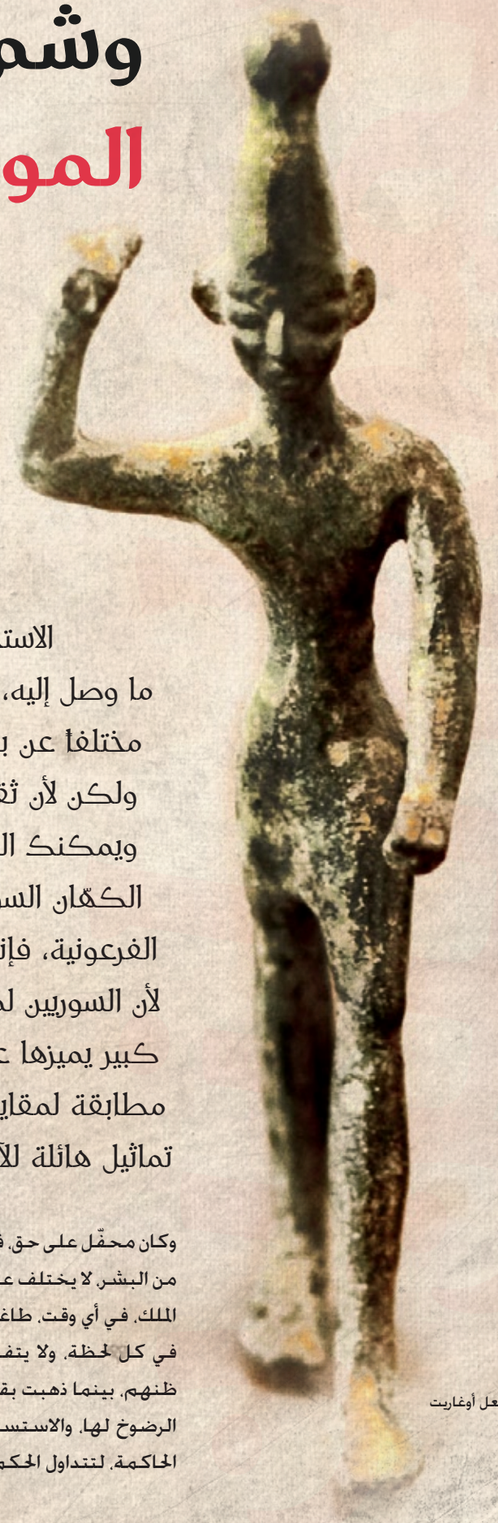

بعل أوغاريت

حدثني المؤرخ السوري الكبير محمد محفل، والذي بقي مع الأسف على حياد سلبي من ثورة الشعب السوري، بعد العام 2011، عن الشخصية السورية تاريخياً، وعبر العصور، مع أنه خان تلك الاستخلاصات الفكرية الهامة، وذهب إلى نقيض ما وصل إليه، قال لي محفل:» الإنسان السوري القديم، كان مختلفاً عن بقية شعوب الأرض، ليس لأنه جيناته مختلفة، ولكن لأن ثقافته الذاتية والمجتمعية كانت مغايرة، ويمكنك النظر إلى تماثيل الآلهة السورية التي صنعها الكهّان السوريون قديماً، بمقارنتها مع التماثيل المصرية الفرعونية، فإنك ستجد فارقاً هائلاً في الحجم والمواصفات، لأن السوريين لم ينظروا إلى آلهتهم الوثنية تحينها بتبجيل كبير يميزها عن الإنسان، فكانت مقاييس وحجوم التماثيل مطابقة لمقاييس البشر، بينما تجد أن المصريين صنعوا تماثيل هائلة للآلهة بمقاييس عملاقة».

وكان محفّل على حق، فالسوريون شعب تداول الإله الملك طيلة العهود الماضية، على أنه واحد من البشر، لا يختلف عنه بشيء، ومن هنا، كان شعور السوري بأنه قادر على أن يكون ذلك الإله الملك، في أي وقت، طاغياً وكبيراً، حتى أن السوريين ذاتهم يجدون في أنفسهم صورة الزعيم في كل لحظة، ولا يتفقون على واحد يقودهم، فكل منهم قادر على قيادة الجميع، حسب ظنهم، بينما ذهبت بقية شعوب الأرض إلى تضخيم الذات القائدة الحاكمة، وعمّمت ثقافة الرضوخ لها، والاستسلام لما تأمر به وتنهى عنه، وتمكنت بعد حين من التحرر من تلك البؤر الحاكمة، لتتداول الحكم في ما بينها.

وفي واحدة من أهم حلقات برنامجي «علامة فارقة» الذي كنت أعدّه واقدمه على شاشة تلفزيون الدولة السورية، استضفت محمد محفل، الذي أتقن أكثر من اثنتي عشرة لغة ما بين قديمة وحية، ولأن فكر المؤرخ عليه أن ينهض من تحت الأرض، أخذت محفّل في مغامرة غير عادية، اثارت استغراب فريق العمل ومخرجة البرنامج السيدة منال صالحية، حين قررت تصوير اللقاء «تحت الأرض»، في قبر مؤرخ تدمري، في متحف دمشق، بحيث لم يكن المكان يتسع سوى لضيفي الدكتور محفل ولي، كي نحصر التاريخ السوري والمعاصر في برهة حساسة لابد وأنها ستؤثر كثيراً على روح وشخصية وكلام محفل الذي كان قد بلغ من العمر عتياً.

قال محفل إن كلمة مواطن في اللغات السورية القديمة، لم تكن تعني مجرد» إنسان» ولكن تكوينها اللغوي كان يقول» الإنسان صاحب الحق في ممارسة السياسة». وعنت «المدينة» أو « المواطنة» والتي قادت إلى معنى ساكن المدينة، أي من يحق له ممارسة السياسة والانتخاب ويخضع للقوانين ويتمتع بالحقوق.

هذا كان رأي محفل، بأن السوريين بتحررهم من الاستعباد لسطوة الآلهة السماوية، تحرروا أيضاً من سطوة الذين نصبوا أنفسهم آلهة من الحكام، فانتقل السوريين بهذا من مجرد أتباع إلى شركاء في الرأي والحكم.

أما الآلهة السورية القديمة والتي كانت تعرف باسم إلوهيم بحسب الديانة السورية القديمة فقد كانت مجموعة من أبناء إل أقدم الآلهة، والتي اجتمعت في المكان الإلهي المقدس في جبل صفون «جبل الأقرع» الموجود في سوريا ويعتقد وجود مقابل له في السماء.

وضم مجمع الأرباب عند الآراميين آلهة من كنعان وبابل وآشور، إضافة إلى آلهتهم الخاصة بهم، وللإله عند الآراميين اسم عام هو «بعل» بمعنى سيّد، ويدعونه أحياناً بعل شميين (رب السموات) كما في نص زكر ملك حماة ولعش . وعبدت إلى جانب بعل الربة الأنثى «بعلت» التي كانت تدعى ملكة شميين (ملكة السموات) ولبعض المناطق والمدن بعلها الخاص بها كبعل حمون وبل تدمر(بعل الأمانوس) وبعل البقاع (بعلبك). واتخذ الآراميون هدد إلهاً للطقس كما في دمشق يرسل الأمطار فيخصب الأرض وينبت الزرع ويسبب الكوارث عندما تنحدر السيول من الجبال إلى الوديان. وكان مقر بعل حمون في الجبل الأقرع «كاسيوس» في اللاذقية الذي كان له في حضارة سورية القديمة ما لجبل الأولمب عند اليونان في تاريخهم القديم. وكانوا يعتقدون أن الزوابع والرعود والبرق من الظواهر التي تدل على هدد الذي كان يطلق عليه في بعض اللهجات اسم أدد أو أدّو ويدعى أيضاً رمّون/ وبتأثير الحوريين أدمج هدد برب العاصفة عند الحوريين تيشوب ورشف عند الحيثيين. وكما تدل الشواهد الفنية يبدو هدد في نحت بارز، في صورة رجل محارب حاملاً الشوكة الثلاثية والمطرقة رمز البرق والرعد. وفي ملاطية يبدو واقفاً على ظهر ثور. ثم اعتنق الآراميون الديانة المسيحية إلى أن جاء الإسلام، الدين الجديد. وما زال بعض سكان سورية الحالية يتكلمون اللغة الآرامية ويعتنقون الدين المسيحي مثل صيدنايا و معلولا قرب دمشق. وأهم معابد هدد في دمشق و حلب ومنبج (هيرابوليس) وبعلبك (هليوبوليس). وفي العصر الروماني عبد هدد في بعض المعابد بتأثير الثقافة الكلاسيكية اليونانية ـ الرومانية باسم جوبيتر، وعرف في دمشق باسم جوبيتير الدمشقي. وفي منبج عبدت الربة السورية أثارغاتيس إلى جانب هدد، وكانت هذه الربة صورة مطبوعة بالهلينية لعشتاروت وعنات، وكانت تدعى أيضاً «بنيت» أي ربة الذرية والنبوة وقد حمل الآراميون عبادتها من جبل سمعان وجبل بركات في سوريا إلى وادي النيل. ووصف الكاتب السوري لوقيان السميساطي (125-192م) الذي كتب باليونانية، معبدها في منبج في كتابه عن الآلهة السورية، واختلطت عبادات الآراميين بعبادة آلهة أخرى عند جيرانهم، مثل إل الكنعاني الذي كان يعد أباً لكل الآلهة، وأقاموا لهم بيوت العبادة حيثما حلوا، و سن إله القمر عند الرافديين ويدعى بالآرامية شهر، ونابو رب الحكمة في بابل الذي حملوا عبادته حتى أسوان، وشمش إله الحق والعدل في آشور وبابل.

كان للآلهة السورية طبائع البشر، وللبشر السوريين طبائع الآلهة، ولم يكن هذا امتيازاً، بل لعله كان لعنة كبرى، أصابت حياتهم وتاريخهم، فجعلتهم متناثرين عبر الأزمنة وعبر الجغرافيا، فلم تتوقف هجراتهم يوماً، ولا نزوحهم، ولا انديا حهم نحو كل مكان.

والسؤال اليوم، هل يتوجب على السوريين الهبوط إلى الأرض من ذهنية رافقتهم طويلاً، كي يدركوا أنهم بشر مثل غيرهم، يصيبون ويخطئون، ويمكن أن يقودهم أناسٌ منهم أو جهة أو تيار، دون أن ينقضوا عليه مفتتين قدرته على العمل؟ هل يمكن أن يتخلوا عن يقينهم بقدراتهم الخارقة على فعل كل شيء وفي كل وقت؟ تصعب الإجابة على تلك الأسئلة، ما دام العارفون منهم مثل الدكتور محمد محفل قد تخلى عن يقينه العميق بحرية التعبير، ليتحول إلى شبح إلى جوار سفاح سيذكره التاريخ، كواحد من أبشع من مرّ على سوريا والسوريين، وما دامت المعرفة لم تنفع سورياً مثل محفل، فما الذي سيجدي مع من هو أقل معرفة منه؟ التجربة العنيفة التي يرمون بها؟ المزيد من بحور الدماء؟ لا شكّ أن المعرفة هي الأداة، ولكنها كغيرها من أدوات الدقة، تعمل بطريقة الخطأ إن وضعت في يد الرجل الخطأ.

في النظرية السياسية للإسلام

رياض درار

1

الإسلام يدعو إلى إنسانية شاملة ،لكنه ليس مشروع دولة كونية ،بل هو مشروع ديمقراطيات تتعدد بتعدد المجتمعات ،وتشترك في فضاء الحرية ،وتعمل على اختراق الحضارات للتكامل بينها وللتواصل والتعارف والتثاقف .

وحين دعوت إلى إقامة بناء وطني يقوم على عقد اجتماعي تتلاقى فيه العلمانية مع الإسلام ،عنيت بذلك تشكيل مرجعية مشتركة للجميع على أرضية المواطنة المشتركة التي تخدم الحرية الفردية ..وتقيم المساواة والعدالة الاجتماعية ..وتحترم التعدد الديني ....وتؤسس التضامن الوطني...عكس ما تكون عليه المجتمعات التقليدية التي تقوم على القهر والإذعان ،وتتصف بأنها مجتمعات عصائب وطوائف وعشائر لا ديمقراطية فيها ،لأن السلطة فيها مطلقة والنخب الحاكمة فيها تتماهى مع الدولة وتنشد الخلود لقادتها ولسان حالها يردد إنه ثوب ألبسنيه الله ...وحاشى لاحتكار الحكم أن يكون من عند الله.

2

الديمقراطية من مستلزمات العلمانية.. والعلمانية تلتقي مع الإسلام من هذا الجانب من تعريفات العلمانية : أن العلماني غير كهنوتي وغير مقدس..

وفي الاسلام لاكهنوت ولاقدسية إلا لله_المطلق _وكل أمر نسبي لاقدسية له ،وإنما هو شأن علماني ..أي دنيوي ..والرسول الكريم أشار إلى هذا بقوله /أنتم أعلم بشؤون دنياكم /وهذه اشارة إلى معنى آخر للعلمانية ..وهو المادية ،بمعنى أنهامجرد قطاع من قطاعات الحياة يشير إلى الاعتقادات والممارسات التي تقوم على العقل..

والاسلام بدوره استند إلى العقل في اعتماد الأحكام وما يمس حياة الناس ..يقول ابن رشد في فصل المقال /وإذا تقرر أن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها،وكان الاعتبار ليس شيئا»أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه..وهذا هو القياس ..فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي / واستند إلى العقل في إدارة الحياة الدنيا ..وعليه يكون العلماني هو الإنسان المشغول بأمور المعاش في الحياة الدنيا ،ويقابله الكاهن المنقطع في المؤسسة الدينية ،أو الشيخ المرتبط بتحقيق المسائل الدينية ..إذ الشيخ والكاهن لاسلطة لهما إلا سلطة التوجيه والتذكير /فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمسيطر .إلا من تولى وكفر .فيعذبه الله العذاب الأكبر/ سورة الغاشية....

بهذا المعنى تكون العلمانية رؤية إجرائية للواقع لا تتعامل مع أبعاده الكلية والنهائية كمعرفة ، ولا تتسم بالشمول ، وتلتزم الصمت تجاه مجالات الحياة الكبرى الأخرى (المطلقات _والكليات الأخلاقية والدينية _والماورائيات) ولذلك لا تتفرع عنها منظومات معرفية أو أخلاقية ،بل ترى الإنسان يعيش رقعة حياته العامة وحسب ،وتترك له حيزه الذي يتحرك فيه ، وفي هذا لا تتعارض مع الإيمان الديني .

3

والدولة في النظام العلماني تقوم على الحرية لجميع أبنائها ،ولاتتدخل في معتقداتهم ،بل تحمي الجميع ،ولا تتبنى دينا « تفرضه أو تلزم به أحدا».

والإسلام يمتلك شريعة تمثل ثروة قانونية شاملة لمكونات الحياة ،ومن ثمة يمكن أن ينبثق عنه نظام يمكن أن يحل محل الأنظمة الحاكمة ..ويتجاوزها باستيعاب الآخر وفق ما جاء في دستور المدينة الذي أكد على المواطنة وعلى المساواة .

إن أنظمة قامت باسم الإسلام فرضت رؤية أصحابها ..وعمل علماء السلطة وفقهاؤها على ربطه بمصالح السياسيين ،خلافا»لروح الإسلام ودعوته ..وبعيداً عن تطبيق الرسول في بداية الدعوة التي قامت عليها حكومة المدينة المنورة .

فالصحيفة التي جعلها الرسول بينه وبين سكان يثرب بمختلف انتماءاتهم ،كانت أول دستور أعلن أن الدولة تقوم على مبدأ المصالح المشتركة بين الناس ،ولا تعتمد مرجعية المشايخ والكهان.. وهي احتوت على مبدأ دستوري يدور حول حقوق المواطنة ويؤكدها ، وحول حقوق الإنسان ،وحرية التدين ،وقامت على معيار الكفاءة لا الولاء

والصحيفة التي تأسست عليها دولة المدينة كانت إعلانا» دستوريا»يتفق مع التوجه العلماني الأصيل للإسلام ....(هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين من قريش وأهل يثرب ،ومن اتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ،إنهم أمة واحدة من دون الناس ..وإن من اتبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ،ولا متناصر عليهم ....)

لقد كانت الصحيفة دستورا «ملزما» لأهل المدينة، من المسلمين والأربع عشرة قبيلة وثنية ومسيحية ويهودية، أكدت نقطتين رئيستين تجمعهما العبارة الشهيرة اليوم (الدين لله والوطن للجميع). وقد جعلت كل الفئات المختلفة دينياً وحدة وطنية سياسية متعايشة، حيث الجميع أمة واحدة من دون الناس ،يجمعهم وطن واحد هو يثرب، يتساوون في الحقوق أمام الحكومة بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية،ويتضامنون في الدفاع عنه إذا تعرض لأي اعتداء خارجي .

4

بهذه الروحية / روحية الصحيفة / يمكن التقارب مع الرؤية العلمانية التي تقوم على فصل الدين عن الدولة ،حيث أن الدولة ضرورة ، ومنشأ ضرورتها النظام والأمن والإعمار ،لأن عدمها جور مطلق على حد قول الإمام علي /لابد للناس من أمير بر أو فاجر /..بل قيل في مأثورات العرب / سلطان غشوم خير من فتنة تدوم/.

وعلينا أن نلاحظ أن رؤيتهم لوجود أمير فاجر أوغشوم يتعارض مع الأمان الاجتماعي الذي هو من وظيفة الدولة ..وهو الذي ينشده الإسلام لحامليه ..لكنهم قالوا ذلك وفق وعي اجتماعي لا وفق فقه إسلامي ...والوعي الاجتماعي يتغير تبعاً لتغير وعي الأفراد لأدوارهم ومواقعهم وحقوقهم وواجباتهم حيث تتغير المفاهيم والوظائف ،وبذلك يتغير شكل الدولة أداء وأدواراًومصدر شرعية وآليات تطبيق ...هذا التغير هو مصدر عدم تنميط الدولة بكونها إسلامية أو ليبرالية أو اشتراكية بشكل مطلق ....إن تنميط الدولة يصادر حق المشاركين فيها من التعبير عن انتماءاتهم أو رؤاهم أو معتقداتهم ،ويلغي التنوع الذي هو من سمة الإنسان، ومصدر حيوية العالم

وإن الاعتراف بالتعدد والتنوع البشري سمة أساسية في الإسلام لا تقوم دولة بدونه ..ولا تبنى إلا على أساس الاعتراف به وبوجوده.

الصحيفة التي جعلها الرسول بينه وبين سكان يثرب بمختلف انتماءاتهم، كانت أول دستور أعلن أن الدولة تقوم على مبدأ المصالح المشتركة بين الناس ،ولا تعتمد مرجعية المشايخ والكهان.. وهي احتوت على مبدأ دستوري يدور حول حقوق المواطنة ويؤكدها، وحول حقوق الإنسان، وحرية التدين، وقامت على معيار الكفاءة لا الولاء

في بيت، يرتفع عن أرض الدار بثلاث درجات ورابعةٍ عبر العتبة، اكتحلت بالنور عيناه. وكان على باب هذا البيت (وفي حلب يسمّون الغرفة بيتاً) ياسمينةٌ من يمين وشجرة نارنج من يسار. وفي أرض الدار أحواض، أجمل ما فيها شجيرة «العَسَليّة»، المتفرّعة بغزارة، تملأ في شهر نيسان/ابريل الفضاء عطراً أخّاذا، غصيناتٌ رفيعات، مثل حبال من حرير، مبسوطةٌ هكذا، تنتظم أزهاراً مرصوفة على جانبَي كلّ غصين، يتعانق فيها اللون الأبيض مع العسليّ المتدرّج (سُمّيت في حلب «العسليّة» وفي دمشق «الياسمين العَرائلي» لشبه زهراتها بالرُّتَيْلاء!).

مقالات وآراء

كانت الجدّة، «الحجّة خديجة»، المولعة بالزهر والنبات، تمارس هوايتها: تتفقّد «أولادها» عصر كلّ يوم، بادئةً جولتها من حول «البركة» (البَحُرة، الفُسقيّة)، التي اصطفّت على حوافّها الأُصُص، يتماوج فيها الأخضر والأحمر والأصفر وكلّ الألوان، تسحب بأصابعها المعروقة ما جفّ وذبُل، نابشةً التربة بقضيب، ثمّ تنادي حفيدها البكر بين الأحفاد، أن يأتي بالماء يَسقي، فيذهب إلى حيث «الطُّرُمْبَة»، يأخذ ذراعها الطويلة، يضخّ إلى أن يمتلئ سطل التوتياء الثقيل، فيحمله، ويَسقي، ثمّ يتلقّى من الجدة: «الزرعات تدعو لك!»، فيتراءى له أنّ عرقه قد جفّ وأنّ العناء زال.

في البركة، الممتلئة من ماء «القناة» الجارية بين البيوت عبر «قساطل» من فخّار، كانوا، في الصيف وهم ساهرون في «الليوان» (غرفة وسيعة بثلاثة جدران دون الرابع)، يُلقون بـ«الجَبَسة» في مائها... كي تبترد (لم يكونوا قد عرفوا «البرّاد» في ثلاثينيات القرن الماضي)، فيقوم هو يدفع الجبسة بأنملته الصغيرة، فتغرق، ثمّ تطفو و«تمخُر» في الماء مثل قارب في بحيرة، قبل أن تتناولها أيادي نسوة الدار، بالكسر والتحزيز والتفريم، فيبلّوا بها حلوقهم، ويقولون: الحمد لله ربّ العالمين!

يخرج يلعب في الحارة مع أترابه، حجارة يرمونها بحذاقة، وكِعابًا من عظم، وقفزًا على الظهور... يتوجّهون إلى الجامع الأموي يصلّون، وبغفلة من حرّاسه يتراكضون.

وليس ينسى الطفل يوم صحبتْه أمّه، صباح يوم، راغبة في أن تسجّله في مدرسة الحيّ. يقول لها مدير المدرسة: «ابنك صغير لم يكمل الخمس سنوات، يا أختي، نسجله لك في العام القادم»، فتردّ عليه: «ولكن نحن جيران، يا أمين أفندي، دكان أبوك «الكَرَسْتَهْ جي» في راس الحارة!»... وتسحبه من يده وتخرج به، منقادًا لأمّ «مهزومة» لكن بدت له «شجاعة» وهي تناضل من أجله!

ثمّ إنه قُدّر لهم أن يغادروا هذه الدار، وهو لمّا يبلغ سنّ الفتوة، إلى حيّ حديث، ولكن ما كان للبيت الذي ولد فيه، للدار التي ركض في أرجائها، لسطل التوتياء الثقيل، للزقاق - «زقاق الزهراوي» - الذي لعب فيه مع أترابه، أن يخرج من خاطره!

كان يشتاق للزقاق، فيأتيه... يمشي فيه، يدور في منعطفاته، يجوس في أرجائه: هنا بيت الصديق الذي لا أنسى مودّته! هنا بيت من تعاركت معه مرة ثمّ عدنا أكثر ودّا! وهذا بيت الصبيّة رفيقة أختي التي ألجأها أهلها إلى ترك المدرسة منذ حجّبوها! وهناك بيت حضر فيه مع أمّه وأخته حفلة زفاف، رأى فيها العروس بزيّها الأبيض وهي تتعلّق بذراع عريسها، والزغاريد تعلو...

ذكرياتٌ وذكريات... وتلالٌ من أشواق وآكامٌ من حنين...

إلى أن جاء «زمن التجارة»، فكانت هجمةٌ على الزقاق، وإنه لقريب من الأسواق التجارية... «كم تظنّ بيتك يساوي؟ خذ ضعفه وارحل!».

ويتحوّل الزقاق، في غفلة من الزمن، إلى أسواق: إطلالات البيوت أصبحت محالّ تجارية، وما وراءها مخازنَ ومستودعات. والبَرَك أُزيلت، واجتُثّت أشجار النّارِنْج والياسمين والعسليّة... وفضاءات العطر الأخّاذ احتلّتها رائحة عفنُ البضائع المتكدّسة.

ولم يعد باقياً... إلّا الذكريات...

الذكريات؟!

يوم هبّ الناس يطالبون بالحريات المفتقدة، أصبح يُلقى القبض على أحدهم، وفي التعذيب يُصرخ به: «بدّك حريّة؟ اي خودْ حريّة!».

وشاع، مع القتل، الدمار.

وأولئك، الذي يَعْتَلون سطح القلعة، جعلوا يُمطرون العمائر تحت أبصارهم بما في أيديهم من آلة دمار، وضُرب «الزهراوي»، ولعبت النار في محالّه ومستودعاته... وأصبح المكان، الذي كان يومًا بيوتا آهلة وأسواقا تتزاحم فيها المناكب، أثرا بعد عين.

وجفّت المآقي...

ما بقي هو الذكرى... وهل تموت الذكريات؟

2014-10-23

بين
"بو عزيزي" و"يان بلاتش"
ربيعان بنهايات مختلفة

الحال الذي وصلت إليه دول غرقت حتى آذانها في وحول ما انبثق عن ثورات أبنائها، يدفعنا للعودة بالذاكرة إلى اليوم الأول، يوم انطلقت الشرارة التي أشعلت فتيل النيران الملتهبة..

بداية، ولأن الشعوب كثيرا ما تتعلم وتتأثر بتجارب بعضها البعض، قد يكون من المفيد العودة عدة سنوات إلى الوراء، والتذكير بما أطلق عليه ربيع براغ..

بعد أن اجتاحت الدبابات السوفياتية تشيكوسلوفاكيا عام 1968 على أثر حركة "المنتدى المدني" التي كان من مؤسسيها الكاتب المسرحي "فاتسلاف هافل" وقمعت ربيع براغ ومحاولات إصلاح (وليس إسقاط) الحكم الشيوعي في البلاد، وهو الحكم الذي كان قد وقع بنفسه على التزامات دولية للإصلاح، حاول السياسيون تحقيق نوع من حكم ائتلافي وإن كان صوريا بهدف المضي في طريق تحقيق حريات أوسع ومحاولات لمحاربة الفساد.. غير أن شيئا من وعودهم لم يتحقق ما جعل فاتسلاف هافل يشارك في صياغة وثيقة سميت "ميثاق 77" احتجاجا على قمع الحريات في بلده، ثم ساهم بعدها في تأسيس "لجنة الدفاع عن المضطهدين عام 1979..

غير أن الاحتجاجات تحولت بعد ذلك من تنظيم مدني إلى شعبي في ما سمي الثورة المخملية، وأحرق الشاب "يان بالاتش" نفسه بعد قمع الأمن للحراك الشعبي وهو ما أدى إلى نزول المحتجين بمئات الآلاف وجعل حتى الدبابات السوفياتية عاجزة عن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.. حدث هذا عام 1989..

ميساء آق بيق

في تونس كان هناك شاب يدعى "محمد البوعزيزي" مات والده وهو صغير فبدأ يعمل في بيع الخضار وهو في سن الثانية عشرة كي يعيل عائلة فقيرة مكونة من سبعة أفراد.. أثناء حياته كبائع خضار تعرض كما كان يتعرض كثير من المواطنين لمضايقات وإساءات الشرطة.. ففي إحدى المرات استولت الشرطة على صندوق عنب منه، وعندما حاول الاحتجاج هددوه بمصادرة بضاعته كلها.. أمر شبيه بهذا حدث يوم 17 ديسمبر/كانون الأول عام 2010 عندما صادرت شرطية اسمها فادية حامدي بضاعته وأرادت أن تصادر ميزانا الكترونيا لم يكن ملكا له، بل كان يستأجره، وعندما اعترض أرادت توقيفه، وخلال هذا الإجراء صفعته على وجهه وهو الشاب الذي بلغ ستة وعشرين ربيعا.. هذه الرواية التي وردت على لسان والدة محمد، وهي رواية تنفيها الشرطية بالطبع وتزعم أنه شتمها وجذبها من لباسها الذي يحمل العلم التونسي (...!)

إهانة البوعزيزي هنا هي صورة حية عن استهانة القوات الأمنية التي كانت تتحكم في البلاد بالنفس البشرية وبحقوق الإنسان والمواطنة والقوانين.. تقول والدة البوعزيزي إن ابنها عندما أحرق نفسه احتجاجا كان يعتقد أنه سيلفت النظر ويعالج في المستشفى، ولم يكن يتخيل أن ما فعله سيودي بحياته، غير أن ما حدث أطلق صفارة إنذار في البلاد، نبهت الطبقات المطحونة، وهي الأغلبية في أكثر الدول العربية، إلى أن هذه الإهانات والمحاربة في لقمة العيش ستستمر إلى ما لا نهاية، وربما تزداد سوءا وبشاعة وقسوة إذا لم يقوموا معا ضدها.. فكان ما كان..

قد يبدو ما سبق وكأنه مقدمة طويلة، لكن القصد منه هو أن بداية القصة هي ما ينبغي أن تكتب نهايتها.. كيف ذلك؟

الحكام الذين سيطروا على مقدرات البلاد في المساحة الجغرافية بين المحيط والخليج، وأعوانهم وحلفاؤهم، ثبتوا أركان حكمهم بوسائل كثيرة أغلبها قذر، وتمرسوا بالخبث والحنكة والدهاء، واستعانوا بخبراء ومستشارين في إلهاء الشعوب وتحويل بوصلتهم، وهكذا بدلا من أن ينصاعوا لرغبات شعوبهم فيحافظوا على استقرار البلاد باستئصال جذور الفساد والقضاء على الفاسدين وإطلاق يد السلطات التشريعية والتنفيذية لنشر العدالة المفقودة بين الناس، وفتح المجال لحريات أوسع بالتدريج في وسائل الإعلام والمنابر الفكرية والسياسية من دون قمع أو كم أفواه أو سجون رأي، قرروا محاربة إرادة الشعوب.. فمنهم من هرب بما استطاع سرقته من موارد بلاده وعرق شعبه، ومنهم من قرر حملة إبادة شاملة ضد هذه الشعوب المطحونة أصلا من الظلم والجور والطغيان، فانهارت الدولة ومؤسساتها التي كانت أصلا قائمة على أركان من ورق.. هنا وجدت الناس نفسها تائهة تبحث عن ملاذ آمن وسقف وطن تستظل به فتشرذموا بحسب بيئاتهم وتعليمهم ودرجة وعيهم وتفرقوا شيعا بين تعلق بأهداب مجموعات دينية لم تكن قد نظمت نفسها بشكل جيد أو محدث، وبين من بقي متعلقا ببقايا ماض عروبي من أحزاب تعيش على أجهزة الإنعاش، وبين من يرى في النموذج الغربي حلما قابلا للتطبيق بشكل كامل في المنطقة من دون تعديل أو دراسة وهو شيء غير واقعي، وبين رافض لكل ذلك ويبحث عن هوية، فكانت النتيجة أن ساد الهرج والمرج وتقاتلت التيارات، كل يريد أن يفرض رؤيته على الآخر..

في حقيقة الأمر فإن أي بلد يحتمل وجود جميع هذه الأفكار أو الأحزاب باختلاف أهدافها ورؤاها، لكن المصيبة تكمن في عدم وجود بلد من أساسه بسبب تخلي أولئك الحكام عن ما كان المفروض أنه مسؤوليتهم ووظيفتهم في ضبط إيقاع الوطن..

وبالعودة إلى ربيع براغ فإن ما يميزه نقاط متعددة ومتشعبة، أولاها يتمثل في أن شرائح الشعب المختلفة اصطفت مع بعضها البعض لهدف واحد، فلم تتشتت أفكارها وغاياتها، ولم تتوقف عند صغائر الأمور، بل ثبت الجميع عند مطالبهم الأساسية التي قاموا من أجلها.. فعندما أحرق البوعزيزي نفسه لم يكن يحلم بشكل دولة إسلامية أو شيوعية أو علمانية أو غير ذلك من أشكال الدول التي تتفق الشعوب على تشكيلها فيما بعد بناء على دستور مدروس واستفتاءات هادئة وحملات توعية.. كل ما كان يريده البوعزيزي ويطمح إليه هو ونظراؤه هو تحقيق العدالة والكرامة بأي صورة جاءت..

غير أن خبث ودهاء المتحكمين بشعوب المنطقة ومعرفتهم بالجهل والغوغائية المستشرية بينهم شتت شملهم وجعلتهم يضعون العربة قبل الحصان، فتقاتل الناس على شكل المستقبل قبل تأمين الحاضر وتحقيق الاستقرار الذي يحقق رؤية الجميع..

النقطة الثانية التي ميزت ثورة براغ هي أن مكون الشعب في تشيكوسلوفاكيا متقارب، ما جعله يصطف مع بعضه البعض وجعل رجال أمن وشرطة ومسؤولين ينحازون إلى عامة الشعب، في حين تخرب المشاعر الطائفية قدرة سكان الشرق الأوسط على المحاكمة العقلية مثلما تدور الخمرة في رؤوس السكارى فتمنعهم من رؤية الأمور بوضوح، ناهيك عن استعجال من طرف في فرض دولة خلافة إسلامية قبل تأسيس أركان منطقية لها ومركز نموذج مستقر يمكن أن يشكل منطلقا للوصول إلى الغاية أو الهدف، أو مقاومة من طرف مقابل لأي شيء يحمل اسم الإسلام من دون طرح مشروع بديل مطمئن وجامع..

أما النقطة الثالثة وربما تكون حجر أساس فهي أن محاولات التغيير والإصلاح في ظل الحكم الشيوعي الشمولي في تشيكوسلوفاكيا استمرت أكثر من 20 عاما.. خلالها كان الناس يتحدثون في هذه الشؤون وفي المنتدى المدني الذي قام عام 1968، وبقوا يطورون أدواتهم ويراقبون مؤسساتهم بهدف الوصول إلى صيغة أفضل لبناء دولة يطمحون إليها، وهو ما لم يحدث في أي دولة عربية قام شعبها فجأة من دون أن يفكر قبل ثورته ولو للحظة بأنه سيثور على حاكمه.. بل إن الأهم من ذلك كله، أن فاتسلاف هافل أحد قياديي ربيع براغ، لم يقتله أحد ولم يخفه أحد وراء الشمس أو يقطع جسده إلى أشلاء، بل بقي حيا يناضل مع شعبه ويدافع عن حقه في الكرامة والحياة حتى صار رئيسا لبلاده بعد انتصار الثورة المخملية..

الواقع السوري في الحروف التائهة

لا يمكن للأدب الذي يحمل شيئاً من موضوعية الفكرة ومِثلها من الصدق الفني، إلا أن يكون صورة معبرة عن الواقع الذي يعيشه الكاتب، وإن بخطوطه العامة. فهذا وليد إخلاصي، على سبيل المثال، في روايته الحروف التائهة، تراه، وبغض النظر عن رأيه فيما جرى ويجري في سورية من أحداث استدعتها السلطة الظالمة، على نحو أو آخر، لمنع تحقق أحلام المواطنين السوريين في الحرية والعدالة بمفهومها الأوسع والأشمل، يحاول أن يرصد حال سورية في فترة زمنية محددة، هي الفترة الأولى من بدء تعطيل السياسة وأدواتها في منابعها الطبيعية الرئيسة، وهي في عصرنا، الأحزاب السياسة وصحافتها، إضافة إلى مصادرته الحريات العامة بأنواعها من المجتمع، بدءاً بكتم الرأي واللسان، وانتهاء بسد منافذه وكواه الضيقة أصلاً..! أبطال الرواية

محمود الوهب

يبدأ وليد إخلاصي، حروفه التائهة بتعريف القارئ إلى ملامح أبطاله الرئيسة، يأخذه من يده ليريه سيرورة هؤلاء الشباب السبعة متعددي الآراء والانتماءات، وإلى كيفية التنكيل بهم على يد النظام الجديد الذي حكم البلاد السورية مع بداية الستينيات من القرن الماضي، باسم حزب البعث، وفي ظل الحذاء العسكري، مغيباً ملامح أول تجربة ديمقراطية ناجحة في سورية. فترى إلى هؤلاء الأبطال الحالمين، وقد وضعتهم السلطة الجديدة، لا خارج إطار العمل السياسي فحسب، بل خارج العمل الثقافي ما يعني خارج الحياة أيضاً.. فهذا إلى الإهمال في ركن مهجور، وذاك إلى السجن، وثالث إلى بلاد المهجر هرباً من خوف وضيق، ورابع إلى الفناء الكلي، وهكذا.. وكلهم شباب في مقتبل العمر، وقد جمعتهم زمالة مدرسة المأمون في مرحلتها الثانوية، وهم يتطلعون بشغف زائد إلى الصبية فضيلة الأخاذة بحسنها ودلعها، في ثانوية معاوية المجاورة، وعبر شارع اسكندرون، والفتاة لا تخفي تقبلها، على نحو أو آخر، لكل منهم ومسايرته، إلى هذا الحد أو ذاك، لكنَّ المشكلة أو بؤرة الصراع الدرامي في الرواية، تكمن في أن كلاً من هؤلاء الشباب يريد الاستئثار بفضيلة حبيبة خاصة، له وحده، لا أحد يشاركه فيها.. ولا يخفى على القارئ، ومن خلال التمعن في آراء هؤلاء وأفكارهم ومعتقداتهم وهواياتهم، حقيقة رموزهم الأدبية التي تشير بوضوح إلى انتماءاتهم السياسية والثقافية، فهم يمثلون الأحزاب السياسة التي كان لها وجودها المفروض بسريان حكمة التاريخ والواقع السياسي الصحي في مرحلة الخمسينيات، وربما -وهذا يتماشى مع طبيعة الأمور- لهم أيضاً تطلعات، بل لبعض أحزابهم، في الاستيلاء على مقاليد الحكم بغية تنفيذ برامجهم، وسياساتهم المزمعة. ويفسح الروائي، في المجال لتمكّين بعض هؤلاء من الزواج بفضيلة لفترة زمنية محددة تزيد أو تنقص، وبزمن من العسل العذب أيضاً، إلا أن الطلاق في النهاية يأتي على معظمهم كقدر محتوم، لا مناص منه.. وتستمر هذه اللعبة الفنية إلى أن تقع فضيلة التي هي في الرمز سورية الوطن، بين رجلين لا يمثلان أي تيار سياسي، لكن معظم التيارات السلطوية، إن لم أقل جميعها، تحتاجهما.. إنهما:

الجلاد «تركي» ضابط الأمن المرموق، وحامد رجل الدين اللامع، وهما من يمثل الوظيفتين اللتين لا استمرار لأي سلطة استبدادية من دونهما، ومن دون سلطانهما ونفوذهما الفاعل والمؤثر على الشعب ترغيباً وترهيباً على حد تعبير لينين أحد دهاقنة السياسة..!

رؤية الأديب

لقد شخَّص وليد إخلاصي الحال المرئية، وصوَّر ما كانت تراه عين الأديب الفنان، لكنه لم يستطع أن يتنبأ، وربما لم يكن بمقدوره، أن يرى الأحداث المقبلة التي ستأتي نتيجة طبيعية لما حصل فالمقدمات غير الطبيعية تعطي نتائج غير طبيعية.. إن ما يجري في سورية اليوم لم يكن نتيجة مؤامرة أو مؤامرات كما يحاول النظام الاستبدادي أن يفسر الأحداث، والحياة بطبعها لا تجري وفق هذا النمط من التفكير السطحي، بل هي تمشي وفق أي بناء، لبنة فوق لبنة، فثمة قانون في الحياة يقول:

إن لكل فعل ردة فعل تساويه في القوة وتعاكسه في الاتجاه.

وما حصل، وفي الأسلوب الذي أتى عليه، هو نتيجة حتمية لهذا القمع الطويل، وهذه السيطرة الفئوية الضيقة على مقاليد البلاد، إضافة إلى العمل المتعمد في العقدين الأخيرين على تحويل البلاد إلى حال من التخلف المبرمج، وخصوصاً في حقول التعليم والاقتصاد واستثمار الموارد البشرية، لا يضاهيه أي تخلف وتكفي الإشارة إلى أنَّ جامعة تشرين جاء ترتيبها وفق الروائز القياسية العالمية بعد ثمانية آلاف جامعة في العالم، ولعل بعض ما حصل ناجم عن السكوت عن الفساد الذي كادت أن تحوز سورية رتبته الأولى على نطاق العالم.. فأي تخلف هذا؟! مقارنة

وفي عودة للرواية يمكن الإشارة لجهة الرموز والدلالات إلى رواية ميرامار لنجيب محفوظ التي صدرت في ستينيات القرن الماضي ومحورها الفتاة «زهرة» القادمة من الريف، والعاملة في بنسيون ميرمار، إذ يحاول أبطال الرواية برموزهم المختلفة، وجميعهم يمثلون المرحلة التي سبقت الثورة، النيل من زهرة التي تمثل مصر، والاعتداء عليها، وإذا كانت رواية نجيب محفوظ قد تناولت تلك المرحلة المفصلية من تاريخ مصر، ووقفت إلى جانب القوى السياسية الصاعدة مدينة رموز المرحلة الزائلة.. فإن رواية إخلاصي أتت على تصوير المراحل نفسها في التجربة السورية بدءاً بالخمسينيات وحتى السبعينيات لكنها لم تُدِنْ ولم تؤيد واكتفت بالتصوير الدقيق تاركة للقارئ حرية الاستدلال والتأويل عبر رموز، كما أسلفت، إلى ما آلت إليه الأوضاع، ولعلها أقرب إلى إدانة المرحلة الحاضرة منها إلى الماضية.. ويبقى اختيار المؤلف للعدد سبعة، هو مجموع الحروف أي أبطال الرواية، ربما جرياً على عادة العرب في تفضيل هذا الرقم.. ولعله يشير إلى أهم الأحزاب التي كانت قائمة في المرحلتين السابقة واللاحقة..!

توثيق الرواية

الصدور الأول للرواية كان عن وزارة الثقافة السورية عام 2007، وقد جاءت في مئة وسبعين صفحة من القطع الكبير. أما الطبعة الثانية فكانت بحلة جديدة، صدرت عن دار نون4 بحلب، وحجمها مئتان وثماني صفحات من القطع المتوسط.

هل تتخلى إيران عن الأسد ليواجه مصير المالكي بالعراق؟

يُعول الكثيرون من المتفائلين بحلحلة قريبة للأزمة السورية، على إمكانية أن يواجه نظام الرئيس السوري بشار الأسد نفس المصير الذي لاقاه رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، عقب تخلي طهران عنه، وحدوث تناغم غير مباشر في الآراء بينها وبين بعض الأنظمة العربية الرائدة، لاسيما من منطلق تهديدات تنظيم الدولة الإسلامية الشهير بـ«داعش»، والذي دفع طهران للتخلي عن «المالكي»، الأمر الذي دفع بدوره كثيرًا من المتفائلين بتوقع تخلي إيران عن دعمها المستميت للأسد ونظامه.

محمد خالد

وتلعب إيران (إحدى الدول الداعمة لنظام الرئيس السوري بشار الأسد) دورًا بارزًا في هذا الإطار، كما لعبت دورًا واضحًا في مصير «نوري المالكي» بالعراق، إذ أن تخليها عن «المالكي» وتوافقها مع مطالب ورؤى أنظمة عربية كان أحد الأسباب التي أدت لاستبداله، وهو الأمر الذي حال حدوثه فيما يتعلق بالملف السوري، وقيام إيران بالتخلي عن الأسد، فإن «الأسد» بطبيعة الحال سوف يواجه نفس مصير «المالكي» من منطلق التخوفات الناجّة في الأساس من أزمة تنظيم «داعش».

«إيران تخلت عن دعمها للمالكي في العراق، ومن ثم واجه المالكي ما واجهه من مصير، وحال تخليها عن الأسد، على ضوء أي اتفاق ضمني بينها وبين بعض الأنظمة العربية، وعلى رأسها السعودية، من منطلق الاتفاق حول خطورة تنظيم داعش، فإن ذلك يسهم في حلحلة الأزمة»، كذلك أكد المعارض السوري البارز رئيس اللجنة القانونية بالائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية هيثم المالح، في تصريحات خاصة، غير أنه استطرد قائلًا: «أعتقد أنه من الصعب أن تتخلى إيران عن دعمها للأسد، فالأمر مختلف عن دعمها للمالكي»، مؤكدًا أن إيران تستخدم «نظام الأسد» في صراعها المصبوغ بصبغة طائفية، ومن مصلحتها بقائه على الساحة السورية، إذ أنها لا تجد له بديلًا على الأرض في سوريا خلال الفترة الحالية.

ويُعول مراقبون على وجود تعاون مشترك أو تلاقي غير مباشر في الرؤى فيما يتعلق بمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية، بين طهران والسعودية، لاسيما أن الطرفين باتا يعتبران التنظيم خطرًا عليهما، ومن ثم فإن أي فرصة للحوار بينهما قد تدفع بتخلي إيران عن الأسد، الأمر الذي يؤدي في الأساس إلى حلحلة الأزمة بصورة نسبية، في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة الأمريكية قد أعلنت عن تشكيل نواة حلف لمواجهة «داعش»، غير أنها استثنت إيران من ذلك الحلف، وأعلنت أنها لن تنسق معها في أي آلية في هذا الإطار.

وأضاف «المالح» في معرض تصريحاته، قائلًا: «رغم أن كل تلك المواقف ناجّة في الأساس من خطورة تنظيم داعش، وإيمان طهران بخطورة تمدده، ورغبة النظام السوري في مواجهته ومحاربته، إلا أن داعش في الأساس مستخدم من قبل إيران والنظام لتخريب الثورة السورية، الأمر الذي يشكك في إمكانية حدوث ذلك السيناريو بصورة ما».

الأسد، وهو الساعي نحو إثبات شرعيته، حاول استغلال الغضبة الدولية ضد «داعش»،فسارع في إعلان ولائه للحراك الدولي

الأسد، الساعي نحو إثبات شرعيته، حاول استغلال الغضبة الدولية ضد «داعش»، فسارع في إعلان ولائه للحراك الدولي الهادف للقضاء على «داعش»، رغم تلاقي مصالح نظامه مع مصالح تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» في فترة سابقة

الهادف للقضاء على «داعش»، رغم تلاقي مصالح نظامه مع مصالح تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» في فترة سابقة، غير أن الأخير نجح في اقتناص العديد من النجاحات والفرص الإيجابية التي أهلته ليتفوق على النظام في العديد من المناطق التي كان يسيطر عليها الأسد نفسه، لاسيما في ريف دمشق، ومن ثم لجأ الأسد لمناصبة «داعش» العداء، غير أن القوى المحاربة لداعش أيقنت فكر الأسد، ونفت تعاونها معه في سبيل القضاء على «داعش».

ومع تفاقم العداء بين النظام السوري وداعش، وتمدد تنظيم الدولة الإسلامية، الذي يعتبره البعض في الأساس «صنيعة النظام السوري»، وهو التعبير الذي استخدمه المعارض السوري البارز رئيس اللجنة القانونية بالائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية هيثم المالح، في تصريحات خاصة، فإن «الأسد» ومؤيديه يعولون على «الحراك الدولي ضد داعش» وضربات التحالف الدولي بقيادة أمريكية، بأن تسهم في تفتيت التنظيم، وغل يديه، ومن ثم تثبيت أقدام «النظام» بصورة غير مباشرة بعد التخلص من تنظيم «داعش» غريمه الجديد (حليفه السابق)، إلا أن محللين عسكريين ودبلوماسيين رأوا أن تلك الضربات التي يوجهها التحالف الدولي بقيادة واشنطن لن تسهم في انتزاع التنظيم الداعشي من المشهد السوري أو تفتيت ذلك التنظيم وإنهائه، إذ أن كل ما بوسع تلك الضربات أن تفعله هو «إضعاف التنظيم» بصورة نسبية فقط، دون أن تقضي عليه أو تنهيه تمامًا، وهو ما حدث فعلًا في العراق، ما يعني استمرار ذلك التنظيم كشوكة في حلق الجميع، تزيد من إيلام السوريين.

محللون عسكريون ودبلوماسيون رأوا أن الضربات التي يوجهها التحالف الدولي بقيادة واشنطن لن تسهم في انتزاع التنظيم الداعشي من المشهد السوري أو تفتيت ذلك التنظيم وإنهائه

ويشن النظام السوري غارات جوية متتالية على المكان الرئيسي لتنظيم «داعش» في «الرقة»، ربما تخوفًا من أن يتسبب التنظيم ذاته في إقصاء وإسقاط «النظام الأسدي»، بعد كشر «داعش» عن أنيابه.

وفي سياق آخر، وفيما قامت الولايات المتحدة الأمريكية مع حلف دولي بتوجيه ضربة عسكرية جوية لمواقع عناصر تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» في سوريا، على غرار الضربات التي مُني بها التنظيم من قبل واشنطن في «العراق» منذ أغسطس/آب الماضي، تتواصل جهود التحالف الدولي من أجل مواجهة التنظيم ذاته في سوريا.

وفي السياق، فإن معارض عسكري سوري بارز قد أكد في تصريحات خاصة، على أن ضربات التحالف الدولي بقيادة واشنطن لمعاقل تنظيم «داعش» في سوريا على غرار الضربات التي وجهت للتنظيم ذاته في «العراق» سوف تسهم فقط في إضعاف تنظيم داعش، في الوقت الذي لفت فيه إلى أن التنظيم الداعشي في الأساس صنيعة إيرانية، وبالتالي من المستبعد أن يتم تخلي إيران عن داعش، كما أنه من المستبعد تخلي إيران عن «نظام الأسد» لتلاقي مصالحها مع الطرفين، في الوقت الذي تمول فيه «إيران» داعش.

التحزّبات الدينية ومقتل الاعتدال

الإسلامية أنموذجاً

أكثر ما يثير حفيظتي من بين العبارات التي أسمعها مؤخراً هي عبارة (إسلامي معتدل)، كما كانت تثيرني في السابق (يهودي علماني).. الثانية لم أجد لها تحليلاً أو مخرجاً منطقياً تفسيرياً يريح طاقة تفكيري المحدودة، إذ كيف لمرء يصف نفسه بصفة دينية ثم يتبعها مباشرة بصفة مناقضة تماماً كأنه يقول: أنا متدين لا أعبد الله، أو أنا يهودي لا أؤمن بيهوه!

أحمد سليمان طلب الناصر

ومع ذلك فهو من أشد المتمسكين بالدولة اليهودية في أرض الميعاد حسب الكتاب المقدس، الذي يدّعي عدم الإيمان به، ولا يمكن البتة المساس بقدسية وواقعية أرض إسرائيل الموعودة على أرض فلسطين.

وضمن هذا السياق يسير الإسلامي المعتدل على خطى مبدأ الدولة الدينية، وإدارة مؤسساتها لكن ضمن خطاب أقل تشدداً في أدبيات جماعاتهم من خطابات المتشددين والمتطرفين الذين لا يتوانون عن إظهار رغبتهم الجامحة وبصوت عالٍ يغلب على طابعه أسلوب التهديد والوعيد في تطبيق شرع الدولة الإسلامية التي يرونها كدولة خلافة ضمن سيرورة التاريخ الإسلامي الخلافي الذي بدأ منذ اجتماع سقيفة بني ساعدة، شأنهم بذلك شأن اليمينيين اليهود في فلسطين الذين يرون بأنهم الشعب المختار من قبل الإله وأن فلسطين عبارة عن حق تاريخي لهم منذ أيام موسى ويوشع بن نون، لكنهم لا يختلفون مطلقاً مع اليهود (العلمانيين- المعتدلين) حول مبدأ الوطن القومي الديني وقيادته، لكنهم أشد تطرفاً في ممارسة شعائرهم التي يمليها عليهم التوراة والتلمود، والحال ذاته مع الجماعات المتطرفة الإسلامية كـ «الدولة الإسلامية في العراق والشام» التي تبرر أفعالها بأنها مستقاة من الكتاب والسنة!

أعود للحديث عن الإسلاميين المعتدلين، وغالباً ما يُطلق عليهم صفة الاعتدال حين يكونون منضوين تحت ظل حزب أو إيديولوجيا، ويديرون مكاتب ومؤسسات اقتصادية وثقافية واجتماعية منتشرة في العديد من دول العالم الإسلامية وغير الإسلامية، وأفرادهم يمثلون جماعاتهم في البرلمانات والوزارات في تلك الدول، ما يجعلهم مشاركين فعالين في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها..

أُسست تلك الجماعات استناداً إلى مفكّرين ومنظرين استطاعوا رسم خطوط سياسية عريضة ترتكز عليها الجماعات وتعمل على نشرها والعمل بها للوصول بنهاية الأمر، كغالب الأحزاب السياسية، إلى سدة الحكم، مقتربة بذلك من المنهج الثيوقراطي العباسي إن صح التشبيه.. فالعباسيون، كانوا أول من عملوا بهذا التطبيق في العصر الإسلامي بخلاف الراشدي الذي بدأه أبو بكر بجملته الشهيرة: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنه حي لا يموت» فهو بذلك فصل بين تقديس الرسل وعبادة الله الواحد الأحد الذي ليس بحاجة إلى وسيط دنيوي لعبادته.

وكذلك بخلاف الدولة الأموية التي كان عمادها في حكم الدولة العنصر العربي بشقيه القيسي واليماني وحتى المسيحيين منهم مع الحفاظ على حقوق الأقليات الأخرى وتسليمهم الوظائف التي تليق بهم، فاستطاعوا خلال فترتي حكم عبد الملك وابنه الوليد أن يبسطوا سلطان الدولة على الرقعة الممتدة من بلاد ما وراء النهر والسند شرقاً حتى حدود فرنسا غرباً!

وحين جاء العباسيون ليحكموا الدولة المترامية الأطراف باسم الدين والقرابة من الرسول وباعتبار الخليفة هو الحاكم باسم الله على الأرض، وأدخلوا في تسيير أمور الدولة جميع العناصر المسلمة من غير العرب (الموالي) من فرس وترك وغيرهم خسروا بفترة زمنية قياسية معظم أراضي الدولة حتى تقلصت سلطات (الخليفة) لتغدو في النهاية عبارة عن سلطة إسمية دينية صورية لا تتعدى حدود قصره في بغداد.

مع بدايات القرن التاسع عشر ظهرت الحركة الوهابية في الحجاز ليؤيدها آل سعود ويقوموا بحمايتها ونشرها لتصطدم مع سلطان العثمانيين على الأماكن المقدسة، مكة والمدينة، وجهة جميع مسلمي الأرض، فكانت الدولة السعودية الأولى التي أوقفها محمد علي باشا والي العثمانيين على مصر، لتقوم بعد رحيله الدولة السعودية الثانية التي حكمت الجزء الأعظم من الجزيرة العربية حتى يومنا هذا.

لم يلتفت السعوديون إلى إقامة دولة خلافة إسلامية أو توسيع دولتهم خارج نطاق نجد والحجاز موطن قبائلهم الأصلي والحاضنة الشعبية التاريخية والجغرافية لهم، لكنهم قاموا بتطبيق الشرع الإسلامي كما أوصى به محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية من قبله الداعي إلى نبذ البدع والاحتكام إلى شرع القرآن والسنة ضمن ذلك المحيط المستعد أساساً لتقبّل هذه الدعوة والذي كان مهداً للرسالة الإسلامية.

في ثلاثينيات وأربعينيات القرن المنصرم توغلت حركة الإخوان المسلمين في سوريا بعد إنشائها بمصر على يد حسن البنا 1924، فأعلنت الجماعة عن نشاطها بحلول العام 1944- 45 حيث تزعمها مصطفى السباعي، ولعل أهم أسباب نشوء الحركة في مصر هو الرد على إلغاء الخلافة العثمانية وإعلان الجمهورية التركية على يد مصطفى كمال أتاتورك 1923..

يعتبر تنظيم الإخوان أول تنظيم سياسي اجتماعي شمولي إسلامي في تاريخ العالم المعاصر، لكن صفاته تلك لم تخف عنه الصبغة العسكرية الجهادية، فيقول حسن البنا: «أن الإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف!»

فهو بذلك لا ينفي صفة الجهاد والقتال لأجل تحقيق أهداف التنظيم المتمثلة بإقامة «الوطن» والمحافظة على «الجنسية».

ثم يتابع: «أن فكرة الإخوان المسلمين نتيجة الفهم العام الشامل للإسلام، قد شملت كل نواحي الإصلاح في الأمة، فهي دعوة سلفية، وطريقة سُنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية»

إذن، فالإسلام بنظره هو نظرة شاملة إلى الحياة والكون وبالتالي فالحركة بغنى عن أي رؤية خارج هذا النطاق!

وورد أيضاً ضمن أدبيات الحزب: «إن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل ومنذ كان دين الله، إنها السنة الجارية التي لا تستقيم الحياة بدونها ولا تصلح الحياة بتركها- سيد قطب»

على هذا الأساس كانت للإخوان المسلمين في سوريا جولة من الجهاد بدأها في نهايات سبعينيات القرن الماضي ضد حكم نظام البعث وطاغيته حافظ الأسد، ثم انتهت بعد المذابح والاعتقالات التي تعرضت لها الجماعة مع الشعب السوري في سجن تدمر وجسرالشغور وحماة وحلب وديرالزور..

والأسئلة التي ما زالت تطرح نفسها منذ ثلاثة عقود حتى الآن، وبعيداً عن مسببات ومبررات قيامهم بمحاولة الانقلاب الجهادي المسلح: هل حسب الإخوان وقتها نسبة الأقليات الموجودة في سوريا والتي لن تقبل بالفكر الإخواني؟ وهل كان متنبّهاً إلى وجود شريحة واسعة من المسلمين السنة الذين لا يؤيدون فكرة قيام الدولة الدينية فانتسبوا إلى معظم الأحزاب العلمانية أو أنهم نأوا بأنفسهم عن فكرة التحزبات السياسية بشقيها الديني والعلماني؟ هل كان الإخوان فاطنين وأذكياء حين قاموا بانتفاضتهم تلك وهل كانوا يحسبون بأن دكتاتوراً كحافظ الأسد وأخاه رفعت سيتركون لهم البلد بكل هذه السهولة؟ ثم إن كانوا يحسبونها كذلك.. من أين جاؤوا بتلك القوة التي استندوا عليها أو القوى التي اعتمدوا عليها لينجروا إلى ما قاموا به؟

اليوم، وبعد ثلاث سنوات ونصف من عمر الثورة السورية يحاول الإخوان إظهار الصورة لدول الغرب ودول التحالف التي تدّعي حماية السوريين بأنهم الممثلون الوحيدون للإسلام المعتدل على الساحة السورية وخاصة بعد ظهور داعش والنصرة وبقية التشكيلات الإسلامية المقاتلة على الأرض، خاصة وأنهم لم يتبنوا بشكل علني أي فصيل مسلح من بين الفصائل المقاتلة في سوريا، واقتصار نشاطهم على الإغاثة المدنية.

بعد كل هذا العرض، هل تصحّ صفة (الإسلام المعتدل) على تنظيم الإخوان المسلمين، أم أننا أمام واقع جديد تفرضه علينا عاطفتنا التاريخية التي ما زالت تخزنا كالإبرة كلما تذكرنا مأساة «أحداث حماه»؟!

باعتقادي، إن الإسلام المعتدل هو ذلك الإسلام الذي مارسه الرسول الكريم ثم تابعه المسلمون دون أحزاب وتكتلات وتنظيمات وحركات.. هو ذلك الإسلام الذي مارسه آباؤنا ومشايخنا وعلماؤنا ضمن بيوتهم وجوامعهم وجامعاتهم، فكانوا بحق مسلمين معتدلين وليسوا (إسلاميين معتدلين) وشتان بين الشكلين.

متى سيُنهك السوريون من ثورتهم؟

متى سيُنهك السوريّون من ثورتهم؟. متى سيُعلن قادة الكتائب في الجيش السوريّ الحرّ تسليم سلاحهم، وسلاح أفراد كتائبهم، إلى قوّات الجيش النظامي، والاستفادة من ميّزات العفو المتتالية التي أطلقها النظام؟. متى سيضغط النازحون داخل الأراضي السوريّة على الثوّار؟. متى سيُحاربونهم بأنفسهم كي يُخرجوهم من مدنهم المدمّرة والمنتهكة بالبراميل والصواريخ؟. متى سيتظاهر اللاجئون السوريّون ضدّ ثورة أبنائهم الشهداء والمفقودين، ويُطالبون برحمة من الأسد؟.... هذه نماذج قليلة من الأسئلة التي يطرحها، في سرّه، العالم المتماسك في موقفه مع نظام بشّار الأسد، ضد السؤال الذي يطرحه أي طفل في سوريّا: متى سيستيقظ ضمير العالم؟.

عارف حمزة

كلّ الأسئلة، على قلّتها، التي طرحناها في الأعلى هي أسئلة تخصّ الزمن. كأنّ العالم نسي مع مَن يقف، أو مع مَن يتضامن على الأقل. وتناسى مَن هو الظالم ومَن هو المظلوم. واستطاع العالم بكلّ بساطة أن يُدير ظهره لمآسي ومعاناة الشعب السوريّ، حتى عندما تمّ قصفه بالسلاح الكيميائيّ، بذريعة الخوف من أنّ القاعدة هي التي ستحكم سوريّا. لا محالة، إذا سقط نظام بشّار الأسد!!. لدرجة أنّ إسرائيل نفسها تكاد ترسل قوّاتها بشكل علنيّ، إلى جانب قوّات حزب الله والميليشيات العراقيّة والطيّارين الروس والكوريّين، لمنع حصول «القاعدة» و «داعش» على ذلك الجوار منها!!. وكأنّ السوريّين بدأوا ثورتهم بجلب الأفغان والتوانسة والشيشان والليبيّين وكلّ السلفيّين الجهاديّين الآخرين كي يُحاربوا الأسد بهؤلاء!. وكأنّهم هم، وليس نظام الأسد، من أرسلهم إلى العراق للقيام بالتفجيرات أثناء الاحتلال الأمريكي لها!. وكأنّ المواطنين السوريّين العاديّين والعزّل مَن كانوا مسؤولين عن النقاط الحدوديّة، فأدخلوا الجهاديّين والسلفيّين وكلّ هذا السلاح الروسيّ الصنع ليد فصيل معيّن. وكأنّهم درّبوا مقاتلي القاعدة لسنوات قبل أن يقوموا بثورتهم!. وكأنّهم رفعوا المصاحف في مسيراتهم وليس الأعلام واليافطات الحضاريّة المطالبة بدولة المواطنة والتعدّد!. وكأنّهم طالبوا بالخلافة وليس بالحرية!. وكأنّ السوريّين المظلومين المقهورين الذين نادوا بالحريّة هم بالضبط مَن تنطبق عليهم صفات الإرهاب.

في كلّ مرّة كان العالم يُعطي فرصة جديدة للأسد كي يحرّك بيادق وحشيّة جديدة على الرقعة البريئة لهذا البلد. وسيرى العالم تلك البيادق في القسم الخاص للثوّار السوريّين، وليس في قسمه هو. وتدرّجت قناعة العالم، وتعليق آماله بدرجات مهارة الأسد حتّى أوصلته لتحريك عناصره من القاعدة والميليشيات الوحشيّة الأخرى، كي تأتي وتخلّصه ممّا تبقّى من الشعب السوريّ الثائر كي تخلّصه، أي تخلّص العالم، منهم، وينتهي كابوس ضمير العالم الذي لا ينام.

يحبّ العالم أن يُصدق أنّ النظام السوريّ يخاف من اشتعال الحرب الأهليّة في سوريّا، وكأنّ ما قام به النظام لحدّ الآن ليست حرباً أهليّة!!. حتّى لو كان من الضروري أن نأخذ بالتعريف الدقيق والصارم للحرب الأهليّة، كما جاء في الويكيبيديا مثلاً، بأنها هي الحرب الداخلية في بلد ما، والتي يكون أطرافها جماعات مختلفة من السكان، كلّ فرد فيها يرى في الآخر عدوه، وفي من يريد أن يبقى على الحياد، خائنا لا يمكن التعايش معه، ولا العمل معه في نفس التقسيم الترابي... ألا يُعتبر النظام قائداً للحرب الأهليّة وفق هذا الوصف، ولسبب أقلّه سياسيّ؟؟.

حتّى هذه اللحظة يحذّر النظام من الحرب الأهليّة، كي يوهم العالم، ومؤيّديه المتورّطين معه، بأنّه يحارب من أجل عدم وقوعها بين مكوّنات «شعبه». رغم أنّ كلّ الحقائق تدلّ على أنّ النظام توسّم في نفسه القدرة على إشعالها حتّى قبل سنوات طويلة من هذه الثورة اليتيمة.

هل ما يحدث للسوريّين هو أقل ممّا حدث في يوغسلافيّا السابقة؟. أقل ممّا حدث في راوندا؟. يبدو أن الأمر مختلف مع السوريّين؛ حتّى مع نزوح أكثر من سبعة ملايين نسمة، للداخل والخارج، ومقتل عشرات الآلاف، وفقدان واعتقال عشرات الآلاف أيضاً، وتهديم عشرات المدن وآلاف القرى ومحوها عن الأرض.

إنّها حرب أهليّة بكلّ معنى الكلمة التي تجري من طرف النظام السوريّ. وأراد النظام إكمال طقوس تلك الحرب بإدخال فصائل من القاعدة، كانت تخدم تحت إمرته في العراق ومناطق أخرى، لترويع العالم بأنّ الأكثريّة تحارب الأقليّة في سوريّا!!. وكأنّها لن تكون حرباً أهليّة، بالعرف القانونيّ، لو أنّ الأقليّة، التي تملك السلطة والسلاح وقيادة الجيوش، هاجمت الأكثريّة وقتلتهم وهدمت بيوتهم وهجّرتهم؟؟.

> النظام السوريّ أيضاً يلعب على مسألة الزمن، منتظراً إنهاك القوّة بالنسبة لفصائل الجيش السوريّ الحرّ، وبالتالي قبول المعارضة السياسيّة بالجلوس على طاولة المفاوضات، وفق شروط النظام وقوّته.

النظام السوريّ أيضاً يلعب على مسألة الزمن، منتظراً إنهاك القوّة بالنسبة لفصائل الجيش السوريّ الحرّ، وبالتالي قبول المعارضة السياسيّة بالجلوس على طاولة المفاوضات، وفق شروط النظام وقوّته. فهو يُراهن على عدم وجود قيادة عسكريّة موحّدة على الأرض، وبالتالي عدم وجود قرارات متينة تمنع الاقتتال بين الفصائل نفسها، واضمحلال قواها مع إطالة زمن عدم تحقيق انتصارات كبيرة.

من حقّ النظام السوريّ أن يعتمد على عامل الزمن؛ طالما أن الدعم، ماليّاً وعسكريّاً، ما زال يصله لحدّ الآن، مع غضّ النظر بشكل مريب من الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدوليّ عن ممارساته الوحشيّة التي تجاوزت كلّ الخطوط الحمراء التي وضعها القانون الدوليّ. وفي ذات الوقت فإن الطرف المقابل لا يلاقي ذلك الدعم بشكل مستمرّ، وليس بشكل تصاعديّ، مع وجود الخلافات العميقة بين الدول الداعمة للمعارضة السوريّة، والجيش السوريّ الحرّ.

هناك «بطش زمنيّ» أيضاً بالإضافة إلى البطش الذي يجري على الأرض ومن الجو. ويبدو العالم مرتاحاً في السكوت عن فظائع الأسد. لدرجة أنّ العالم صار ينتظر «الأكثريّة» أن تهجم على مناطق «الأقليّة» المحميّة حاليّاً بقوّات كبيرة من النظام، كي يجد مبرّراً قويّاً لاتهام قوّات المعارضة بتحويل الصراع إلى حرب أهليّة، وإجبار الدولة على التقسيم كما يرغب في ذلك، ويتخوّف منه، النظام!!.

الزمن ليس في صالح المعارضة. يراهن على ذلك الكثيرون. وفي نفس الوقت يُراهن الكثيرون على أنّ إطالة الزمن لن يكون في مصلحة النظام أيضاً.

في الوقت الذي كان على العالم التدخّل لإنقاذ الشعب السوريّ أعمى أعينه عن استخدام النظام السوريّ للسلاح الكيميائيّ، وللصواريخ البالستيّة وللقنابل الفسفوريّة وللبراميل المتفجّرة. وأعطوه فرصة جديدة من أجل تسليم سلاحه الكيميائيّ!!. وهذه مسألة غاية في الخطورة؛ إذ متى كانت العدالة تكتفي بتسليم المجرم الجنائيّ العاديّ، وليس السّفاح ومؤسّس المقابر الجماعيّة والمجازر بحقّ المدنيّين، سلاحه في القتل، ثمّ يطلبون منه الذهاب إلى القصر الجمهوريّ وإكمال مهمّاته النبيلة؟؟.

الثورة السورية.. أرقام وبيانات

د.وائل سليمان

وثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان مقتل 2375 سورياً خلال شهر أيلول وحده، قضى معظمهم على يد قوات النظام، وأوضحت الشبكة في تقرير لها أن قوات بشار الأسد قتلت 1707 مدنيا بينهم 294 طفلا و173 امرأة، بمعدل 10 أطفال يوميا، فيما بلغ عدد الشهداء الذين ماتوا تحت التعذيب 118 شهيدا، بمعدل 4 شهداء يوميا، بحسب الشبكة.

ووثقت المنظمة مقتل 69 شخصا على يد تنظيم الدولة بينهم 3 أطفال وسيدتان، في حين اتهمت "المعارضة المسلحة" بالتسبب في مقتل 61 شخصا بينهم 14 طفلا و7 سيدات.

كما استشهد 20 مدنيا في غارات لطيران التحالف الدولي ضد تنظيم الدولة الذي تقوده الولايات المتحدة، بينهم 5 أطفال و5 سيدات.

ووثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان استشهاد ما لا يقل عن 115 تحت التعذيب في سجون نظام الأسد خلال شهر أيلول الفائت، لتكون حصيلة الشهداء تحت التعذيب منذ بداية الثورة قد وصلت إلى 5396 شخصاً بينهم 94 طفلاً و32 امرأة، وكان لمدينة درعا الحصة الأكبر من الضحايا حيث بلغ عددهم 21 شخصا، بينما توزع بقية الشهداء على باقي المحافظات على الشكل التالي: 19 في دمشق، 18 في حمص، 13 في حلب، 12 في ريف دمشق، 9 في

كل من اللاذقية وإدلب، و7 في حماة، و3 في الرقة، و2 في دير الزور والقنيطرة، وأكدت الشبكة مقتل 243 شخصاً بسبب التعذيب خلال شهر آب 2014، وكانت أعداد ضحايا التعذيب وصلت إلى 5281 شخصاً بينهم 94 طفلاً و32 امرأة.

ووثق المكتب الحقوقي لاتحاد تنسيقيات الثورة في سوريا 52 مجزرة ارتكبتها قوات النظام ضد المواطنين خلال أيلول الماضي، بينما وثق المكتب مجزرتين

قال إن قوات التحالف الدولي ارتكبتهما عبر قصفها تجمعات مدنية خلال الحملة الأخيرة التي تستهدف تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة. وقال الاتحاد في إحصائية أصدرها إن القوات التابعة لنظام الأسد ارتكبت 11 مجزرة في ريف دمشق ومثلها في محافظة حلب وريفها شمال سوريا، إضافة إلى ثماني مجازر في محافظة إدلب وست مجازر في دير الزور شرق سوريا، إضافة إلى عدة مجازر في درعا والحسكة وحماة والرقة وريف اللاذقية.

كما أحصى اتحاد تنسيقيات الثورة خسائر النظام خلال شهر ايلول الماضي حيث تمكن الثوار من قتل أكثر من ألف ومئتين وثلاثة وثلاثين عنصرا من قوات النظام والمليشيات التابعة له في سوريا , كما بلغ عدد الدبابات المدمرة تسع وثلاثين دبابة , ووصل عدد المدرعات المدمرة ايضاً لاثنتين وثمانين واحدة , فيما استطاع الثوار اسقاط اربع طائرات في كل من ادلب والرقة وحماه والقنيطرة . وقال اتحاد التنسيقيات أن ثوار دمشق وريفها استطاعوا قتل اكبر عدد من جنود النظام في الشهر الماضي حيث بلغ عدد القتلى 493 قتيلا، فيما تصدر ثوار حماه العدد الأكبر في المدرعات والدبابات المدمرة والتي بلغت اثنتا عشر دبابة و سبع وعشرين مدرعة.

وأكد ناشطون أن عدد البراميل المتفجرة التي ألقاها نظام بشار الأسد على مدينة درعا وريفها خلال شهر أيلول نحو 155 برميلاً، فيما أكد مكتب الإحصاء التابع لمؤسسة «نبأ» الإعلامية أن عدد الغارات الجوية التي قام بها طيران النظام على درعا وريفها وصل إلى ما يزيد عن مائة وأربع وعشرين غارة جوية.

قيادة الجيش الحر تدعو العلويين للانشقاق عن بشار الأسد

دعا رئيس هيئة الأركان في الجيش السوري الحر عبد الإله البشير في بيان بثته قناة العربية في الثلاثين من أيلول، الطائفة العلوية من قيادات وعناصر إلى الانشقاق عن جيش النظام وترك ما وصفه بـ"المَركب الهالك". ودعا البشير أيضا أبناء الطائفة للالتحاق بالصفوف الأولى وتولي أماكنهم القيادية والريادية في صفوف الجيش الحر على حد قوله. وجاءت دعوة عبد الإله البشير هذه، بعدما ثبت أن "خيار الجيش الحر باعتداله ووطنيته هو الخيار الوحيد لخلاص السوريين، بكل انتماءاتهم وطوائفهم، وبعدما أكد الجيش الحر عمليا أنه صمّام الأمان في مواجهة إجرام الأسد وجرائم الإرهابيين، واتضح للشعب السوري وللعالم أن نظام الأسد انتهى، ويحارب بالنيابة عنه الآن قوى دولية وشراذم مستوردة من الخارج".

بيان لـ "وحدة تنسيق الدعم" حول "المليون دولار"

أصدرت وحدة تنسيق الدعم في الائتلاف بياناً في الثلاثين من أيلول حول قضية المليون دولار، نشرت فيه توضيحاً مالياً لكل تفاصيل مجموع المبلغ، والتي بلغت (1.065.635)$، والتي شكّلت نسبة 2% فقط من إجمالي المدفوعات الموثّقة والتي بلغت(51.563.507)$ لتتحمّل منذ الآن كل الجهات الواردة ذكرها مسؤوليتها في التأخير أو الامتناع عن تقديم التوثيق. وأشارت وحدة تنسيق الدعم في البيان أنها تجنبت ذكر أسماء الجهات المتأخرة في تقديم التوثيقات أصولاً. وأكدت الوحدة في بيانها أن لديها في "الإدارة المالية لوحدة تنسيق الدعم" نسبة 100% من التوثيقات كمرحلة أولى التي تؤكّد تسليمنا هذه المبالغ للجهات المستلمة وإمضائهم على استلامها. وأنّه يتوفّر لدينا لغاية الآن وبالمرحلتين ما تصل نسبته إلى (68.63%) من توثيقات المبلغ المُتحفّظ عليه، والمتبقي من المبلغ قد تأتي تِباعاً بحسب القدرة على التوثيق، وهذا ما زال جارياً حتى الآن بعد استلامنا للتقرير النهائي من المدقق الخارجي المستقل "مؤسسة ديلويت العالمية". كما أكدت مكتب التدقيق الداخلي في وحدة تنسيق الدعم أنّه تمّ الالتزام بإعداد ونشر التقرير المالي لوحدة تنسيق الدعم عن عام 2013م وفق المعايير الدولية لإعداد التقارير المالية IFRSs الصادرة عن مؤسسة المعايير الدولية للمحاسبة.

بيان المرصد الأشوري حول تصفية ناشط سوري مسيحي تحت التعذيب في سجون النظام

أصدر المرصد الأشوري بياناً في الثلاثين من أيلول حول تصفية الناشط» بسام غيث» في سجون النظام، واستنكر البيان نبأ وفاة الناشط السياسي بسام غيث تحت التعذيب في فرع المنطقة التابع للمخابرات العسكرية في دمشق . وجاء في البيان أنه تم إبلاغ ذوي الضحية الأسبوع الماضي بخبر وفاته نتيجة أزمة قلبية وتم تسليمهم هويته الشخصية فقط ولم تفصح السلطات عن مكان دفن جثته لذويه.

وأدان المرصد الآشوري لحقوق الإنسان بأشد العبارات السلوك الوحشي لأجهزة المخابرات السورية المتبع مع المعتقلين في السجون السورية، والذي يضرب عرض الحائط كافة المواثيق والمعاهدات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان التي انضمت إليها الحكومة السورية، واعتبر ما يجري في أقبية المخابرات السورية من فظاعات بحق المعتقلين جريمة ضد الإنسانية يتوجب محاسبة وملاحقة كافة المسؤولين عنها. وجدد المرصد دعوته للمجتمع الدولي بضرورة تحمل مسؤولياته كاملة تجاه ما يجري من انتهاكات جسيمة بحق المعتقلين والمحتجزين في سجون النظام، وفي الوقت ذاته يطالب بإحالة الملف السوري إلى محكمة الجنايات الدولية ومحاسبة كافة المتورطين بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية بحق أبناء الشعب السوري.

الائتلاف يدعو المجتمع الدولي لإنقاذ كوباني

أصدر الائتلاف بياناً في الثلاثين من أيلول ، دعا فيها المجتمع الدولي لإنقاذ كوباني، وقال فيه: «تتعرض مدينة عين العرب «كوباني» لحصار خانق منذ ما يزيد عن 20 يوماً بعد الحملة التي يشنها تنظيم «الدولة الإسلامية» ضد المدينة، وسيطرته على 67 قرية في المنطقة، وقد بات مقاتلو التنظيم على مسافة 5 كيلومترات فقط عن مركز المدينة».

وعبر الائتلاف الوطني عن تضامنه الكامل مع أهالي مدينة كوباني جراء ما يتعرضون له من قتل وتشريد على يد جماعات عدوانية دخيلة على الشعب السوري.

وهذا يأتي ضمن سلسلة من الجرائم الإنسانية التي تضاف إلى السجل الإجرامي لهذا التنظيم، كما جدد الائتلاف تحذيره من مخاطر وقوع مجازر محتملة بحق المدنيين، ويدعو المجتمع الدولي للتدخل واتخاذ تدابير عاجلة لحماية كافة المدنيين قبل فوات الأوان، كما يطالب بالتعامل مع الوضع السوري كما هو الحال في العراق، ويشدد على ضرورة تسريع عملية تسليح الجيش السوري الحر وتزويده بالأسلحة النوعية القادرة على صد هجوم التنظيم الإرهابي، تحقيقاً لأهداف القرار الدولي رقم 2178 واستناداً للمواقف الإيجابية الأخيرة التي اتخذها المجتمع الدولي تجاه تسليح الجيش الحر، وتطوير أدائه في حربه ضد نظام الأسد وتنظيم «الدولة الإسلامية».

"الاتحاد الإسلامي" ينسحب من بيان رفض الحملة الدولية

نفى الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام علمه بالبيان الذي تناقلته بعض مواقع التواصل الاجتماعي، والذي يتحدث عن رفض الاتحاد الاسلامي للتحالف الدولي على تنظيم "داعش" وقصف بعض المناطق السورية. وقال "الاتحاد " في بيان أصدره في السابع والعشرين من أيلول ، أن "الاتحاد" لم يستشر في البيان الذي صدر بشعار الجبهة الإسلامية وشعار الاتحاد الإسلامي، وأضاف البيان أن أي بيان لا يصدر عن المواقع والصفحات الرسمية لا يعبر عن رأيهم. وفي حين نفى الاتحاد الاسلامي صحة البيان الذي نسب له إلا انه لم يوضح في بيان النفي موقف الاتحاد الاسلامي من الحملة الدولية.

الشبكة الآشورية لحقوق الإنسان

المرصد الأشوري يدين تدمير "داعش" الكنيسة التذكارية للإبادة الجماعية للأرمن

أدان المرصد الأشوري قيام عناصر ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية في بلاد الشام و العراق (داعش) بتدمير الكنيسة التذكارية للإبادة الجماعية للأرمن في مدينة دير الزور السورية (شرق سوريا على نهر الفرات) بشكل كامل، وذلك يوم الأحد المصادف في 21 أيلول 2014.

وجاء في بيان للمرصد صدر في السادس والعشرين من أيلول أن هذه الكنيسة كانت قبلة تستقطب الأرمن من جميع أنحاء العالم، في 24 نيسان/أبريل من كل عام، لإحياء ذكرى المجزرة التي راح ضحيتها مئات الآلاف من الأرمن ، الذين أجبروا على السير نحو حتفهم بأمر من الدولة العثمانية إلى موقع قريب من موقع الكنيسة الحالي. كما وتضم الكنيسة رفات العديد من شهداء المجزرة، ونصبا تذكاريا، بالإضافة إلى مكتبة وأرشيف لضحايا المجزرة. وأضاف البيان أن المرصد علم بمخطط عناصر تنظيم "داعش" بتدمير الرموز الدينية المتبقية في المدينة، كدير وكنيسة الكبوشية (اللاتين)، وغيرها من كنائس المنطقة، استكمالاً لأعمالهم الإجرامية والظلامية التي بدأوها في الموصل وسهل نينوى بتدميرهم الكنائس والأضرحة والمقامات الدينية.

واعتبر المرصد أن هذه الأعمال التي طالت الأماكن الأثرية ودور العبادة، والتي تهدف وبشكل واضح إلى إقصاء كل مظاهر الحضارة والارث التاريخي لشعوب المنطقة من عرب وكرد وكلدان سريان آشوريون وأرمن، مسلمين ومسيحيين وإيزيد.

فصائل الجيش الحر تبارك قرار حل المجلس العسكري

باركت عدة تشكيلات في الجبهة الجنوبية بالجيش الحر قرار هادي البحرة رئيس الائتلاف القاضي بحل القيادة العسكرية العليا، وإبطال كل ما نتج عن الاجتماع الذي عقد في السابع عشر من أيلول في مدينة غازي عنتاب التركية. وأصدرت التشكيلات بيانات في الثالث والعشرين من أيلول، أيدت فيها قرار رئيس الائتلاف وأشارت التشكيلات في بياناتها إلى أن المجلس العسكري فقد شرعيته بسبب تجاوزاته الغير مسبوقة، كما أبدت تلك التشكيلات استعدادها التام للعمل والتشاور لتشكيل مجلس عسكري أعلى شرعي ضمن قانون يضبط عمله، ويكون ممثلا لكل الفصائل على الأرض تمثيلا حقيقيا، وكان رئيس الائتلاف أصدر يوم أمس الاثنين قرارا حل فيه مجلس القيادة العسكرية العليا، ونص القرار ايضا على اعادة تشكيل مجلس محلي جديد خلال مدة أقصاها شهر. والتشكيلات التي أصدرت البيانات هي: لواء أحفاد بن الوليد -الفوج الأول مدفعية - لواء أحباب عمر - الفرقة 69 قوات خاصة - لواء أحفاد الرسول - لواء المعتز بالله - الفيلق الأول - تجمع ألوية قاسيون- -فرقة صلاح الدين.

بيان من اتحاد الديمقراطيين السوريين
حول التحالف الدولي والحرب على داعش

قال اتحاد الديمقراطيين السوريين في بيان له صدر في الرابع والعشرين من أيلول حول التحالف الدولي والحرب على «داعش» أن البلاد تدخل في حقبة جديدة من تاريخها، وأن الشعب السوري قرر أن تكون حقبة ما بعد الأسد ، التي ضحى بالأرواح والمهج كي يبزغ فجرها ، يدفعه إليها نزوعه نحو الحرية وتطلعه إلى زمن يقوم وجوده فيه على الكرامة والعدالة والمساواة . وأضاف البيان:» ومع ان التحالف عامة واميركا خاصة يكرسان حربهما ضد " الإرهاب " خدمة لمصالحهما الخاصة ، فإن انتقال سياساتهما من السلبية والتحفظ حيال ثورة شعبنا ، إلى المبادرة والاستباق، يمكن ان يزيد من قدرتنا على تحقيق اهدافنا».

وأشار البيان أن المرحلة الجديدة تتطلب إعادة النظر في أنشطة الائتلاف والمعارضة وتصحيح مساراتها، وتفرض تمييز مصالحنا عن مصالح دول التحالف، والدفاع عن الاستقلال، وتتطلب توحيد القدرات وعدم تعريضها لأية هزات أو خطوات رعناء كقرار حل المجلس العسكري الاعلى ،الذي انفرد البارحة باتخاذه هادي البحرة ، دون تشاور مع احد في الائتلاف او خارجه. وختم الاتحاد بيانه :» لا شك في ان الشعب السوري اختار الحرية والاستقلال والقرار الوطني المستقل ، وانه سيكنس الحثالات التي تعترض طريقه ، سواء ادعت الانتساب إلى الائتلاف والمعارضة ، أم كانت في صف عدوه : نظام الاسد المجرم . إنها ساعة الحقيقة ، التي لن يخرج شعب البطولات منها إلا غانما ظافرا ، بتصميمه على الحرية وقدرته على النضال في سبيلها ،واخلاص الوطنيين من بناته وابنائه!.».

بيان الكتلة الوطنية الجامعة حول وفاة أطفال نتيجة اللقاحات الفاسدة

أصدرت الكتلة الوطنية الجامعة في سوريا بياناً في الحادي والعشرين من أيلول، أدانت فيه «جريمة قتل الأطفال بحقنهم بالمحاليل واللقاحات الغير صحيحة أو الفاسدة سواء بشكل مقصود وفعل اجرامي ونية مبيتة . أو غير مقصود وذلك بالامتناع عن تأدية الواجب المهني وحرص الرجل المعتاد . ما أدى الى خطأ مهني جسيم راح ضحيته فلذات من اكبادنا . و سواء كان الفاعل من ضواري النظام أم من المعارضة أو طرفاً آخراً «. وجاء في البيان:»ومهما كانت الأسباب والمبررات فثمة من هو مسؤول عن القتل المقصود أو غير المقصود وينبغي مساءلته والتحقيق معه ومحاكمته ومعاقبته أشد العقوبات لتفريطه بأرواح الأطفال السوريين الذين نجوا من براميل الأسد ليلقوا حتفهم على ايدي المهملين وغير المبالين» .

بيان اتحاد الديمقراطيين السوريين
حول وفاة أطفال نتيجة اللقاحات الفاسدة

أصدر «اتحاد الديمقراطيين السوريين» بياناً في العشرين من أيلول، أدان فيه حادثة اللقاحات الفاسدة، وقال:» ارتكبت قبل ايام جريمة من اشنع الجرائم ، ذهب ضحيتها اطفال في اعوام العمر الأولى ، نجوا من إجرام الاسد، فماتوا بحقن تقول معلومات شبه مؤكدة أنها كانت مسمومة «. كما طالب الاتحاد في بيانه «بما هو أكثر من التحقيق : بنشر نتائج التحقيق بمجرد انتهائه ، مهما كانت ، واتخاذ كل ما يلزم من تدابير لحماية شعبنا ،الذي يتأكد يوما بعد يوم أنه مستهدف أيضا من قبل مؤسسات خارجية وأوساط داخلية ، تلعب بتنسيق خفي لعبة الصراع ضد أطراف بعينها في بلادنا،او ضد بعضها البعض، فيكون ضحاياها ابرياء مواطنينا من الأطفال والنساء والشيوخ ، الذين يطاردهم الموت في كل مكان ، ويأتيهم حتى من الجهات ، التي يفترض بها حمايتهم من المرض والموت المجاني «.

بيان هيئة العمل الوطني الديمقراطي
بخصوص احداث عين العرب "كوباني"

أعلنت هيئة العمل الوطني الديمقراطي في سورية في بيان لها صدر في التاسع عشر من أيلول، حول أحداث عين العرب، عن إدانتها واستنكارنها وتضامنها وتعبئة الجهود لمواجهة المخططات الدولية لتمزيق سورية، وتفتيت اللحمة الشعبية، تلك المخططات التي تستهدف كافة مفاهيم العيش المشترك وتعادي المواطنة والأوطان. وأبدت الهيئة التزامها بثوابتها السياسية والفكرية ومعاداتها للتدخل الخارجي لأن الشعب السوري وحده الضامن لصيغة الوطن والمواطنة من خلال التحالف الشعبي في ظل التوافقات الوطنية لمحاصرة هذه المنظومة الداعشية الدخيلة عليه وعلى قيمه كشعب عريق، ولكنها تضع محاربة الارهاب على رأس أولوياتها وتناضل من أجل الحرية والديمقراطية وتعتبر التغيير الديمقراطي السلمي هدفا ومنطلقا لسورية المستقبل .

بيان المجلس الوطني السوري حول الحرب على داعش

أصدر المجلس الوطني السوري بياناً في الثامن عشر من ايلول حول الحملة الدولية على تنظيم «داعش»، قال فيه»إن ضرب أحد منتجات مصنع الإرهاب عمل جزئي وغير مجد، ويذّكر السوريين بنزع أداة جريمة ضرب الغوطة بالسلاح الكيماوي وترك المجرم حراً طليقا ، يستخدم مواد الكلور والبراميل المتفجرة التي تحقق للنظام نفس الغرض الذي كان يسعى إليه باستخدام الكيماوي». ورأي المجلس الوطني السوري أن الحرب على داعش دون مواجهة شاملة للإرهاب وصانعيه، خطوة ناقصة تشجع النظام السوري على ممارسة وصناعة المزيد من الإرهاب. واعتبر المجلس أنه «لا مجال للقضاء على الإرهاب في سورية والمنطقة، إلا بدعم صمود المجتمع السوري وتعزيز قوى الثورة السورية والجيش السوري الحر بمواجهة الإرهاب الأكبر وهو إرهاب النظام السوري، والإرهاب المستولد وهو إرهاب تنظيم داعش ، والإرهاب المستورد وهو إرهاب ميليشيا حزب الله اللبناني وأبو الفضل العباس العراقي وأمثالها «.

بيان الشبكة السورية لحقوق الإنسان حول استخدام النظام قطع المياه كسلاح حرب

أصدرت الشبكة السورية لحقوق الإنسان بياناً في التاسع عشر من أيلول، حول قطع النظام المياه عن مخيم اليرموك، وجاء في البيان أنه في يوم الثلاثاء 9/أيلول/2014 قام النظام السوري بقطع شامل للمياه عن مخيم اليرموك وبعض الأحياء من حي التضامن داخل العاصمة دمشق.

وأضاف البيان:» كان النظام السوري قد قطع المياه عن حي الحجر الأسود، وأصدرت الشبكة السورية لحقوق الإنسان بتاريخ 14/ أيلول/2014 نداء استغاثة حول تلك الجريمة الفظيعة، ومازالت المياه مقطوعة عن حي الحجر الأسود حتى الآن، وبناءً على ذلك فإن

الشبكة السورية لحقوق تنبه المجتمع الدولي ممثلاً بمجلس الأمن إلى استخدام النظام السوري قطع المياه عن الأحياء والمناطق كسلاح حرب بشكل أكثر منهجية عما كان عليه في السابق من قطع للمياه عن المناطق المحاصرة فقط كالغوطة الشرقية والغربية وأحياء حمص القدمية وغيرها، من أجل الضغط على الحاضنة الشعبية كنوع من العقاب الجماعي لإجبار الثوار على الخضوع».

وأكدت الشبكة السورية لحقوق الإنسان في بيانها أن حياة ما لايقل عن 20 ألف شخص داخل مخيم اليرموك مهددة بالخطر، ويجب التحرك السريع لإجبار النظام السوري على تطبيق قرار مجلس الأمن 2139 أو اتخاذ إجراءات رادعة إضافية بحقه.

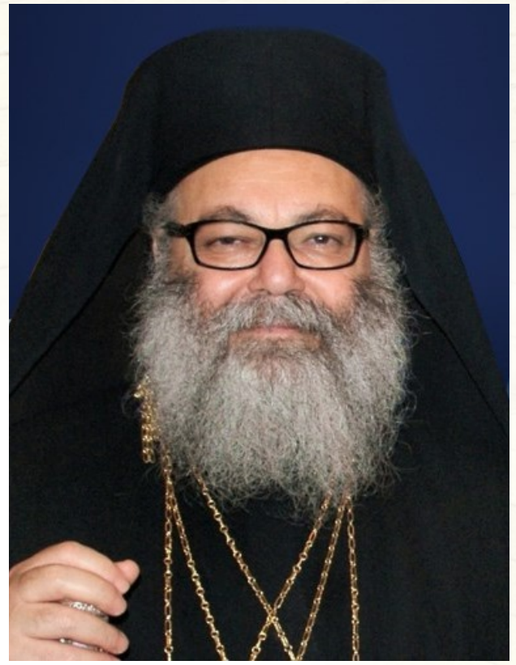

بيان بطريرك الروم الأرثوذكس حول مؤتمر "الدفاع عن المسيحيين"

أصدر بطريرك الروم الأرثوذكس بياناً في التاسع من أيلول، حول مؤتمر الدفاع عن المسيحيين، جاء فيه أن البطريرك «يوحنا العاشر» انتدب رئيس الأساقفة جوزيف (زحلاوي) متروبوليت نيويورك وسائر أمريكا الشمالية لتمثيله في أعمال المؤتمر حول "الدفاع عن المسيحيين"، الذي ينعقد في مدينة واشنطن ما بين 9 و11أيلول 2014، وجاء في البيان أن المتروبوليت جوزيف سينقل للمؤتمرين موقف الكنيسة الأنطاكيّة، الذي «يعتبر المسيحيين مكوّناً أصيلاً من مكوّنات المشرق يرتبط مصيرهم بمصير جميع إخوتهم في المواطنة».

وأضاف البيان:» لذا يكون الدفاع عنهم بشكل أساسي من خلال إحلال السلام العادل في منطقتهم، وترسيخ قيم المواطنة الحقّة والحرّية المسؤولة والعدالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في البلدان التي ينتمون إليها»، وشدد البيان على أن المسيحيين يرفضون أي جلاء أو إجلاء، وهم سيبقون راسخين في أوطانهم، رسل محبة وسلام، وأكد على أن حماية المسيحيين تندرج تحت منطق حماية الإنسان المشرقي، مسيحّياً كان أو مسلماً، والذي يرزح تحت تبعات التطرّف والإرهاب. وأشار البيان أن :» وبطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس عازمة على القيام بكلّ ما يلزم من أجل ترسيخ منطق التجذّر في الأرض كجزء من المهمّة التي أوكلت إليها من الله شهادةً لمحبّتها للإنسان ولاستعدادها لخدمته».

"داعش" في بيان لأهالي الرقة: الآن هو عهد الدولة الإسلامية والخليفة أبي بكر القرشي

وزع تنظيم داعش ما سماه «وثيقة المدينة» على المواطنين في الرقة، والتي قال انها لـ«تعريف أهلنا السنة والعشائر الأصيلة بالعقد الذي يربطهم بأبنائهم واخوانهم المجاهدين»، والذي «يحدد المبادئ الشرعية والقواعد الإسلامية التي تلزم الراعي والرعية». وجاء البيان في 14 نقطة، عرف فيها التنظيم نفسه وكيف سيحكم وكيف سيطبق الشريعة، وقال «نعامل الناس بما ظهر لنا منهم ولا نأخذ أحداً بالظن والتهمة بل بالبينة القاطعة»، طالباً من النساء الحشمة والستر وارتداء الجلباب الفضفاض وملازمة الخدر، وختم بيانه الذي تم توزيعه في الخامس عشر من أيلول بـ«أيها الناس لقد جربتم الأنظمة العلمانية، ومرت عليكم الحقبة الملكية فالجمهورية فالبعثية فالصفوية، وقد جربتموها وذقتم لوعتها واكتويتم بنارها، وها هي الآن حقبة الدولة الإسلامية وعهد الإمام أبي بكر القرشي وسترون الفرق..».

الائتلاف: زيارة اللبواني تصرف شخصي

أكد الائتلاف أن زيارة كمال اللبواني الأخيرة الى الاراضي الفلسطينية المحتلة هي تصرف شخصي لا علاقة له بمواقف الشعب العربي السوري، ولا الائتلاف. وقال الائتلاف في بيان له صدر في الثالث عشر من أيلول أن اللبواني استقال من الائتلاف مطلع العام الجاري، وجميع مواقفه وتصريحاته شخصية ولا تعبر عن إلا عن رؤيته الخاصة. كما أكد الائتلاف في بيانه أن مواقفه ثابت فيما يتعلق برفض الاحتلال الاسرائيلي، وأنه ملتزم بالمبادئ التي تبناها الشعب السوري طوال عقود في هذا الشأن، وأن مواقفه منسجمة مع الموقف العربي المبدئي، وقراري مجلس الأمن الدولي رقم 242 و497، بما يتلخص في الالتزام بمبدأ تحرير كافة الأراضي العربية المحتلة بما فيها الجولان السوري المحتل.

الائتلاف يطالب بالتحرك لوقف تدمير النظام لحي جوبر

طالب «نصر الحريري» الأمين العام للائتلاف في تصريح صحفي له صدر في الثالث من أيلول، طالب المجتمع الدولي بالتحرك العاجل لوقف عمليات النظام في حي جوبر، والعمل على إنقاذ المدنيين المحاصرين فيه، ووقف عملية التدمير المنهجة التي يسعى إليها النظام بحسب ناشطين، مستخدماً نوعاً جديداً من الأسلحة ذات الأثر التدميري الكبير وهي صواريخ مزودة بمظلات يعتقد بأنها تُطلق من جبل قاسيون باتجاه الحي المنكوب. وقال الحريري في تصريحه: «شن نظام الأسد العديد من الحملات لكنه لم يستطع اقتحام حي جوبر الدمشقي الذي تحاصره قواته منذ عامين وتخضعه لعملية تدمير ممنهجة، وقد قام النظام منذ مدة بتصعيد حملته العسكرية على الحي مستخدماً كافة أنواع الأسلحة بما فيها الطيران الحربي والصواريخ الموجهة وغيرها.»

الائتلاف يحل مجلس القيادة العسكرية العليا

أصدر "الإئتلاف الوطني" قرارا في الثاني والعشرين من أيلول يقضي بحل مجلس القيادة العسكرية العليا، وإعادة تشكيله، خلال مدة أقصاها شهر. وتضمن القرار ايضا "ابطال الاجتماع المنعقد في غازي عنتاب بتاريخ 17-9-2014 وكل ما نتج عنه من قرارات لكونه حصل في غير التاريخ المقرر مسبقاً لانعقاده وعدم حضور رئيس الأركان وتغيب عدة ممثلين للفصائل الفاعلة عن الاجتماع المذكور وتسببه في انسحاب ممثلي الفصائل والقوى الفاعلة منه."

خارطة الفقر والأمية والتطرف في سوريا (5)

حمص وحماة وإدلب... حكايات من التمييز والتخلف والقهر تنتج رجماً

جابر بكر

لفت رجم المرأة السورية في ريف حماة الشمالي بتهمة الزنا، الأنظار إلى واقع تلك المحافظة ولكن بوقت متأخر جداً. فبعد أن جاوز عمر الثورة السورية الأعوام الثلاث والنيف انتبه الناس إلى واقع مأساوية المصاب. التفات بقي كما كثير مما يحدث اليوم انتباه مؤقت يثير السخط والغضب فقط، شتم وسب للفاعلين وقذفهم بأبشع الأوصاف والتركيز على الأب الذي رفض المسامحة بل أنكر ابنته. انكار لا يمكن اسقاطه إلا على واقع انكار السوريين لواقع حالهم قبل الثورة وخلالها وربما بعدها. واقع لم يدقق فيه بعد. لم يسأل أحد في تفاصيله ولم يغص الباحثون في عمق جغرافيا الفقر والتخلف والأمية والجهالة التي يعيش فيها غالب المجتمع المهمش. ريف حماة الشمالي حيث الواقع لا يختلف عن باقي المحافظة من حيث الاهمال العام، استشراء للتطرف بسبب عمق التخلف وجذر الفقر الذي ضرب أساسات كل القرى السورية حتى الغنية منها فكيف حال الفقيرة بينها.

محافظة تضم في خمس مناطق 558 نقطة سكانية منها 115 نقطة سكانية يتراوح الفقر فيها بين 25% إلى 99%، ولا تنتهي المسألة عند مستويات الفقر بل تمتد لتلامس مستويات الأمية المرتفقة بمعظم النقاط السكانية حيث لا تنخفض عن 9% وتصل في بعض المناطق لحدود 80% وهذه المؤشرات ربما تبرر حادثة رجم المرأة وإن كان ما حدث لا يبرر بأي شكل من الأشكال ولكن يمكن فهم لماذا وقعت الواقعة هذه بموافقة وتبريك من الأهل والأقارب والجوار؟.

خريطة الفقر في محافظة حماة حسب النقاط السكنية

المنطقة	عدد النقاط السكنية	معدل الفقر من 0 إلى 25%	معدل الفقر من 25 إلى 99%
مركز حماه	162	123	39
السقيلبية	126	117	9
السلمية	130	71	59
محردة	34	31	3
مصياف	106	101	5

وبالانتقال إلى أكبر محافظة سورية من حيث المساحة أي حمص التي يمكن أن تسمى بالريف الكبير، يضم هذا الريف ست مناطق فيها 506 نقاط سكانية منها 98 نقطة سكانية تتراوح نسب الفقر فيها بين 25% إلى 99%، ويلاحظ انتشار الأمية في منطقة تدمر وكذلك الفقر أكثر من غيرها من المناطق في هذه المحافظة، وبالطبع قياسا بعدد النقاط السكانية التي فيها، وهنا يطرح سؤال الاهتمام بالبادية وبالذات تدمر التي تعد معلم سياحي كبير كان يقصد من مختلف أنحاء العالم. بالطبع ما سبق لا يعني أن الفقر والأمية والبطالة منتشرون في منطقة تدمر دون غيرها فلا يمكن وصف نسبة الفقر التي تصل إلى 20% بأنها نسب مقبولة أو البطالة التي تصل إلى أعلى من هذا الرقم أو الأمية التي تصل إلى أرقام مضاعفة في بعض القرى بأنها أرقام مقبولة ولكن البحث هنا يركز الضوء على الأكثر سوءاً.

خريطة الفقر في محافظة حمص حسب النقاط السكنية

المنطقة	عدد النقاط السكنية	معدل الفقر من 0 إلى 25%	معدل الفقر من 25 إلى 99%
مركز حمص	225	180	45
تلكلخ	106	94	12
الرستن	37	32	5
القصير	60	50	10
المخرم	60	45	15
تدمر	18	7	11

أما المحافظة المنسية إدلب، المقسمة إلى خمس مناطق تضم 477 نقطة سكانية منها نقطتان يصل فيهم الفقر لحدود 100%، و68 نقطة سكانية يتراوح الفقر فيها بين 25% إلى 99%، ولكن في البداية يتضح خطأ في التوزيع الإداري إذ تضم منطقة معرة النعمان منفردة 164 نقطة سكانية في حين مركز المحافظة لا يضم إلا 89 نقطة سكانية ومن الواضح أن منطقة أريحا تختلف من حيث المستوى المعاشي عن باقي أرجاء المحافظة وبالذات الريف الشمالي منها، ولكن هذه المحافظة المنسية ساندتها تربتها الخصبة لتبقى على قيد الكفاف فقط لا غير، ولكن واقعها لا يختلف كثيرا عن باقي المناطق السورية المهملة من حيث مستويات التعليم والبطالة المرتفعة قياسا بالمدن التي تحظى برعاية من نوع خاصة لأسباب مبهمة لسنا بصدد الخوض فيها بهذا المبحث بالذات.

خريطة الفقر في محافظة إدلب حسب النقاط السكنية

المنطقة	عدد النقاط السكنية	معدل الفقر من 0 إلى 25%	معدل الفقر من 25 إلى 99%	100%
مركز إدلب	89	77	12	0
أريحا	64	62	2	0
جسر الشغور	87	79	7	1
حارم	73	65	7	1
معرة النعمان	164	124	40	0

واقع هذه المحافظات الثلاث تشكل فيها حماة وضوحا في الاهتمام بمناطق على حساب أخرى، وتسجل فيها حمص المركز العسكري الكبير لدى النظام السوري كذبة النظام بالاهتمام بالبادية وتعليمها وتنميتها من خلال أرقام تدمر، وتظهر أرقام إدلب فشلا إداريا واضحا إضافة لحالات فقر تصل إلى 100%، هذا الواقع المعاشي السالف الذكر وواقع الأمية الذي تُظهره الجداول يمكن إدخاله ضمن ما أطلق عليه الباحث المصري مصطفى حجازي بآليات خلق الانسان المقهور، فيتشكل نتيجة كل هذه التفاصيل، وما يمكن أن يضاف لها من ثقافة عامة وبنية نظام أمنية وعسكرية ديكتاتورية، مجتمع مقهور برمته من رأسه إلى أخمص قدميه.

يتميز هذا المجتمع المقهور بعدة نقاط أهمها عقدة النقص حيث يعيش هذا المجتمع مثلا بالانسان المقهور مشاعر دونية من الوجود كلياً، حيث يعيش حالة عجز أمام الطبيعة وغوائلها وقوة السلطة على مختلف أشكالها، حيث يعيش حالة تهديد دائم لحياته وقوت عياله وهنا يكون الانسان المقهور عاجز عن المجابهة، وعقدة النقص تجعل الخوف يتحكم به ما يدفعه لانعدام الكفاءة الاجتماعية والمعرفية وهنا يمكن فهم لماذا لم يُسمع يوماً قبل الثورة بأسماء أي من القرى التي عرفها السوريون والعالم خلال الثورة؟ ولكن قبل الثورة يضاف إلى ما تميز به المجتمع عقدة العار وهي التتمة الطبيعية لعقدة النقص حيث يخجل الانسان المقهور من ذاته ويعيش وضعه كعار وجودي يصعب احتماله، ويكون في حالة دفاع دائم ضد افتضاح أمره، افتضاح عجزه وبؤسه، يستكمل المشهد باضطراب الديمومة حيث يعيش هذا المجتمع المقهور، ممثلا بالفرد، عجز في التحكم بالمصير.

يضاف لذاك التوصيف الذي أفاض بوصفه الباحث حجازي في كتابه الانسان المقهور، أن جميع العوامل التي سبقت تؤسس لمرحلة الانتفاض والخروج عن الصمت ولكنها تبقى كليا في إطار البحث عن فرصة للوصول إلى السلطة ومحاولة استملاكها التي تصل حد التماهي فيها وهذا ما حدث مع التنظيمات الاسلامية المتطرفة التي وصلت إلى السلطة والقوة وعاشت نشوة السلاح بعد سنوات من الاضطهاد والقهر ما ولد لدى أفرادها على أقل تقدير رغبة فرض الذات والتمحور حولها وهذا ما يُلمس بحديث منفذ حكم الرجم في ريف حماة الشمالي، حيث يدعي لنفسه تنفيذ أمر الله على امرأة تمثل جميع نساء المجتمع اللاتي يبقين بحالة المجتمع المقهور أكثر الفئات قهرا وذلا ومهانة.

الشخصية الإلكترونية
للشخصية المضادة للمجتمع

د. هنادي الشوا

مما لاشك فيه أن ما نشهده اليوم يمكن وصفه دون مبالغة بالغزو الإلكتروني، فمجرد نظرة خاطفة على مجريات حياتنا اليومية وطرق التواصل الاجتماعي العصرية ،وحتى التغيير في عاداتنا وأوقات تناولنا للطعام، و حتى زيارات الأصدقاء يمكنها أن تشرح كيف أصبح هذا العصر عصر تكنولوجيا التواصل بلا منازع.

وهنا تكمن خطورة المشكلة فبحسب التقديرات فإن عدد المشتركين على شبكات التواصل الاجتماعي الفيسبوك وصل العام الماضي إلى مليار مشترك والعدد بازدياد مستمر . وهنا لم نتحدث عن التويتر و غيرها من شبكات التواصل الأقل شعبية . هذا الرقم يشير بدون أدنى شك إلى أننا بحاجة إلى دراسات عميقة ومتخصصة حول هذه الثورة وتأثيرها على معالم شخصياتنا . فلقد غيرت ثورة التواصل الاجتماعي مفاهيم كثيرة كانت سائدة فيما مضى منها مفهوم الوحدة والذي ظل تعريفه حتى وقت قريب مرتبط بالانعزال المادي للفرد عن الجماعة . أما مع ظهور شبكات التواصل فمفهوم العزلة قد تغير وخاصة فيما لو عرفنا أن هناك الآلاف وربما أكثر قد تمكنوا بالفعل من بناء علاقات متينة حقيقية عبر الشبكة عوضوا من خلالها عن حالة العزلة التي كانوا يعيشونها . والغريب في الأمر كما أشارت بعض الدراسات في أميركا أن هؤلاء الأشخاص ظلوا في المجتمع سلبيين ولم ينخرطوا بجماعات . ولكن ظل تواصلهم عبر الشبكة العنكبوتية .كما سُجلت الكثير من حالات الزواج والتعارف الحقيقي كما سُجلت بالمقابل كثير من حالات الاحتيال والخداع والزواج الفاشل .وهذا أمر طبيعي يمكن تفهمه في ضوء وجود الكثير ممن يستخدمون الشبكة لأغراض الإيقاع بالآخرين لمحاربة قصورهم وعجزهم الواقعي .

سنتحدث في هذه المقالة عن الشخصية المضادة للمجتمع على شبكات التواصل الاجتماعي وكيف سهلت لهؤلاء الشخصية الإلكترونية التسلل عبر الشاشات للوصول إلى المجتمع. ونفث سمومهم وأفكارهم المضادة للمجتمع؟ كيف يمكن التعرف إليهم؟ ما هي أبرز خصائصهم الشخصية في وقت تسود فيه الفوضى و الاحتقان والغضب في نفوس كثيرين وخاصة في هذه الظروف التي تمر بها المجتمعات العربية قاطبة؟ فكما نعلم شتان بين من تنفلت منه كلمة بلحظة غضب وحزن وبين آخر يستغل الفرصة لجذب الناس ويقوم بغسل أدمغتهم بشكل ممنهج في بيته الالكتروني .

لن نتوسع في شرح خصائص الشخصية المضادة للمجتمع فهي معروفة للجميع . ولكننا سنناقش هنا أهمها وخاصة المتعلق منها بلغط شائع جداً في هذا الوقت بالذات.

سنعرض فيما يلي أبرز صفات الشخصية المضادة للمجتمع : هي شخصية مهددة للآخر. غير مسؤولة . تقوم بافتعال الفوضى والمشاكل والإيقاع بالضحايا عبر اختلاق القصص الوهمية ونسج الأكاذيب والتي قد تُفضي في حالات معينة إلى الموت . كما يحدث على سبيل المثال في سوريا حيث نرى ما يقوم به بعض هؤلاء من نشر قوائم فضائحية لأشخاص يتهمونهم بتهم مختلفة تبعاً لموقفهم ويقومون بتسريب أسمائهم إلى جهات معينة . على سبيل المثال إذا كان الشخص موالي للنظام يعمد خصمه إلى تسريب اسمه ونشاطاته وأحيانا ً يكون غير ناشط في إعلام النظام أساساً وتُرسل المعلومات إلى الجهة الخصم وقد يؤدي هذا إلى قتل الشخص في منطقته دون أن يدري أحد مالسبب لتكتشف أن السبب يعود إلى ثأر قديم وعداوة أو غيرة ومنافسة خُصمت إيجابياً لصالح المغدور. في الطرف المقابل يقوم البعض بتسريب أسماء مناوئين للنظام إلى عناصر حواجزالنظام فقط للانتقام. وهم يعلمون مسبقاً بأن هذه التهم قد تُفضي للموت ولكنهم للأسف لا يكترثون لذلك فمن خصائصهم النفسية أيضاً ً خاصية انعدام الضمير والشعور بالألم على الأذى الذي ألحقوه للآخر. المهم هو انتصارهم النفسي لو على حساب حياة الخصم. وهنا تأتي الخطورة الأكبر على استخدام هؤلاء لشبكات التواصل وتخصيص صفحاتهم لما بات يُعرف بفضائح الخونة .لا يستثنون رجالاً أو نساء. شباباً أو كهول . المهم بالنسبة لهم أناهم فقط.

ومن هنا تأتي أهمية التعامل مع هؤلاء بحذر شديد وعدم التساهل معهم . فمعروف عن الشخصية المضادة للمجتمع باختلاقها للأكاذيب وتزييف الحقائق وادعاء عكس ما تُضمر. وعدم الشعور بتأنيب الضمير .

وهنا قد يسأل سائل كيف يمكننا تمييز الشخصية المضادة للمجتمع في ضوء ما بات يعرف بالشخصية الإلكترونية وخصوصاً ً خلال ثورات الربيع العربي والتي فرضت جواً ً من الاحتقان العام لدى كثيرين؟

هذا سؤال مشروع وخاصة في ظروفنا الراهنة فكما هو معلوم ومع بدء ثورا ت الربيع العربي وتضييق الخناق على الناشطين والإعلاميين بتنا نقبل بين أصدقائنا الكثير ممن يحملون أسماء وهمية وأحياناً نقبل أصدقاء من دول أخرى يتشاركون معنا همنا اليومي. ولأنه من الصعب والشاق فعلاً أن تطلب من شخص يتخفى لأسباب أمنية بالفعل أن يطلعك على اسمه الحقيقي ومكانه لذلك يتم غض النظر عن كثيرين . من بينهم مع الأسف الشديد الكثير من أصحاب الشخصية المضادة للمجتمع ومن هنا تأتي صعوبة تمييزهم . كما أن سهولة نقل الأخبار وتداولها بين المتصفحين من خلال الإشارة لأسماء أصحاب المنشورات يحول أيضاً دون أن يصبح الفيسبوك عالماً شخصياً بعيداً عن المخاطر واحتمال الوقوع بين أيدي هؤلاء الأفراد.

قد يسأل سائل آخر هل بالضرورة أن تكون الشخصيات الالكترونية وفق هذا المنظور مطابقة للشخصيات الحقيقية؟ بمعنى آخر كيف يمكن أن نميز بين هؤلاء الحقيقيين أنفسهم أن أحداً ما منهم ليس سيكوباتياً انطلاقاً من حقيقة نفسية بأن الشخص المضاد للمجتمع لا يمكن التعرف عليه بسهولة إن لم يرغب بالفعل الإفصاح عن شخصيته كما هي بالفعل؟

هذا سؤال يبدو في محله تماماً ً بحيث يمكن لشخص أن يظهر بشخصية إلكترونية غاية في التهذيب والرحمة والجمال ولكنه في الواقع شخص سيكوباتي ويستخدم الشخصية الإلكترونية كقناع. لنتخيل كيف كان السيكوباتيين قبل ثورة تكنولوجيا التواصل الاجتماعي ألم يكونوا أساساً بيننا . يأكلون معنا في المطاعم؟ يحضرون معنا في الجامعة؟ وربما أرباب عمل عملنا لديهم ذات يوم؟ إذاً التعرف عليهم ليس بالأمر السهل ويصعب على غير المختصين التعرف عليهم إن كانوا يتمتعون بذكاء أكثر من العادي . ولكن الحذر والتعامل بحدود سيخفف بالتأكيد من المخاطر ما أمكن. والأسئلة بالطبع كثيرة ولكننا سنحاول هنا الإحاطة ببعضها على قدر أهميتها وانتشارها في مجريات الحياة اليومية لكل منا .

في حقيقة الأمر ومن الناحية النفسية من غير الضروري أن تتطابق لدى الجميع الشخصية الإلكترونية والواقعية لأسباب مختلفة منها ما يتعلق بشخصياتنا نفسها . ومنها ما يتعلق بمزايا ومغريات التو اصل الاجتماعي الإلكتروني ونبدأ بأولها: وهو التحرر من القيود الاجتماعية والضوابط والعقل المحاسب الذي يكون في الحياة الواقعية ملازماً لنا بدءاً من الوالدين والأخ الأكبر والزوج ورب العمل والزملاء وليس انتهاءاً بالقانون والضوابط الناظمة لسلوك الأفراد وتعاملهم مع بعضهم البعض.

أما التواصل الإلكتروني فهو يحررنا نوعاً ما من كل هذه الضوابط أو معظمها. فتجد أحدهم مثلاً يقول لك: لا تنظر إلى صحفتي التي تغُص بالسباب والكلام البذيء أنا في حياتي الواقعية شخص عالي التهذيب. وكذلك الأمر ينطبق على الإناث اللاتي يعانين من كبت والدي . يجدن في التواصل الإلكتروني متُنفساً لأفكارهن المكبوتة. وتغدو المشكلة أكبر وبحاجة إلى تدخل حينما يستغل البعض هذه الحرية ويصل به الأمر حد الانفلات من كل الضوابط الأخلاقية فيبدو وكأنه يمارس سلوكاً تعويضياً ً يعوض به كل ما فاته من مرات لم يتمكن فيها من البوح بما يريد قوله بالفعل . والإشكالية هنا تحدث على الجانب النفسي بشكل مُخيف ومُقلق ولاسيما أنها ربما تنتهي بالشخص أن يُعجب بشخصيته الإلكترونية ويتخذها فيما بعد شخصيته الواقعية فيصبح التواصل الإلكتروني نقمة عليه. فمن المعروف أننا ومهما ادعينا العكس نبقى في الجوهر مجتمعات محافظة نسبياً على الرغم من اختلاف مشاربنا ومعتقداتنا. فإننا نرى في حياتنا اليومية كيف يتم إطلاق الأحكام بسهولة والتعميم على أفراد لمجرد كونهم يتبعون السباب أسلوبا في إظهار انفعالاتهم .

التنفيس الإلكتروني. بين السواء والشذوذ:

غالباً ما يبحث الشخص المضاد للمجتمع و المكبوت في الواقع عن ما يسد النقص في شخصيته فيجد في هذه الشاشة مجالاً حيوياً للبوح بكل ما يخطر بباله ويبدأ بإطلاق الشتائم .وتلفيق التهم . والكذب . وتنصيب نفسه قاضي على الناس فيقتص ممن يغار منهم وينصب لهم الكمائن . ويتشفى بضحاياه وكل هذا خلف شخصية إلكترونية قد تكون في الغالب وهمية وأحياناً حقيقية.

ما يحدث هو أن حالة تفريغ المكبوتات التي تعتقلها المرغوبية الاجتماعية في الشخصية الواقعية. تُحدث شيئاً ً من السرور النفسي. الناجم عن التحرر من ضغط المكبوتات. هذه السعادة ناجمة بدورها عن ارتفاع مستوى هرمون الدوبامين في الدماغ . وهذا بحد ذاته سيصبح كفيلاً لاحتمال تعرض صاحبها للإدمان والذي سيرتبط لاحقاً بشكل خاطئ مع السلوك المفَضي للسعادة وهو في حالتنا : السلوك اللفظي المضاد للمجتمع.

تحدثنا مع بعض الأشخاص الذين يعتمدون أسلوب الشتائم كأسلوب للتعبير عن الرأي وفيما إذا كانوا قد حاولوا من قبل ضبط انفعالاتهم فكانت الإجابة على النحو التالي:

في معظم المرات التي كنت أحاول فيها التعبير عما يجول بنفسي. وكنت أحاول جاهداً ً تغيير أسلوبي كنت لا أشعر بالرضى والسعادة. رغم أني أحصد كماً من الإعجاب أكثر بكثير مما أحصل عليه حينما أنشر محتوى بذئ وهجومي وهذا يفاجئني بأني نفسياً ً غير سعيد وغير راضي عن أدائي.

البعض من هؤلاء ولدى تواصلك الشخصي معهم و محاولتك التحدث إليهم بشأن الاهتمام بألفاظهم والتعامل مع صفحاتهم الإلكترونية وكأنها غرفهم الخاصة والتي يحرصون على أن تكون نظيفة أو على الأقل تليق باستقبال ضيوف أحياناً ً من أعمار مختلفة يقتنعون بأهمية هذا الأمر. ولكن يعبرون في الوقت نفسه عن فشلهم في العودة إلى شخصياتهم الواقعية .

ما من أحد منا لا يُطرق باب بيته أحياناً في أوقات مختلفة فهل يطيق أن يفتح الباب وهو بالسروال؟ أو ووجهه وشعره أشعث ؟ بالتأكيد قبل أن يضع يده على الباب سيقترب من أقرب مرآة في البيت ليرى فيما إذا كان يمكنه أن يفتح الباب ؟ فلماذا لا يقوم البعض بنفس السلوك حينما يبدؤوا بحفلات الشتم والسباب والألفاظ البذيئة لمجرد التنفيس ؟ وعلى وجه الخصوص هؤلاء الذين قد يكونوا كذلك في حياتهم الواقعية ممن يدققون أكثر في هذه التفاصيل اليومية .ولكنهم مجبرين على فعل ذلك وبالتالي فتحررهم من هذه الضوابط إلكترونياً ليس أكثر من تمرد على قيود وجدوا أنفسهم محاطين بها دون إرادةٍ منهم .

إذاً هنا يمكننا القول أن الشخصية الإلكترونية ليس من الضرورة أن تكون طبق الأصل للشخصية الحقيقية على العكس تماماً فربما إذا رأينا بعض الأشخاص ممن نفاجئ بأسلوبهم في التعبير عن ذواتهم على الفيسبوك ربما نعجب بهم ونراهم أشخاصاً ً رائعين . وهنا تكمن مشكلة أخرى وهي أيضاً ً نفسية ولكنها تتعلق بالرضا عن الذات وترتبط بالضرورة بالمشكلة الأولى . فبعض الأشخاص على سبيل المثال يكون في المجتمع شخص لديه علاقات اجتماعية ضحلة وشخصيته سلبية انعزالية ولكنه يجد في التواصل الاجتماعي فرصة لبلورة الشخصية التي يحلم بها فينسلخ عن واقعه ويحدث لديه صراع على مستوى الذات .

ظاهرة سب الأديان على شبكات التواصل تحت مسمى الحرية.

على سبيل المثال نتحدث عن ظاهرة سب الأديان والمعتقدات الخاصة بالآخر لا لشيء إلا بقصد التميز وإحداث هالة حول الشخصية وتكوين مجتمع نفسي متميز. وكل ذلك بحجة الحرية الشخصية والضرب بعرض الحائط بتعريف الحرية وكونها مشروطة بأنها تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين.

ومن بين الممارسات الغريبة كذلك أن ترى بعض الأشخاص والذين هو في حياته اليومية مؤمن بالفعل و يقيم وزن لأي حدث انفعالي يدفع فرداً ما إلى سب الأديان . ولكنه في الوقت نفسه على شبكات التواصل اختار شكلاً ً منافياً ً لطبيعته ولكنه مكنه من الحصول على جمهور متلقي يُعجب به وبآرائه المتحررة من كل قيد . فُيجبر نفسه جراء ذلك على الظهور بمظهر الشخص المتحرر من القيود الدينية وأحياناً يتسبب في إعطاء صورة خاطئة عن مفهوم العلمانية بسبب أنه يرى التحرر هو التحرر من كل شيء حتى من احترام الآخر المختلف. يسيء للأديان قاطبة . يسيء لفكرة الإيمان بحد ذاتها ويعتبرها قصوراً ً عقليا ً وقد يغلق كمبيوتره و يذهب للجامع. أعلم أن الأمر قد يبدو مفاجئاً ولكن ليس ثمة ما هو أصعب من أن تشعر بأنك بحاجة إلى إثبات ذاتك . وأنت تعلم أن لا شئ ذي قيمة يمكنه أن يجعل منك شخصاً ً ما .

الصراع والإحباط يمكن أن يفعل فعله هنا موديا ً بالشخص التائه إلى ضياع الهوية فما يحدث بهذه الحالة أن هذا الشخص عرضة أكثر من غيره لاضطراب عميق في الشخصية ناجم عن الصراع بين ما أنا في الواقع . وكيف أريد أن أبدو في نظر الآخر. والذي يُحسم غالبا في بعض الشخصيات الهشة باضطراب الشخصية الهيستيرية التحولية فتراه في النهار وفي العمل يعيش بشخصية الناصح الزاهد. وفي المساء يعود إلى عالمه الإلكترونية بصورة المتحرر من الدين وهذا يحصل كثيراً وخاصة في المجتمعات التي تربي أولادها وفق سياسة الإكراه في تعلم الدين وعدم مراعاة العمر والإدراك وتغير الزمن وشكل المجتمع.

مما تقدم نجد أن الشخصية الإلكترونية في كلتا الحالتين السابقتين ليست أكثر من شخصية قناع يضعها الفرد على وجهه للوصول إلى غاية ما غالباً ما تكون بدوافع نرجسية من حب الذات أو على العكس من جراء الشعور بالنقص وعدم الرضا عن الذات والإحساس بالضآلة ومن هنا تأتي خطورتها ووجوب التعامل معها بحذر شديد.

التفكك الأسري وانعكاسه على المجتمع السوري

تتميّز العلاقات الأسريّة في المجتمع السّوري بالحميمية والتكاتف والسعي الدائم للتمسّك بأواصر القربى، وتعميق العلاقات بين جيران السكن وأماكن العمل، مستمدين تلك المودّة من التربية الأخلاقيّة والدينية المتوارثة أو من العلاقات الاجتماعية المتوارثة، التي يتميّز ويفتخر بها أهل الشام وعموم المناطق السورية .

عبد الرزاق كنجو

وإنّ عُمق التواصل بين أفراد الأسرة يتجلّى في الزيارات المتبادلة في الأعياد، أو بالمشاركة في الأفراح والأعراس، وكذلك في المآتم والأحزان كما في مناسبات النّجاح أو عند قدوم مولودٍ أوالانتقال إلى سكن جديد، مما يُسهم في استدامة العلاقات بين الأقارب والأصحاب، كما يحرص الفرد على تفقّد أحوال صديقه ولو بالهاتف ــ كحدٍ أدنى ــ بين الفترة والأخرى لتأكيد استمرار تلك العلاقة الحميمية .

غالباً ما تستمر تلك الصداقات، ويتوارثها الأبناء لتوطيد العلاقات التي كانت تجمع ما بين أسرتهم مع الأسر الأخرى، حتى أنهم يعاتبون بعضهم البعض إذا ما انقطعت أخبارهم بعد فقدان أحد الآباء بقولهم: (احفظ ودّ أبيك)، للدلالة على ضرورة استمرار العلاقة والودّ القديم حتى ولو فُقِدَ أحد أركان الأسرة .

وجميعنا يعرف كيف أنّ معظم المسلسلات التلفزيونية السّورية كانت تعتمد هذه الروح الأسرية « كبناء درامي» متميّز لهذا المجتمع المتماسك والمتسلح بالأخلاق الكريمة، وبالوفاء والمحافظة على الوداد والسعي للتواصل الدائم مع الأقارب والأصحاب، وكيف أنّ نساء أو رجال الحيّ يجتمعون في المناسبات المختلفة، لإظهار التكاتف والشعور الموحّد في الأفراح والأتراح .

لقد كانت لحظات الوداع أثناء سفر أحد افراد الأسرة من أقسى اللّحظات، حتى ولو كان السفر لجهة أمضى المرء جلّ وقته يحلم بالوصول والعمل فيها، أو للتحصيل العلمي في أرقى الجامعات، أو حتى للالتحاق بخدمة عَلَمٍ بلاده وغيرها من المواقف الأليمة قبل السفر والفراق. عندها تجد الدموع قد انهمرت بغزارة مع نشيج مختلط بين السّعادة من جهة، وألم الوداع من جهة أخرى .

عندما قُدّر النّزوح والهجرة القسريّة على معظم أفراد الشعب السّوري، تركوا منازلهم التي اعتادوا السّكن فيها مع إخوتهم، وبعد أن كان يغمرهم حنان الوالدين والأوقات السعيدة أثناء الزيارات المتواصلة من الجيران والأقارب .

فجأة تفرّق الجّمع في طرقات متعددة، واتجّهوا إلى أماكن مجهولة هائمين على وجوههم يلاحقهم الخوف والجّوع، والمرض والإهانة أينما حلّوا، عند ذلك فقط تذكّروا ما كانت تقوله لهم جدّتهم العجوز في حكاياتها لهم قبل النوم وهم صغاراً: اعلم يا بنيّ بأنّ (الغُربَة مُضيّعة الأصُول). وهذا ما حدث فعلاً، فلم يعد من أحد يكترث بهذه الأعداد النازحة من البشر، إلاّ من رحم ربّ السّماء ...

كانت الفرحة تغمرهم عندما يتمكنون من التواصل مع بعضهم بالهاتف عبر أماكنهم المتباعدة مع ذويهم المنتشرين في دول أجنبية، اختلفت فيها اللغات وصعب عليهم الاندماج والتحدث مع محيطهم، إلاّ أنهم كانوا دائماً فرحين بحريتهم قياساً مع من لم يستطع الهرب، أو ممن بقي مغيّباً خلف قضبان السجون ينتظر المصير المجهول .

لم يعتادوا سابقاً الاصطفاف بالطّابور الطويل تحت أشعة الشمس الحارقة من أجل استلام حصتهم الغذائية أو وجبتهم اليوميّة والتي لم يكن لهم رأي في نوعيتها .

جلس التلاميذ الصغار وكذلك الطلبة في صفوف معتّمة وبمدارس مبعثرة، بعضها أقيم على عَجَل، تحت خيام تحرّكها الرياح وتلفح وجوههم المغبرّة نسمات الشتاء الباردة، يتراصّون في مقعد مع زملاء جدد لم يكونوا قد عرفوهم من قبل عندما كانوا في مدارس حاراتهم، كما لم تعد الألبسة الزرقاء الموحدة تكسو أجسادهم الغضّة .

فمنهم من عبر الحدود القريبه سيراً على الأقدام ومنهم من تعلّق بواسطة نقل مكتظّة باتجاه نقاط العبور الحدودية والتي أصبحت سائبة، بينما ركب أصحاب الحظّ التعيس، أو من لايملكون جوازات سفر، قوارب الموت، بعد أن دفعوا للسماسرة الفاجرين كلّ ماجنوه في سابق من عمرهم، حالمين بالوصول الى جنان أوربا لعلّهم يحصلون على عمل يكفيهم ما يسدّ رمقهم، مع حياة جديدة وآمنة .

عندما سُدّت الطّرقات «العربية» في وجوه النازح السوري راح يسعى لأي بلد يحتويه بدءاً من أوربا وانتهاء بآخر الدول الافريقية، لكنّ قوى البغي كانت تحاصره أينما اتجه، لذلك فقد أصبح ــ السوريّ ــ محطّ مساومة واستغلال لتشغيله بأدنى الأجور، وكان غالباً ما يرضخ لأنه لم يجد المأوى البديل في وطنه الممتد من « المحيط إلى الخليج «.

وفي عودة للرّوابط الأسريّة لا بد وأن نتذكر أنّ الأسرة التي تشعّبت وتفرّقت في مواقع عالمية متعدّدة ومختلفة العادات واللّغات والتقاليد، لا بد وأنها فقدت أو ستفقد مع مرور الزّمن، تلك العادات والروابط الحميمية التي اعتادوا عليها في مجتمعهم السوري والذي يفاخرون به كمنبع غنيّ يمتاز بقوّته ومحافظته على أواصر القربى المتينة، وعلى عادات الجّار الذي يواسي ويحرص على جاره. وبعد كل ذلك... ماذا نقول عن أسرة استشهد فيها الأب، واعتقل منها الابن الكبير من جامعته بينما خُطف زوج ابنتهم الوسطى من قِبَلِ جهةٍ مجهولةٍ وعنده ثلاثة أولاد؟

وبماذا سنجيب عن أسرة لها خمسة شبّان تناثروا في خمس دول مختلفة اللّغات والعادات والأديان؟ هل يستطيع أحدنا أن يتصوّر هؤلاء، وأولادهم، وأحفادهم، كيف سيتعارفون أو متى سيجتمعون؟ وفي أيّة لغة سيتفاهمون مستقبلاً؟ وكيف سيقتنعون بأن رابطاً من دمٍ ولحمٍ ونسبٍ يجمعهم؟ فضلاً عن المنبت الواحد الموحّد في اسم العائلة التي لها ينتمون؟ وفي أي السجلاّت المدنيّة سيجدون أصولهم وأسماء أقاربهم؟ كارثة اجتماعية كبيرة نعيشها الآن. وقد لا نشعر بها إلاّ بعد مرور سنوات عديدة من الزّمن، يكون عنوانها (التّفكك الأسري وانفراط المجتمع السوري).

كان الله بعونك أيّها السّوري، وأملنا به كبير، داعين الله بأن يجمع الشّمل ويوحّد الأسرة السّوريّة من جديد على أرضها الطّيبة .

مدن مستباحة،
حلب تبكي ولا تركع..

يقول المعري

حلب للوارد جنة عدن، وللغادرين نار سعير
يا شاكي الثوب انهض طالباً حلباً، نهوض مضنٍ لحسم الداء ملتمس
واخلع حذاءك إذا حاذيتها ورعاً كما فعل موسى كليم الله

في الحقيقة أكاد أجزم بأن كل من أراد دراسة هذه المدنية وتاريخها أو الكتابة عنها سيصاب بحالة عجز كالتي أصابتني أثناء كتابة هذه الكلمات، عجزٌ مرده ليس كما يُخيّل للقارئ نقص في المعلومات المتوافرة عن هذه المدينة لا بل على العكس تماماً فالكتابة عن حلب ربما لا أبالغ إن قلت تجعلك تشعر بأنه يجب عليك أن تتعلم السباحة وليس الكتابة قبل أن تهم بالكتابة عن حلب لأنك ستشعر بعد قليل من البحث بأنك أمام بحر من الكتب والمراجع والمعلومات تجعلك تصاب بحالة من الدهشة والحيرة بأي منها تبدأ أو أي منها تقرأ.

فؤاد المدلل

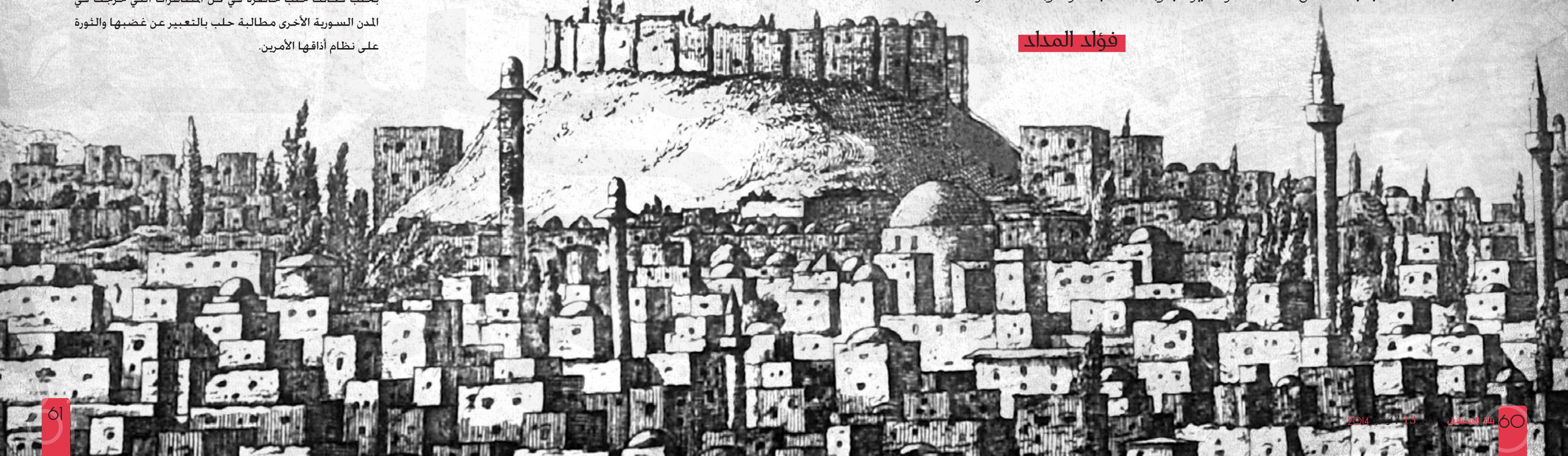

مدينة غنية بكل تفاصيلها تحمل بين طيات اسمها حضارة ضاربة في عمق التاريخ. في النهاية تنتابك حالة مختلطة من الدهشة و الإعجاب والفخر بأنك ابن بلد يضم بين مدنه مدينة كحلب وبأنك يوماً زرتها ودست ترابها المعبق برائحة التاريخ وأنفاس العابرين . لكنك في الوقت ذاته تشعر بخوف هل يكفي ما قد تكتب . هل يمنح هذه المدينة حقها.

حلب التاريخ :

فحلب أهم مدن سوريا والشرق والعالم الإسلامي عموماً. تاريخاً وحضارةً وتراثاً فهي المدينة التي عاصرت كافة الحضارات التي مرات على الشرق بدءاً من الحضارة الحثية والآرامية وانتهاءاً بالحضارة الإسلامية مروراً بالحضارات الآشورية والرومانية والفارسية طبعاً. وعرفت كبار الملوك والأمراء والقادة وشهدت أرضها أهم الانتصارات التي غيرت وجه العالم والشرق بكامله .

حلب مدينة العلم الفنون:

لا يمكن لأي باحث في تاريخ المنطقة أن يهمل ذكر حلب عندما يتحدث عن الفن في الوطن العربي والإسلامي فقد قدمت للعالم وعلى مر العصور علماءاً وأدباء وفنانين وشعراء ومفكرين فمن منا لم يسمع بعصي الدمع أبي فراس الحمداني. من منا من لا يعرف المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس في عصره. ومنا من لا يعرف الرازي الذي كان أعظم أطباء عصره وترك كنزاً من المؤلفات الطبية تدرس في أعرق جامعات العالم حتى يومنا هذا .

حلب الثورة :

عندما انطلقت الثورة السورية تأخرت حلب عن الانضمام رسمياً إلى قائمة المدن الثائرة على النظام الأسدي المجرم. يبرر البعض تأخرها بما ذاقته حلب على يد هذه النظام المجرم في الثمانينات من القرن الماضي حيث كانت حلب شاهداً آخراً إلى جانب حماه ومدناً سورية أخرى على إجرام هذه النظام. شاهداً بدم أبناءها الذين قضوا على يد النظام الأسدي حيث ارتكب النظام فيها أفظع الجرائم في حي المشارقة والتي لا تزال ماثلة في ذاكرة الحلبيين و لم تمحوها كل محاولات النظام لرشوة أهلها واستمالتهم إلى جانبه. حتى حجارة حلب القديمة اليوم شاهدة على تلك المجازر وربما إذا خدشناها قليلاً لتحركت ذاكرتها وبكت لهول ما رأت من تنكيل وإعدامات ميدانية لخيرة شباب حلب في ذلك الوقت .

صمتت حلب ولم تشارك في الحراك بقوة. فظن النظام أن حلب تلك الكتلة السكانية المرعبة كلها تؤيده ولم يفوت أبواقه فرصة ليتشدقوا بأن حلب لم تخرج ولم تشارك بالثورة لأنه يعلم أهميتها ومدى التأثير الهام الذي يمكن أن تخلفه حلب فيما لو دخلت إلى جانب أخواتها في درعا وحمص ودير الزور وبقية المدن السورية الثائرة التي لم تترك فرصة إلا وتغزلت فيها بحلب فكانت حلب حاضرة في كل المظاهرات التي خرجت في المدن السورية الأخرى مطالبة حلب بالتعبير عن غضبها والثورة على نظام أذاقها الأمرين.

وبالفعل أبت حلب إلا أن تكون أهلاً لتاريخها وحضارتها وقررت الثورة على نظام مجرم أهانها وأهان تاريخها وحضارتها بشكل لم تشهد مثيلاً له منذ الغزو المغولي. فثارت لتمحو من تاريخها نظاماً ظن مخطئاً بأن حلب مؤيدةً له أو على الأقل سيردعها ما رأته في المدن الثائرة الأخرى من دمار وقتل. فبدأت المظاهرات من جامعة حلب التي ستلقب فيما بعد بجامعة الثورة لروعة حراكها الثوري ومظاهراتها الحاشدة التي تحدت النظام و شبيحته. فكانت حلب بحق بركاناً تفجر في وجه النظام لم يستفق منه إلا ومعظم أجزاءها محرراً من سلطته ريفاً ومدينةً مقدمةً للعالم دروساً في التضحية و التحرير حيث استطاع ثوار حلب الأبطال رغم قلة العدد والعدة تحرير أغلب المواقع العسكرية للنظام وطرده منها متفوقين على آلة النظام العسكرية الهائلة من طيران ودبابات ومدفعية لم يبقى للنظام سوى أجزاء قليلة في حلب و بات قادته وعساكره كالجرذان التي تختبئ في ركن هنا أو هناك .

انتقام :

جُن جنون النظام وقرر الانتقام من حلب مدينةً وريفهاً . ولم يشفع للمدينة مكانتها التاريخية والأثرية وبدأ بقصفها بكل أنواع السلاح حتى وصلت به الأمور إلى استخدام الصواريخ البالستية كالسكود واستخدام الكيماوي في بعض مناطق ريف حلب الغربي .

ولم يسلم من قصف النظام بشر أو حجر مسجد أو كنيسة أو حتى مشفى أو مدرسة أو جامعة قصفها بحقد دون أدنى مراعاة لأي اعتبارٍ إنساني أو ديني أو ثقافي متجاهلاً كل نداءات العالم والمنظمات الإنسانية في الحفاظ على هذه المدينة وما تحويه من كنوز أثرية تعتبر علامات فارقة في تاريخ الحضارة الإنسانية جامعاً بذلك كل ما مرّ على حلب من غزو الرومان والمغول .

حلب صامدة :

لكن حلب بقيت عصية على حقده ولم يحقق النظام المجرم سوى تقدماً بسيطاً رغم كل القصف والدمار ولم يدخل قرية إلا بعد تدميرها على رؤوس ساكنيها وارتكاب أفظع المجازر بحق من بقي فيها بدعم من عناصر حزب الله و مرتزقة من العراق وغيره.

ولم يكتفي بهذا فقد لجأ النظام مؤخراً إلى استخدام سلاح قتل عشوائي همجي ليحدث اكبر قدر ممكن من الدمار والتهجير بحق هذه المدينة حيث يقوم النظام منذ أسابيع بإمطار المدينة ببراميل متفجرة يرميها من الطائرات ومن ارتفاعات كبيرة كي لا تصيبها مضادات الثوار. حيث تتساقط هذه البراميل الحاقدة على الأحياء السكينة في المدينة محيلة إياها إلى أكوام من التراب يختلط فيها التراب ببقايا الأجساد الآدمية الذي يأبى نظام الحقد الأسدي أن يتركهم يعيشوا بسلام بعد سنوات من الذل والعبودية فقرر دفنهم تحت ركام من حقد أعمى لا يميز بين مدني ومقاتل . بين رجل و امرأ ة أو بين طفل أو شيخ مسن عاش ليرى حلب وسوريا محررة من الاحتلال الأسدي. لكنه يواجه اليوم بخوف مجموعة أسئلة لا يجد إجابةً عنها :

باب الفرج

هل سأجد وسط كل هذه الركام قبراً دافئاً يضمني.هل سأموت وحيداً في بيتي بعد أن تحيل براميل الأسد سقفه إلى شاهدةً لقبري. وهل سأحظى بجنازة تليق بي. هل سأحظى برؤية أحبائي قبل موتي. وأخيراً هل سأنزل في قبري جثة كاملة أم أشلاءاً معبئة بكيس .

ربما من مفارقات الأقدار والتاريخ . أن حلب التي لا تكاد تخلو قائمة للتراث العالمي إلا وتتصدرها حلب . ولا تكاد تجد وثيقة تاريخية تخص تاريخ المنطقة إلا وتجد حلب متربعة في صدرها .تقبع اليوم تحت هذا القصف الهمجي لنظام الأسد . الذي بات يهدد وجود المدينة ككل . حيث تشير آخر الإحصاءات أن أكثر من 70بالمئة من الكتلة العمرانية الحلبية بقديمها وحديثها قد تم تدميره بالفعل . سواء بقصف النظام أو التفجيرات التي تقوم بها بعض الجماعات المسلحة التي باتت اليوم تثير جدلاً واسعاً حول مدى أهميتها ومدى تأثيرها على الصراع بين الثوار والنظام ومحاولات كل طرف لكسب أو قضم جزء يسيطر عليه الطرف الآخر. سيما أن معظم هذه التفجيرات تحدث في المدينة القديمة وحول قلعة حلب الأثرية الأشهر ربما في الشرق الأوسط . الأمر الذي بات يهدد تاريخ المدنية وتراثها وآثارها وجعل البعض يتهم حتى المعارضة المسلحة بعدم الاهتمام بقيمة المدنية التاريخية ومكانتها بين مدن العالم ويطلقون التحذيرات والنداءات لإبعاد القتال عن هذه الأماكن ذات الأهمية التاريخية النادرة دون أن تجد تلك النداءات آذاناً صاغية لا من قبل النظام كما هو متوقع ولا من بعض فصائل المعارضة المسلحة .

في حلب اليوم تكاد المدينة الأقدم تاريخياً شبه خالية من سكانها سيما القسم المحرر منها . إذ تشير التقديرات أن ثلثي المدينة المحرر بالإضافة إلى ريفها شبه خالي من السكان اليوم . إذا لا يتجاوز عدد الباقين فيه بعد أن فر معظم سكانها منها هرباً من براميل النظام سوى 300 ألف نسمة بعد أن كانت تضم أكثر من 3 ملايين نسمة تضج بهم أزقة حلب وحواريها وأسواقها القديمة الأشهر في العالم .هربوا نحو مناطق أقل عرضة للبراميل . إذ لا توجد في حلب اليوم منطقة لا تطولها براميل الأسد وصواريخه البعيدة المدى .

في حلب اليوم تتجسد كل الصراعات بين الإنسان ومن يفترض أن يكون آخيه الإنسان وأخيه في الوطن والدين.صراعات بين الإنسان والحياة وسط مزيج عجيب تختلط فيه أصوات الضحايا الأبرياء بأصوات طيارين مجرمين وضحكاتهم وهم يلقون براميل حقدهم على من غنى لهم يوماً حماة الديار .

لكن وعلى الرغم من كل هذا ستبقى حلب كما قال عنها المعري : للغادرين ناراً سعير. كلمات تسمعها من يخرجون من تحت الدمار. حلب ستبقى صامدة «داعسة على رأس الأسد» كما عبره أحدهم بغضب و والغبار يغطي وجهه وهو يخرج من تحت ركام منزله المدمر. بينما تسمع آخراً يقول: لاشيء يحدث سوى أن السماء فتحت أبوابها لحلب وأهلها الفقراء الطيبين.و بقي منهم تخلوا عن كل شيء إلا عن إيمانهم بقضاء الله وقدره منتظرين رحمةً ونصراً من عند الله وسط كل هذا الدمار.و صمت الإنسانية والعالم على مذبحة التاريخ والحضارة... مذبحة الإنسان .

دير الزور..
مدينة لا تعرف كيف تموت

ثائر الزعزوع

كتب الناقد صبحي حديدي مرة مقالة مؤلمة في القدس العربي عنوانها «دير الزور... حبها ذباح» في مقالته تحدث حديدي عن دير الزور المدينة الثائرة التي باتت نسياً منسياً، فلم تأخذ حقها لا من التغطية الإعلامية ولا من التباكي الذي نالته مدن أخرى.

كانت دير الزور سباقة إلى الثورة، وقد تعرضت للاضطهاد كثيراً خلال أربعين سنة من حكم آل الأسد. فكانت أقل المدن تنمية وفق مؤشرات حكومية سورية رسمية، فكان نصيبها أربعة في المئة فيما نالت حمص مثلاً ما نسبته ستين بالمئة من التنمية، حينها كان حلم حمص يداعب مخيلة بشار الأسد وصديقه المقرب محافظها الأسبق إياد غزال، وفيما اكتفت دير الزور بلعبة الإنتاج فقدمت النفط والمحاصيل الزراعية والمياه لباقي المدن، عصفت بها رياح الإهمال حتى تحولت مدنها إلى مدن منكوبة قبل الثورة بسنوات، ولعل اعتبارها منفى للموظفين المغضوب عليهم، أو حتى للعسكريين خير دليل على الحال التي وصلت إليها دير الزور بمدينتها وريفها. وقد استشهدت دير الزور مراراً خلال الثورة، فدمرت معظم أحيائها، وزالت معالمها الأثرية، وهجر نصف أهلها أو أكثر، وانقطعت سبل الحياة بمن بقي فيها مرابطاً على أمل نصر قريب. وقد تحدث رئيس الوزراء الأسبق رياض حجاب إثر انشقاقه وعبر قناة العربية بألم عن معاناة دير الزور وقال وهو يكاد يبكي، أنا من مدينة تباد. لكن الإبادة استمرت للمدينة إلى أن وقع نصفها تقريباً بيد تنظيم داعش، وهي التي تحررت مدنها الشرقية من سطوة النظام أولاً، فتحولت البوكمال التي رفعت علم الثورة شتاء العام 2012 وأزالت كل أثر للنظام، تحولت إلى معقل من معاقل تنظيم الدولة، دون أن تستنفر القوى الثورية للدفاع عنها، فالبوكمال بعيدة، والقوى الثورية مشغولة بتقاسم الغنائم، ولم يبق في ريف دير الزور الشرقي موضع لم ترتكب فيه داعش مجزرة، وكان النظام سبق داعش بارتكاب مجازر، مرت مرور الكرام فالقصف اليومي كان خبراً عابراً، فدير الزور هناك بعيدة في الشرق، وما أدرانا ماذا يحدث هناك، وظلت دير الزور تبتعد عما يحدث في سوريا شيئاً فشيئاً، ترتفع مناشدات أهالي المدينة عالياً فلا يجدون من يغيثهم وهم الذين لا يستطيعون التوجه شرقاً لأن ثمة قوات المالكي المتحالف مع الأسد لهم بالمرصاد، ولا يستطيعون التوجه صوب البحر فماذا يفعل ديري في طرطوس أو اللاذقية؟

حين سقط جسرها المعلق اغتنم الناشطون الصورة ووضعوها على صفحاتها الشخصية واعتبروها فرصة ليلعنوا النظام، لكنهم لم يتساءلوا عن حال أهل المدينة، عن حال نسائها الصابرات وقد ودعت كل أم شاباً أو اثنين في سبيل نيل حرية سوريا، وكانت تستقبل نعشه بالزغاريد، ثم لا تلبث أن تحار كيف ستطعم أبناءه، فنصيب المحافظة بأسرها من الإغاثة كان ضعيفاً، رغم أنها ترفد الثورة كل يوم بعشرات الشهداء، ظلت دماء أبنائها تسيل على طرقاتها وطرقات سواها من المدن، فالديري هناك يقاتل في ريف دمشق، وفي حلب، وفي حمص، والديري هناك يصرخ وهو يعدو عدواً غير خائف: وإن هلهلتي يا الديرية الواحد منا يقابل مية.

وإن كانت دير الزور لا تجد من يبكي عليها في ضرائها، كما كانت لا تجد من يفرح لها في سرائها، إلا أنها لا تنسى الآخرين فهي تتألم كثيراً لأجلهم، تجدها حمصية حين تنوء حمص بثقل الألم، ودرعاوية حين يشتد الوجع على درعا، وهي التي يحن أبناؤها إلى دمشق التي تنساهم، وهي الفراتية التي تنتصب مثل نخلة رغم ألمها، وتنهض كل مرة من مأساتها لتلم أولادها حولها.

دير الزور التي خذلناها جميعاً، لم تمت بصمت، ولم تذبح بصمت، فلا السكين تقدر أن تجز عنقها الشامخة، ويستحي الموت أن يدنو من نزقها وعشقها للحياة، ذرفت دمعها وهي ترى تمثال فراتيها الشاعر تحطمه أيادي الملثمين القتلة، تدرك أنها قادرة وحدها على الوقوف في وجوههم وأن تفتح أبوابها من جديد لتتسع للقادمين، فأبوابها لم تكن في يوم من الأيام مغلقة.

هل تنفع لعنة أم اتشحت بالسواد تقف وسط حي الجبيلة المهدم وترفع يديها إلى السماء وتصيح بصوت حزين: الله يلعن بشار ويلعن داعش، خربوها، هل تنفع هذه الدعوة الحزينة لتفك الحصار عن دير الزور الجريحة، وتعيد إليها بسمتها وفرحة حريتها التي لم تكتمل.

دير الزور باقية، هكذا كانت الحكاية منذ البداية، وهكذا اتفق عجوزان ديريان كانا يلعبان الورق في مقهى عصمان بيك، وتردد صدى صوتيهما في الجراديق المهجورة على ضفة الفرات، فالديريون يتكلمون بصوت مرتفع، والديريون يقاتلون بصدور مفتوحة، لا يختبئون، ولا يستغيثون، والدير دائماً قادرة على النهوض.

الهيئات الإغاثية..
بين الثورة والثروة

منذ بداية الحراك الثوري في سوريا، والرد القمعي الذي مارسه النظام على المدنيين سارعت بعض التيارات والجهات المحسوبة على الثورة إلى تشكيل منظمات وهيئات وجمعيات إغاثية بعضها ذات طابع حزبي وآخر ذات تشكيل ثوري كمجالس الثورة في المحافظات السورية كنوع من التواجد الإغاثي المدني على الأرض إلى جانب التشكيلات العسكرية بعد إعلان الجيش الحر. ولعل أغلب هذه المنظمات قد نشأت في تركيا وافتتحت مراكز لها في المدن والبلدات السورية التي خسرها النظام، وقد كان عمل المراكز الإغاثية بالداخل جيداً نوعاً ما بسبب تفاني الموظفين بعملهم الذي تطوعاً بادئ الأمر ثم أخذ يواجه الصعوبات شيئاً فشيئاً لأسباب كثيرة أهمها صعوبة إيصال المواد الإغاثية من غذاء ودواء ومعدات معاشية وطبية جرّاء احتدام القتال على جميع الجبهات، بالإضافة إلى مشاكل أخرى تتعلق بالجهات الداعمة وبالمسؤولين وبعض الأفراد..

سركون

وأغلب المراكز كانت تلقى صعوبة جمة في الحصول على الدعم من قبل «وحدة تنسيق الدعم (ACU)» التي تعتبر اولى المؤسسات المعارضة المشكلة والتي تعنى بالإغاثة، وكان أغلب دعمها بداية من الهلال الأحمر التركي والقطري.

ويعود سبب صعوبة الحصول على الدعم لعلاقة مثلي هذه المكاتب الإغاثية برئاسة الوحدة مباشرة دون الرجوع إلى المجالس المحلية المشكلة في المناطق المحررة والتي تضم مكتب إغاثي موحد في هيكلتها المؤسساتية، مما يُفقد بعض الاحياء أو القرى حقها بالإغاثة على حساب مناطق أخرى، ورغم تشكيل الحكومة السورية المؤقتة لاحقاً، بقي العمل الإغاثي عشوائياً كغيره من القطاعات الأخرى التي تعتمد على شراء الولاءات، ولافتقار أي تنسيق ما بين الحكومة والوحدة وبعض المؤسسات والمنظمات الأخرى المعنية بالمشاريع الإغاثية أو الخدمية أو الإنتاجية.

من خلال التواصل مع العديد من سوريي الداخل يبدو بأن ما يصلهم من الائتلاف ومؤسساته يكاد لا يُذكر قياساً بالهيئات والجمعيات الإغاثية الأخرى. يشتكي أحد المواطنين في الداخل فيقول: « عن طريق الائتلاف يصل شيء قليل لا يذكر، وإن ذكر فهو يوزّع من قبل القائمين عليه من المجالس المحلية ومجالس الأحياء فقط على الأقارب والأصحاب، يعني (أهلية بمحلّية)!..»

أما بالنسبة للمؤسسات الخاصة العاملة على الأرض والتي لا علاقة لها بالائتلاف أو الحكومة المؤقتة، فإن الاستمرارية بدعمها منذ بداية الثورة حتى الآن فهو الدليل على مصداقيتها، بعكس تلك التي ادّعت افتتاح مكاتب لها داخل تركيا وتلقت الكثير من الدعم الذي لم يصل منه شيئاً إلى الداخل أو المخيمات، وحين توجّه داعموها للاطلاع على سير العمل والتأكد من فاعليتها لم يجدوا مكاتب ولا عمّال على الأرض حيث جمعوا التبرعات ثم لاذوا بالفرار إلى دول أوروبا بها، ليس ذلك فحسب، بل أن أحدها أخذت على عاتقها قبض أموال من بعض السوريين بتركيا لقاء تهريبهم إلى دول الاتحاد الأوروبي!

«بعضاً من تلك المكاتب (الخلّبية) حصلت على تراخيص للعمل في الشأن الإغاثي وكان اعتمادها الرئيسي على جمع التبرعات في شهر رمضان وخلال الأعياد، وحين فرغت من عمليات الجمع أغلقها أصحابها بعد أن وزعوا جزءاً بسيطاً من التبرعات بحجة توقف الدعم..» هذا ما ذكره أحد الذين عملوا بجمع التبرعات من الجوامع لقاء نسبة بسيطة من المبالغ المحصَّلة.

كما وأن بعض الهيئات التي لها تاريخ منذ ما قبل الثورة السورية وبقيت عاملة حتى اللحظة في الشأن الإغاثي والصحي والتعليمي لا يزال يقتصر نشاطها على معارفها وأعضائها والجزء اليسير من السوريين المحتاجين داخل المدن التركية، وحين تقصدهم يعلِموك بأن نشاطهم الإغاثي ذهب كلّه إلى مخيمات اللجوء!

رغم ذلك فقد أثبتت الكثير من الجمعيات والهيئات الإغاثية مصداقية في الجهد والعطاء والوقوف مع الشعب السوري في الداخل وضمن المخيمات، بل وحتى في شتى المدن التركية التي يتوزّع فيها المواطنون السوريون، و التي تتمتع بعمل مؤسساتي جيد يفوق حتى عمل المؤسسات السورية المعارضة، وجلّها ذات طابع إسلامي مدني واضح يقوم بالإشراف عليها أحزاب وتنظيمات وأفراد ورجال أعمال من مختلف الدول أثبتت خلال تاريخها دقة في التنظيم والإدارة، ولا ضير في ذكر أسماء بعض من تلك الجمعيات والهيئات:

أبرار حلب، شباب ساعد، الشباب المسلم، مؤسسة صدق، جمعية البر والتقوى، مؤسسة الأمة (شفق)، مؤسسة وطن، هيئة الشام الإسلامية، والتي تعتبر من أكبر المؤسسات الداعمة وتمويلها من دول الخليج...

كما وجدت منظمات أوروبية كـ people in need ، ومؤسسة arcnova الألمانية.

الخلاف الإيدلوجي

بين فصائل الجيش الحر وجبهة النصرة يطفو على السطح

منسق عام في الجيش الحر يقول بأن الخلاف بين الجيش الحر والنصرة كان أمراً متوقعاً مع تواتر الأحداث الميدانية وإنجلاء الهدف (المصلحي) لتواجد جبهة النصرة في سوريا

يتفاقم الوضع الميداني العسكري في سوريا بإنعكاسه على مصير ملايين السوريين بالداخل على خلفية التقدم النسبي الذي حققته قوات النظام السوري وكان اخرها إسترجاعه لبلدة المليحة القريبة من العاصمة من أيدي المعارضة، وسط إتهامات بين فصائل المعارضة بتراخي وتسّيب فصائل عسكرية تتسبب بالتقدم العسكري الذي يحدثه النظام في العديد من المناطق مضافا إليها نقص الدعم اللوجستي لها

أحمد الدوري

وعليه أصدرت جبهة ثوار سوريا التابعة للجيش السوري الحر بياناً ضد جبهة النصرة، متهمةً إياها بإخلاء نقاط اشتباكها مع النظام في حلب وحماة ووادي الضيف. وحَشدُ قواتها ومقاتليها عوضاً عن ذلك في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام في جبل الزاوية وعلى البلدات الحدودية مع تركيا وجاء هذا البيان بعد بيان أُعلن قبل شهر من قبل جبهة ثوار سوريا دعت من خلاله الفصيل المتشدد للنزول عند حكم الشرع بعد قتل النصرة لمئة مقاتل على الحدود مع تركيا في سلقين وحارم ودركوش شمال غرب إدلب

وفي هذا الشأن يرى المنسق العام في الجيش الحر أكرم عبد الدايم في تصريحات لـ أنا برس : بأن الخلاف بين الجيش الحر والنصرة أمر متوقع مع تواتر الأحداث الميدانية وإنجلاء الهدف الإيدلوجي لتواجد جبهة النصرة في سوريا متابعا أن النصرة تحاول إختراق الجيش الحر عبر ترويج الأفكار المتشددة .

كما كشف المنسق العام عن إجتماع جمع رئيس الإئتلاف المعارض هادي البحرة مع قيادات فصائل بالمنطقة الشمالية من بينها لواء الحق بهدف توحيد الرؤية الوطنية والعسكرية بين فصائل المعارضة ، مشيرا إلى أن الإخوان المسلمين حسب تعبيره يسعون لإسقاط رئيس الإئتلاف الحالي عبر وسائلهم الخاصة

ويرى عضو الإئتلاف المعارض بسام يوسف: بأن الخلافات بين فصائل المعارضة وجبهة النصرة في بعض المواقع يأخذ بُعدا لوجستيا ماديا وليس عقائديا بهدف كسب مصالح إستراتيجية لطرف على حساب أخر

وكان مجلس الأمن قد أصدر قبل أيام قرارا بمحاربة مصادر التمويل الذاهبة لـ داعش والنصر وإعتبار عدد من قادة الفصيلين المتشددين على لائحة الإرهاب

ويعتبر خبراء دوليون أن تعظيم شأن جبهة النصرة ليس إلا فبركة إعلامية بينما رأى أخرون بأن الفصيل ذاب مع باقي مكونات المعارضة في قتالها ضد النظام

يُذكر أن جبهة النصرة وأسمها الكامل "جبهة النصرة لأهل الشام" تأسست أواخر سنة 2011، مع احتدام المعارك والعنف بين النظام السوري والثوار بمقاتلين غالبيتهم من السوريين قبل أن تتوسع وينضم إليها مقاتلين أجانب ، ودعت الجبهة في بيانها الأول الذي أصدرته في 24 يناير/كانون الثاني 2012 السوريين للجهاد وحمل السلاح في وجه النظام السوري ، كما تبنت عددا من الهجمات كان أبرزها عمليات تفجير بمبنى قيادة الأركان في العاصمة دمشق في تشرين الأول 2012، وتفجير بمبنى المخابرات الجوية في حرستا بالإضافة إلى تفجير مبنى نادي الضباط بحلب

المعارضة السورية المعتدلة
الرهان الدولي الأخير
في مواجهة داعش

خبراء دوليون يرون بأن التحالف الدولي لمحاربة داعش ما زال يفتقد للحسم في ظل تحفّظ دول غربية على المشاركة بالحلف

يبدو جليا للعيان بأن إستراتيجية واشنطن المقبلة في سوريا من شن ضربات جوية لتنظيم الدولة الإسلامية داعش ودعم للمعارضة حسب القرارات الأمريكية الأخيرة تشمل تدريب وتسليح مقاتلين معتدلين -سترمي بظلالها على خيارات المعارضة السورية المعتدلة سواء على صعيد تحديدها الفصائل التي من المحتمل أن تحظى بالدعم الأجنبي القادم العسكري واللوجستي ، أو من ناحية تعزيزها للناحية التنظيمية بما يخص التعاطي مع الكتائب المقاتلة على الأرض ، وبالتالي منح التحالف الدولي فاعلية أكبر على الأرض في حال سارت الأمور كما هو مرسوم لها ،

معتز نادر

وفي هذا الخصوص قال عضو الأمانة العامة بالإئتلاف المعارض نصر الحريري: بأن الخطة المطروحة للقضاء على التنظيمات الإرهابية غير كافية على الرغم من اهميتها .

وبأن الواقع الذي ستفرضه المرحلة المقبلة سيحدد ملامح العلاقة بين المعارضة والمجتمع الدولي بما يخص القضاء على داعش مضيفا أن هناك أزمة ثقة مع المجتمع الدولي

كما رأى أنه من المفترض ان يكون هناك منطقة حظر جوي على المناطق السورية الحدودية مشيرا أن هذه الخطوة ستكون نقلة نوعية بعمر الصراع ضد نظام دمشق .

وإستطرد قائلا بأن الضربات المقبلة لن يكون لها تأثيرات كبيرة على نظام الأسد وإنما التأثيرالأكبرسيتوقف على حجم الدعم المقدم لفصائل المعارضة

وتابع عضو الامانة العامة ان المعارضة موعودة بـقيمة مساعدات تصل لـ 500 مليون دولار حسبما اعلن مسؤولون امريكيون .
وكان الرئيس الامريكي باراك أوباما قد لفت في كلمة له أمام الكونغرس الأمريكي أن برنامج التدريب المقرر للمقاتلين السوريين سيكون خارج الأراضي السورية بالتعاون مع من وصفهم بـالشركاء العرب بدعم قُدر بخمسة ملايين دولار أمريكي

بينما أعلن وزير الدفاع الأمريكي تشاك هيغلأن خطة التدريب والإعداد التي من المقرر أن تستمر خمسة أعوام وتشمل خمسة ألاف مقاتل سيتم من خلالها استخراج قوة سوريا أكبر حجماً على حد وصفه

وأضاف هيغل في تصريحات إعلامية بأنه سيتم تقديم مدرعات ومعدات عسكرية ومعدات أساسية للاتصال والعمليات التكتيكية, إضافة إلى تدريبات متطورة, وعندما تثبت تلك القوات فاعليتها سنقدم معدات أكثر تعقيداً وتطورا .

وقال المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) الأدميرال جون كيربي ان تدريب مقاتلي المعارضة السورية من اجل محاربة تنظيم داعش سيستغرق بين 3 و 5 أشهر في قاعدة بالسعودية, مشيرا الى ان التدريب سيكون تدريبا عسكريا أساسيا على الأجهزة والأسلحة التي سيزودون به واشار كيربي في تصريحات صحفية, الى ان السعودية ستسهم في التحالف الدولي لمحاربة تنظيم داعش عبر تدريب المعارضة المعتدلة السورية فى معسكرات تدريب على أراضيه .

جون كيربي: ان تدريب مقاتلي المعارضة السورية من اجل محاربة تنظيم داعش سيستغرق بين 3 و 5 أشهر في قاعدة بالسعودية, مشيرا الى ان التدريب سيكون تدريبا عسكريا أساسيا على الأجهزة والأسلحة التي سيزودون بها

المعارض السوري علاء الدين الخطيب:
امريكا لا تنوي القضاء نهائيا على داعش والخطة الأمريكية تتضمن من وجهة نظر واشنطن وضع بعض الخطوط الإستراتيجية ريثما يتضح الصراع الأكبر بين الجبهتين الأمريكية والروسية

ويرى الباحث الدولي محمود عثمان :
بأن التصريحات السياسية الدولية الأخيرة تدل على أن لا احد لديه تصور واضح حول الحلف الامريكي ضد داعش . مضيفا أنه يبدو أن الأوروبيون غير معنيين كثيرا بهذا الحلف بعد تحفظ بريطانيا والمانيا بالإشتراك في الهجوم المحتمل على داعش .

فيما يرى المعارض السوري علاء الدين الخطيب بأن امريكا لا تنوي القضاء نهائيا على داعش والخطة الأمريكية تتضمن من وجهة نظر واشنطن وضع بعض الخطوط الإستراتيجية ريثما يتضح الصراع الأكبر بين الجبهتين الأمريكية والروسية بخصوص ملفات أخرى كالملف الأوكراني . مستبعدا تماما دخول جيوش عربية لسوريا

وأشار بأنه سيكون هناك دور لإيران حتى لو لم تشترك بالحلف الدولي بسبب موقعها الجغرافي بالمنطقة ودورها المحوري بتفاقم الصراع السوري .

وتحدثت مصادرمعارضة على ان الفصائل التي سيشملها الدعم الامريكي هي :

حركة حزم - جبهة ثوار سوريا - جبهة الأصالة والتنمية - لواء فرسان الحق -الفيلق الخامس - وفصائل اخرى

وفي سياق متصل, أكّد مراقبون أمريكيون أن الولايات المتحدة تتواصل مع مجموعات مقاتلة معتدلة منذ قرابة العامين .

فيما أعلنت مستشارة الأمن القومي سوزان رايس بأن الولايات المتحدة لم تحدد موعدا للهجمات في سوريا « إن أي هجمات في سوريا ستكون في وقت ومكان من اختياراواشنطن »

بطالة السوريين تغذي الأزمة ومبادرات شبابية لبدء مشاريع صغيرة

تتفاقم أزمة البطالة في سوريا يوماً بعد يوم، وتزداد معها أعداد العاطلين عن العمل، وتوضح الأرقام أن نسبة البطالة قد وصلت في نهاية 2013 الى 60%، فيما لم تزد عن 10% في عام 2010.

لبنى سالم

فيما تتعدد عواقب نسب البطالة الكبيرة في دول العالم، فإن أبرزها على الساحة السورية تتجلى بتغذية الجهات المقاتلة المختلفة بالموارد البشرية، وهو ما يعني ضخ الحرب بعقول وجهود وأرواح السوريين، وتبعاً لأحد المدراء في مركز محافظة حلب الأستاذ خالد إن « 70 % من المتطوعين لكتائب حفظ الأمن والشبيحة التي نشأت منذ سنتين في المدينة هم من الشبان العاطلين عن العمل، والباقي من الشبان الذين فضلوا التطوع عسكرياً داخل مدينتهم، على أداء الخدمة الإلزامية في أماكن أخرى». ويضيف الأستاذ خالد أن «العائد المادي لهذه الأعمال بات مغرياً أكثر من غيره، فما يُصرف على الحرب والسلاح والقتال داخل سوريا لا يصرف في مجال آخر، هذا عدا عن امتلاكهم للضوء الأخضر لممارسة السرقة و الاختطاف و ابتزاز الناس».

وفي ذات السياق يتحدث أحد الجنود في أحدى الكتائب المقاتلة في الجيش الحر ويدعى عبد الله «بأن العديد من المقاتلين المحليين تطوعوا للالتحاق بالكتائب المقاتلة في قراهم بعدما تكبدوا خسائر وباتوا عاطلين عن العمل، أملاً منهم في كسب السلطة والمال، وهو أحد أهم أسباب الفساد الذي ينخر هيكل هذه الكتائب، ويوجه سلاحها و طاقاتها نحو جمع المكاسب والمال، وهو أيضا ما يجعل المقاتل الأجنبي أكثر إرادة وقوّة».

وإذ لا يجد ذوو الخبرة والخريجون مكاناً لهم بين حملة السلاح، نجدهم يتوجهون للسفر خارج البلاد بحثاً عن حياة وعمل جديدين، وهو ثاني أكبر المصائب التي تنتجها البطالة في سورية. ويشير أحد الأطباء المهاجرين الدكتور رضوان فاضل أنه «من غير العادل أن يحصل حامل السلاح على المال فيما لا يجد أطباء وصيادلة ومهندسين أي فرص للعمل، وأنه لم يتمكن من الإصغاء لدعوات البقاء وخدمة البلاد حين وجد نفسه غير قادر على دفع تكاليف الحياة الأساسية» ويصف الدكتور فاضل حال سوق العمل في سوريا بأنه «بات فوضياً وغير عادل ويخدم استمرار النزاع وعمليات القتال، لأن المال بات يصب في جيوب المستغلين والفاسدين وليس في يد من يستحقه».

وتوضح إحدى الأخصائيين في الاقتصاد المحلي السوري الأستاذة أمل أن «تتابع أحداث مختلفة أدى الى خلق هذه النسب المخيفة من البطالة في السورية، بدأت هذه الأحداث بعمليات القصف العنيف التي طالت المنشآت الاقتصادية السورية كانت أبرزها في حلب التي تصدرت أرقام الخسائر الاقتصادية في سوريا، وما ترافق مع عمليات القصف والقتال من نزوح كبير، تلى هذا انسحابٌ لرؤوس الأموال الضخمة من سوريا وتوجيهها للاستثمار خارج البلاد، وقد أدى هذا الى تسريح النسبة الأكبر من العمال والموظفين في القطاعات الخاصة السورية، ولم يخلو الأمر من تسريح موظفي القطاع العامل لاعتبارات أمنية». وتضيف الأستاذة أمل بأن «توقف القروض المصرفية، ساهم في عدم نشوء مشاريع إنعاش وأدى للحفاظ على هذه النسب العالية من البطالة داخل البلاد، يُذكر أيضاً بأن العلاقات السيئة التي تتمتع به الحكومة السورية مع كبرى الدول العربية الجاذبة للعمالة الأجنبية ساهمت أيضا في ازدياد نسب بطالة السوريين خارج البلاد».

مبادرات شبابية واعدة

تطلق اليوم العديد من التجمعات الشبابية السورية في الجامعات والنوادي والتجمعات المختلفة، دورات تدريبية مكثفة لتدريس إدارة المشاريع المتوسطة والصغيرة، أبرزها بدأ في مدينتي حلب ودمشق، وذلك في مسعى منهم لدعم الشباب وخلق فرص عمل جديدة وفعالة، ويزداد الإقبال على هذا النوع من الدورات التدريبية في معظم المدن السورية في الوقت الحالي، وتبعا للأستاذة أمل فإن «المستقبل القريب أو بداية فترة الإعمار خلال المراحل الانتقالية غالباً ما تعتمد على هذا النوع من المشاريع المحدودة، وذلك بسبب عدم وجود رؤوس الأموال الضخمة و الداعمة في هذه المرحلة، وتكتفي هذه المشاريع في بدايتها برأس مال لا يتجاوز عدة آلاف من الدولارات».

> لا يجد ذوو الخبرة والخريجون مكاناً لهم بين حملة السلاح، نجدهم يتوجهون للسفر خارج البلاد بحثاً عن حياة وعمل جديدين، وهو ثاني أكبر المصائب التي تنتجها البطالة في سورية

> تطلق العديد من التجمعات الشبابية السورية دورات تدريبية مكثفة لتدريس إدارة المشاريع المتوسطة والصغيرة، في مسعى لدعم الشباب وخلق فرص عمل جديدة وفعالة، غالباً ما تعتمد بداية فترة الإعمار خلال المراحل الانتقالية على هذا النوع من المشاريع المحدودة

ويوضح أحد القائمين على ورشات العمل التدريبية لإدارة المشاريع قصي القاضي أن الهدف الرئيسي من هذه الورشات تشجيع الشبان على إنشاء مشاريعهم الخاصة الصغيرة رغم كل الظروف وتغذية خبراتهم وأفكارهم لإنجاح المشروع وتجنب الخسائر، ويضيف قصي بأن هذا النوع من المشاريع يساعد على توفير فرص العمل بأقل التكاليف فغالباً ما تعتمد هذه المشاريع على الطاقات البشرية، كم أننا نحاول التوجه للمشاريع الخدمية التي تساعد في بناء أساس للفترة وتصقل الخبرات وتساهم في دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

يذكر أن الحكومة لم تدعم سابقاً هذا النوع من المشاريع، وهو ما يفسر غياب ثقافة المشاريع لدى الشبان، إلا أن المزيد من المعوقات قد تواجه أصحاب هذه المشاريع وتشير هالة وهي إحدى المتدربات لأن «الحصول على تمويل ليس أمراً سهلاً، إذ يعد تقديم الضمانات في الوقت الحاضر من أكبر المعوقات، إضافة الى مصاعب الحصول على التراخيص وطول الوقت وارتفاع التكاليف، وغالباً ما يتراجع هنا أصحاب المشاريع عن القيام بها بسبب إمكانياتهم المادية المحدودة».

يذكر أن العديد من المشاريع الكبيرة التابعة للمنظمات الدولية قد توقفت أيضاً خلال الأزمة السورية أهمها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والوكالة الألمانية للتعاون التقني.

وتوضح الأستاذة أمل أهم الخطوات التي يتوجب القيام بها على طريق الحل قائلة: «لن تتحقق قفزة حقيقية في خلق فرص العمل وإنعاش الاقتصاد السوري مالم يتم جذب رجال الأعمال السوريين للاستثمار داخل البلاد، وتسهيل أعمالهم، كونهم يشكلون قوة اقتصادية كبيرة ، وكون ثلثي اليد العاملة في سورية تعتمد على فرص القطاع الخاص التي تشغل أكبر عدد من العمال».

زيادة أسعار المازوت والبنزين

تشعل الزيادات في قطاع النقل

مسعود القاق

مازال النظام السوري ممعناً بالحل العسكري الأمني لمطالب الشعب السوري الذي خرج منتفضاً من اجل الحرية، والكرامة، والعدالة الاجتماعية، ومازالت حكوماته المتتالية تتعامل مع الشعب السوري كقطيع قابل للحلب والنهب، وحل أزماتها المتراكمة على حسابه، وهذا ما فعلته وتفعله حكومة الدكتور وائل الحلقي حيث بدأت برفع سعر» الخبز، سكر، ماء، كهرباء»، وأضافت إليه مادتي» المازوت، والبنزين»، مستبعدتاً إي رد فعل لهذه الإجراءات نتيجة الاستمرار بالقمع والإرهاب عبر استخدام كل أدوات المواجهة مع المناطق التي خرجت عن سيطرتها، وكان البلاد السورية لم يحدث فيها ثورة وصلت إلى الحديد والنار، مغيبتاً دورها كحكومة لها وظائف الدولة العصرية في حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، وضمان الحريات العامة والفردية، والرخاء الاجتماعي، والتنمية البشرية والاقتصادية المستدامة، والعدالة، والمساواة، وتكافؤ الفرص بين جميع المواطنين، وتقوم بالدفاع عن كبار المستغلين والمحتكرين وأصحاب النفوذ في إطار توجه حكومي ليبرالي لا يراقب توزيع الثروة، ويدعم التحكم بالمال العام، وبقطاع الإنتاج والخدمات، ولا يراقب رجال المال والأعمال في التهرب الضريبي، ويزيد الاحتقان الطبقي، ويقلص الطبقة الوسطى.

ويظهر هذا الدور جلياً في قرار الحكومة برفع أسعار مادتي المازوت والبنزين بمقدار (20) ليرة لكل ليتر، فأصبح سعر ليتر البنزين (140) ليرة بعد أن كان (120) ليرة، وأصبح سعر ليتر المازوت (80) ليرة بعد أن كان (60) ليرة، بالإضافة إلى قرار على جانب كبير من الأهمية، وهو بيع ليتر المازوت للفعاليات الاقتصادية والسياحية والتجارية بسعر التكلفة العامي من (150 إلى 160 ليرة)، ووعد ببيع ليتر المازوت بسعر (80) ليرة لقطاعي النقل والزراعة، وافران الخبز. وكشف وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية الدكتور همام الجزائري في تصريح لجريدة الوطن السورية بتاريخ 2014/10/19، أن رفع الأسعار جاء ليخفف العبء المترتب على الدولة (الحكومة) في دعم المادة مع الإبقاء على سعر مدعوم للمواطن.

وأكد الجزائري أن « رفع الأسعار جاء ضمن منظومة متكاملة لا تعنى فقط برفع الأسعار، وربط السعر بالتكلفة «. وإنما « تعني بتشكل الوفر، وهو وفر يندرج ضمن إستراتيجية تسمى البرنامج ألتمكيني، والذي ينصب على تحسين المستوى المعيشي لذوي الدخل المحدود وأصحاب الأجور والعاملين بأجر لزيادة مستواهم المعيشي وتمكينهم من تحمل التكلفة الجديدة، إضافة إلى التوسع بالقروض التشغيلية للإنتاج والتوسع في دعم الشركات المتناهية الصغر والنشاطات متناهية الصغر لجهة التوسع في المنح الإنتاجية في الأرياف».

وأضاف الجزائري أن « زيادة الدخول تحتاج عائداً، لكن الدولة كانت تخسر في دعم المازوت لان جزءاً مهماً منه كان يذهب إلى خارج الحدود تهريباً، وبالنظر إلى وجوب منع التهريب وهو أمر غير ممكن بالنظر إلى الظروف الحالية، فيكون الحل منع التهريب في السياسات لجهة رفع التكلفة ودعمه بالمنح الإنتاجية».

زيادة أجور النقل

حددت محافظة دمشق تعرفه الركوب لخطوط النقل الداخلي في مدينة دمشق وفق مسارات محددة أخذة بعين الاعتبار الارتفاع الأخير الذي طرا على مادة المازوت بموجب القرار رقم /621/ م.ت، الذي نص على تعديل تعرفه الركوب لخطوط النقل الداخلي في مدينة دمشق المجددة مسارتها وتعرفتها بالقرار رقم /561/ م.ت، والصادر بتاريخ 2013/8/7،والعاملة على مادة المازوت، حيث تصبح تعرفه ركوب للخط القصير لغاية 10 كم للباصات والميكروباصات من (15) ليرة إلى (20) ليرة، كذلك تعرفه ركوب لباصات الشركة العامة للنقل الداخلي لتصبح التعرفه للخط القصير (19) ليرة، وتعرفه الركوب للخط الطويل (24) ليرة، ويبدو أن التعرفة الرسمية التي حددتها المحافظة تتعارض مع التعرفة التي وضعتها شركات النقل الداخلي الخاصة بناءً

على أهوائها ورغباتها دون الاستناد إلى قرار رسمي، إذ وضعت التعرفة وحددتها ب (30-35) ليرة قبل صدور هذا القرار بالإضافة إلى زيادات على عدادات « التاكسي» تبدأ من (35) ليرة لظهور أرقام العداد إلى (400) ليرة لأخر رقم يظهر في العداد بينما في محافظة طرطوس رفعت تسعيرة ركوب وسائل النقل داخل المدينة وللريف زيادة (10%) فقط، في حين اضرب سائقو السرافيس العاملة على خط سلمية - حماة وبالعكس بتاريخ 2014/10/14، لعدم اقتناعهم بالأجرة التي حددتها الجهات الرسمية لنقل الركاب والمقدرة ب (66) ليرة بدلاً من ال (85) ليرة التي كانوا يتقاضونها في الفترة الممتدة ما بين رفع أسعار المازوت وصدور قرار التسعير الجديد في 2014/10/13، وتم فك الإضراب من قبل الشرطة ومدير المنطقة العقيد»عبد الله الموسى» بعدما رؤوا « العين الحمراء» كما ذكر مدير المنطقة.

وترافقت هذه الإجراءات مع إضافة موزعي الغاز في البلاد مبلغ «125» ليرة أو «100» ليرة كأجور نقل ليصبح سعر تعبئة الاسطوانة (1250) ليرة و(1300) ليرة.

وزادة في أجور نقل البولمانات بين المحافظات إذ وصلت أجرة الراكب من دمشق إلى حلب (1110) ل س، ومن دمشق إلى اللاذقية (1055) ل.س، ومن دمشق إلى دير الزور (1440) ل.س، والى الرقة (1720) ل.س، وجاءت الزيادات بمعدل وسطي يقارب (300) ل.س لكل راكب.

وظهرت مفاعيل لهذه القرارات حيث طالبت غرفة صناعة حلب في كتاب قدمته إلى رئيس الحكومة تقول فيه :» إننا أمام شبه توقف للمعامل المنتجة بسبب عدم توفر مادة المازوت بالسعر المنطقي المقبول، بالإضافة لعدم توفر الكهرباء والمحولات ما أدى مؤخراً إلى تراجع كبير في المعامل المنتجة من نحو (160) معملاً إلى نحو (60) فقط». لذلك نقترح أن يتم « تسعير مادة المازوت للمدينة الصناعية بحدود مئة ليرة سورية، وذلك بشكل مؤقت حتى تامين الكهرباء للمعامل وبعدها التسعير بالسعر العالمي».

وحتى المقاولون اشتكوا من زيادة أسعار المازوت والبنزين إذ طالب نقيب المقاولين محمد رمضان الحكومة بتنفيذ وعودها المتكررة التي تتعلق بصرف فورقات الأسعار للعقود والمشاريع الخاصة بالمقاولين الذي يتجاوز عددهم (114الف) مقاول ويتوزعون على 14 محافظة في سوريا.

المستفيدون من الزيادة

إن النظام السوري وحكومته عند عملية زيادة الأسعار لم ينظر إلى المتضررين من هذه العملية بل جرى التركيز على ما اسماهم المستحقين الذين يستفيدون من الدعم المقدم لهذه المواد فالحكومة لم تدرس مصير أكثر من نصف سكان الذين سرعت في انضمامهم إلى قائمة الفقراء حيث عاملتهم الحكومة مثل معاملة غير المستحقين الذين يشكلون العشر الأخير من الطبقات الاجتماعية، وهو الأقل تأثراً بمثل هذه القرارات.

فالنهج الاقتصادي الذي تتبعه حكومة الحلقي يقوم على التخلي عن الجانب الاجتماعي في سياساتها الاقتصادية، فهي لم تقدم إي تعويض لاحد من سكان سوريا، كما كان مقرراً في الدراسة التي قامت عليها زيادات الأسعار، فالتعويض هو المحل الحقيقي لامتحان هذه الحكومة.

أن رفع أسعار المواد المدعومة من شانه أن يخفف الضغط على الخزينة العامة إلا أن في الوقت ذاته يرهق المواطن السوري، خصيصاً أن لدى الحكومة بدائل أخرى من شانها أن ترفد الخزينة العامة بالكثير من الأموال، أهمها مكافحة الفساد المالي والإداري، ومكافحة السوق السوداء والمتاجرة بالمواد المدعومة مثل « السكر، الأرز، المازوت، الغاز، البنزين»، فلا يعني رفع سعر مادة المازوت الانتهاء من السوق السوداء بل يعني انتعاشاً أكثر لها ، وخاصة في ظل قلة المادة وندرتها، فبعد الزيادة أصبح سعر المازوت في السوق السوداء في بعض مناطق ريف دمشق بحدود (180) ليرة إي بزيادة نحو (100) ليرة عن سعره الجديد، وهذا ما يجعل المازوت في قائمة المحظورات لدى ذوي الدخل المحدود، وخاصة مع دخول فصل الشتاء، أما البنزين يباع حالياً بالمحطات بحدود (143) ليرة لليتر.

أن السؤال الذي يطرح ذاته في ظل الفوضى السائدة بارتفاع الأسعار المواد المدعومة، كيف يستطيع العمال، وذوي الدخل المحدود والمواطنين بصورة عامة تدبر أمورهم يوماً بعد يوم من جراء الغلاء وارتفاع الأسعار الجنوني بسبب ارتفاع أجور النقل فموضوع الغلاء لم يعالج بشكل جدي بالارتباط مع انخفاض القدرة الشرائية للأجور، وهذا ما يستدعي العودة إلى شعار ربط الأجور بالأسعار، فهل هناك من يسمع أنين الإنسان السوري ؟!

القصف العشوائي، الاستراتيجية العشوائية

نضال توبة

يُعتبر القصف العشوائي من أشنع أدوات الحرب وتقنيّاتها، ويسمّى القصف العشوائي اصطلاحاً عسكريّاً بالقصف «الاستراتيجي»، حيث يستهدف هذا النوع من القصف مساحات واسعة تحتوي على مناطق حيويّة، كخطوط المواصلات والطاقة والاتصالات، وأحياء المدن المدنيّة وسلاسل الجبال. وأقبح أهداف القصف العشوائي هو إضعاف قوّة العدوّ من خلال إيقاع أكبر قدر ممكن من القتلى في صفوف المدنيّين، على عكس القصف «التكتيكي» الذي يستهدف مناطق عسكريّة بغرض إيقاع أكبر قدر من القتلى في صفوف القوّات المقاتلة أو تدمير منشآت عسكريّة بهدف إضعاف قدرات الصناعة الحربيّة للعدوّ حتى القضاء على المؤسّسة العسكرية.

مؤنس البخاري

رغم أن القصف العشوائي اعتبر تكتيكاً عسكريّاً مبرّراً منذ الحرب العالمية الأولى إلّا أنّه لم يدخل القواميس العسكرية قبل نهاية الحرب العالمية الثانية حين سمّي اصطلاحاً «القصف الإرهابي» من قبل المؤرخين الأمريكان الذين دوّنوا لأحداث الحرب العالميّة الثانية. حيث اعتبر مؤرّخو الحرب العالميّة أن القصف الإرهابي هو الاستراتيجيّة العسكريّة المستخدمة في الحرب الشاملة بهدف هزمة العدوّ من خلال تدمير معنوياته بحيث يصبح السلام أو الاستسلام هو الخيار الأفضل لدى العدو بدلاً من استمرار الصراع.

في واقع الأمر استخدم مدوّنو تاريخ الحرب العالميّة الثانية مصطلح القصف الإرهابي لتحقير العديد من حملات القصف والغارات العشوائيّة. بينما فضّلت المصادر الرسمية في حكومات دول الحلفاء استخدام مصطلح «كسر الإرادة» في توصيف القصف العشوائي. بمعنى أن هذا القصف هو سلاح تدمير الروح المعنوية لدى العدوّ. واعتبرته قلّة سياسيّة من أسلحة الدمار الشامل.

القصف الاستراتيجي، أساسات المصطلح

عسكريّاً يتم التمييز ما بين ثلاثة أنواع من العمليّات القتاليّة التي تشمل على قصف. فمنها التكتيكي والعمليّاتي والاستراتيجي. ويمكن فصل تعريف وأنماط كل من هذه الأنواع بوضوح. فهي منهجيات متمايزة تستخدم عادة لأغراض مختلفة تماماً.

القصف الاستراتيجي هو منهجية متميزة عن كلّ من القصف التكتيكي واتّباع أصول الاستراتيجية الجوية في العمليّات وإمكاناتها.

تنطوي هذه الاستراتيجية في القصف عادة على هجمات متواصلة خلال فترة طويلة نسبياً من الوقت على الأهداف التي تؤثر على القدرات الشاملة لصناعات العدو. بحيث لا تعود قادرة على خدمة الصناعة الحربيّة. مثل المصانع والسكك الحديدية ومصافي النفط والموارد المختلفة الأخرى. وفي حالات قليلة كُلّفت قاذفات القنابل بقصف سدود الري والطرق الواصلة إليها.

كما يهدف القصف الاستراتيجي إلى تقويض قدرة دولة العدو على شنّ الحرب، حيث تنتشر قاذفات القنابل في سماء معظم أنحاء تلك الدولة وكل ما فيها، وهكذا تتوسع عمليّات القصف أكثر وتميل الطائرات القاذفة لتكون أكبر، خصوصاً إذا ما استخدم القصف الاستراتيجي لدعم العمليّات العسكريّة الرئيسيّة على البر، كما تمّ مثلاً في عملية عزل نورماندي من خلال قصف محاور النقل والمواصلات في يوم عبور قنال المانش ومن خلال قصف خطوط الجبهة في طلعات دعم للتقدم البري شملت جميع أنحاء شمال فرنسا عام 1944.

أحد وسائل الحرب هو إضعاف معنويات العدو، حيث أنّ مواجهة الموت والدمار باستمرار قد يجعل من احتمالات استسلام العدوّ أكبر. أنصار القصف الاستراتيجي بين الحربين العالميّتين، مثل الجنرال دوهيت، كانوا على قناعة بأن الهجمات المباشرة على مدن دولة معادية باستخدام القاذفات الاستراتيجيّة من شأنه أن يؤدي إلى الانهيار السريع لمعنويّات المدنيّين، بحيث يضغط الشعب مطالباً بالسلام ما يؤدي إلى تسريع نتائج الحرب.

معارضو القصف الاستراتيجي يرون أن القصف الاستراتيجي قادر على تدمير مبنى مصنع بأكمله ولكنه قد لا يدمّر المكونات الحيويّة للمصنع، لكنه في المقابل سيوقع عدداً كبيراً من الضحايا سيكونون على الأغلب من المدنيّين. بالإضافة إلى ذلك فإن قصف منطقة بكاملها سيكون له تأثير نفسي كبير على جميع سكان مدينة تلك المنطقة، وقصف المدن في الحرب العالمية الثانية بث الرعب في جميع مواطنيها، رعب دام لعقود ما بعد الحرب.

القصف الإرهابي هو المصطلح العاطفي الذي يعبّر عن الهجمات الجوية الهادفة لإضعاف أو كسر معنويات العدو. استخدم هذا المصطلح للإشارة إلى جرميّة الهجمات الجويّة العشوائية وللفت الانتباه إلى وجوب اعتبار القصف العشوائي جريمة حرب وفقاً لقانون الحرب، أو على الأقل جريمة أخلاقية.

وفقاً لجون آلجيو John Algeo مؤلف قاموس الكلمات الجديدة في الإنكليزية 1941-1991، أوّل استخدام مسجل لمصطلح «القصف الإرهابي» في المنشورات ضمن الولايات المتحدة الأميركية كان في مقالة نشرتها ريدرز دايجست في شهر حزيران 1941، استنتاج أكده قاموس أوكسفورد الإنكليزي.

القصف العشوائي، سوريا منذ 2011 وحتى 2014

في سوريا استخدمت قوات الجيش العربي السوري الموالية للأسد تقنيات القصف الاستراتيجي (العشوائي) بشكل واضح وواسع منذ ثار الشعب على نظام حكم الأسد عام 2011، حيث قامت الأسلحة الثقيلة والمتطورة من طرف الجيش العربي السوري بقصف واسع ومستمر شمل العديد من المدن السورية، كردّ على تمرّد قطاعات واسعة من الشعب على سلطات نظام الأسد وخروج الناس في مظاهرات كبيرة تطالب بإسقاط الرئيس بشار الأسد وجميع قيادات نظامه الأمني.

قصفت قوات الجيش العربي السوري أحياء المدن السوريّة وقراها في تكتيكات مشابهة لما قامت به طائرات الحلفاء في تعاملها مع مدن وبلدات المانيا نهاية الحرب العالمية الثانية، فدمّرت البنى التحتيّة والمصانع وخطوط الاتصالات وطرق المواصلات ومحطات الطاقة الكهربائية، ما أدى طبعاً وبسبب ارتفاع أعداد الضحايا من المدنيين إلى نزوح أعداد هائلة من الشعب السوري عن مساكنه وقُراه.

حقيقةً استخدمت القوّات الموالية لنظام الأسد استراتيجية «كسر الإرادة» بإصرار واضح وخطوات منظمة، لكسر إرادة الشعب السوري وتدمير روحه المعنويّة، وانشغلت قطاعات واسعة من الشعب السوري في صراعات غرضها البقاء، أبعد بكثير عن الصراع في سبيل الحريّة السياسيّة والاجتماعيّة عن هيمنة نظام شموليّ، قد يفتح التخلص منه الباب واسعاً أمام فرصة تحقيق دولة مدنيّة تحقّق العدالة لجميع سكانها.

المناطق التي تم تدميرها في سوريا بنسب كبيرة نتيجة القصف العشوائي أصبحت غير قابلة للحياة بعد تدمير البنى التحتية والخدمات، حيث تراوحت نسب الدمار من 80% في مناطق العاصمة دمشق وضواحيها إلى نسبة قريبة من 100% في بعض المدن القديمة داخل المدن السورية كحمص وحلب وأغلب أنحاء دير الزور.

القصف الاستراتيجي، أوروبا الحرب العالمية الثانية

القصف الاستراتيجي خلال الحرب العالمية الثانية هو سلسلة من عمليات القصف الجوي ذات الطبيعة الاستراتيجية تمّت خلال الفترة الممتدة ما بين عامي 1939 و1945 لتشمل كل العمليات الجويّة التي قامت بها الحكومات المشاركة في الحرب العالمية الثانية وحملت هدفاً استراتيجيّاً محدّداً، مثل القصف المتواصل لمحطات القطارات والموانئ والمدن والمناطق السكنية وبعض المناطق الصناعيّة داخل حدود الدول المعادية، وتم الاعتماد على استراتيجية التفوق الجوي والتي تُقِر بإمكانية تحقيق الانتصارات الكبرى عن طريق مهاجمة البنية التحتية السياسيّة والصناعيّة دون الحاجة لمهاجمة الأهداف العسكرية بصورة مباشرة.

ومع اتساع دائرة القتال، تبادلت قوات المحور والحلفاء عمليات القصف للأهداف ذات الطابع الاستراتيجي وخاصة الصناعيّة والعسكريّة منها على حدّ السواء، كما امتدّ القصف ليشمل المدن والتجمّعات السكّانية في مراحل متقدّمة من الحرب كجزء من الحرب النفسيّة بهدف إضعاف الروح المعنوية للقوّات المعادية وإفقادها الرغبة في القتال والأمل في النصر، وفيما بين عامي 1940 و1941 استخدمت ألمانيا هذا الأسلوب أثناء البليتز ضد بريطانيا، وبدءًا من عام 1940، تصاعدت وتيرة الهجمات البريطانيّة ضدّ المدن الألمانيّة، حيث أصبحت الغارات الجويّة أقلّ تحفّظاً عن ذي قبل، مستهدفة أهدافًا صناعيّة ومناطق سكنيّة، بعد أن كانت قد اقتصرت سابقاً على الأهداف العسكريّة، وبحلول عام 1943 دعّمت الولايات المتحدة من هذا التوجّه، حيث قامت القوات الأمريكيّة بشن غارات واسعة النطاق ضد هامبورغ عام 1943، ثم درسدن عام 1945 قبل أن تتبعهما باقي المدن الألمانية إلى نفس المصير في الأشهر القليلة المتبقية من الحرب، من جانبه، اختلف مردود القصف الاستراتيجي بحسب طول مدته وكثافته، وعلى الرغم من ذلك، فشل كلّ من اللوفتفافه وسلاح الجو الملكي في توجيه ضربة حاسمة للجانب المنافس عن طريق إضعاف الروح المعنوية، وإن ساهمت حملات القصف الاستراتيجي في تقليل حجم والقدرات الإنتاجية للدول.

العام الدراسي الجديد في سوريا..

غياب طلابي جماعي وتدني سوية التعليم

عادت المدارس في سوريا لافتتاح أبوابها في منتصف شهر أيلول، إلا أن العديد من المصاعب تعترض سير العملية التعليمية في الداخل السوري، فقد انخفض عدد المدارس التي سيتم افتتاحها لهذا العام لحوالي 19 ألف مدرسة، بالمقارنة مع 21 ألف مدرسة في 2010، 80% من هذه المدارس مخصصة للتعليم الأساسي، و 8% فقط للتعليم الثانوي تبعاً للمكتب المركزي لإحصاء.

التحقيقات

و يواجه الطلاب مع بداية عام دراسي جديد، إشكاليات متعددة أبرزها هي إشكالية تسجيل آلاف الطلاب الذين لا يحملون أضابيرهم المدرسية السابقة، إذ اضطرت معظم العائلات للنزوح في ظروف صعبة ، ولم يتسنى لها حمل أوراقهم الثبوتية أو المدرسية، ووفقاً للآنسة غادة وهي مدرسة في دمشق يتوجب على هؤلاء الطلاب الحصول على ورقة لا مانع من المدرسة الجديدة، إضافة إلى موافقة من مديرية التربية حتى يستطيعوا متابعة دراستهم من المرحلة التي توقفوا عندها.

وتشهد المدارس ضغطاً كبيراً بسبب تناقص أعدادها وكثرة الوافدين الجدد، أدى هذا الى تحولها للدوام بنظام الدوام النصفي، معظم هذه المدارس تقع في محافظة إدلب التي اضطرت أكثر من 90 مدرسة فيها للعمل بنظام الدوام النصفي من جديد، وتشير الآنسة غادة لأن «هناك نقصاً كبيراً في عدد المقاعد، خصوصاً في المدارس التي لجأ اليها نازحون في وقت سابق وقاموا باستعمال أخشاب المقاعد للتدفئة، ولم يتم تعويض هذه المدارس بعدد كافٍ من المقاعد» وتضيف «هناك نقص في عدد الكتب نسبة الى أعداد الطلاب، طالبنا مراراً بتزويدنا بكميات مضاعفة إلا أن المديرية لا تمتلك المطابع الكافية لطباعة المناهج الجديدة، و يضطر معظم الطلاب لتحمل أعباء نسخ الكتب ليستطيعوا متابعة دروسهم».

خطر الأمية

أدى استمرار تدهور الوضع الداخلي سياسياً وعسكرياً وطول أمد الأزمة إلى إلحاق الضرر بالمستوى التعليمي الذي يحصل عليه الطلاب، وتزايد نسبة الأمية بشكل ملحوظ، بعدما اقتربت سورية من تسجيل أرقام منخفضة من الأمية قبل بدأ الأزمة، ويعود ذلك لتسرب آلاف من طلاب التعليم الأساسي من الالتحاق بمدارسهم، بسبب نزوح عائلاتهم من المناطق الخطرة الى المخيمات في الخارج، ويوضح أحد الموجهين في مديرية التربية الأستاذ عصام وقد رفض الكشف عن كامل اسمه أن « استمرار الأزمة السورية ينذر بمعدلات أمية مرتفعة، بسبب عدم التحاق الطلاب بالمدارس، وتدني المستوى العلمي للطلاب الموجودين، إذ لا تتوفر البيئة والشروط التعليمية الملائمة» ويضيف « لدينا نسبة عالية مما ندعوه اليوم الأمية المقنعة، والتي تعني ترفع الطلاب إلى مراحل دراسية أعلى دون اكتساب المهارات والحصول على مستوى تعليمي كاف».

يذكر أن 20 بالمئة من الطلاب في مناطق سيطرة النظام لم يلتحقوا بمدارسهم خلال عام2013 تبعاً لمديرية الإحصاء في وزارة التربية السورية، ويشير الأستاذ عصام لأن «نسبة كبيرة منهم لازالوا يتواجدون في مناطقهم وأحيائهم، إلا أنهم أتجهوا لسوق العمل لإعانة أسرهم في ظل الوضع المعيشي المتردي الذي باتت تعيشه الأسر السورية».

خلل في أعداد الكادر التعليمي

تعاني العديد من المدارس السورية اليوم نقصاً في عدد المدرسين العاملين فيها، خصوصاً تلك الواقعة في المناطق الريفية أو المناطق الساخنة، فيما يوجد فائض من المعلمين في مدارس الأماكن الآمنة نسبياً، ويشير أحد أساتذة ريف حماه الأستاذ عمر لأن التوزع غير العادل للمدرسين في المدارس السورية دفع العديد من المدارس للاعتماد على معلمين جدد، وهم من طالبي العمل الكثر، وتم توقيع عقود فصلية لسد الحاجة، و عن جدوى الأمر فيوضح بأن «معظم المدرسين الجدد الذين عملوا في مدرسته مؤخراً، وهم من سكان القرية نفسها، كانوا دون المستوى العلمي المطلوب، وهو ما أثر على مستوى الطلاب في المدرسة».

وتبعاً للأستاذ عمر فليس هناك الكثير من الخيارات المتاحة، إذ يصعب على المدرسين الذين يسكنون في مدن مجاورة التنقل بشكل يومي للدوام في المدارس الريفية كما كان يحدث في السابق، فعدا عن الأخطار المحتملة في الطريق، يتوجب على المدرس أن ينفق راتبه كاملاً لتحمل أجرة التنقل بشكل يومي.

من جهته يعتبر الأستاذ غالب وهو مدرس في مدينة حماه أن المعلمين يتحملون اليوم العديد من المتاعب التي تفرضها عليهم طبيعة وظيفتهم، إذ «يعاني الكثيرون من أساتذة المناطق الريفية من صعوبة الحصول على رواتبهم، ويتوجب عليهم التوجه الى المحافظة لاستلامها من الحاسب الآلي، حيث يتجمع مئات المدرسين لاستلام رواتبهم في الوقت ذاته، وقد لا يتاح للكثيرين منهم استلامه إلا بعد يومين»، كما يشير الى وجود عوائق لمنع المدرسين وغيرهم من الموظفين من الحصول على أذونات السفر أو الاستيداع بداع السفر، فمن أراد أن يسافر ولو لأيام يتوجب عليه التخلي عن وظيفته بشكل كامل، وقد يصبح مشبوها ويتعرض للمسائلة الأمنية.

> تشير تقديرات اقتصادية لأن الأضرار المادية التي لحقت بالبنية التحتية للتعليم قد بلغت 5.4 مليون ليرة سورية حتى بداية عام 2013، وأن سورية بحاجة اليوم الى إنفاق ما يزيد عن 1.55 مليون دولار لإعادة أعمار مؤسسات القطاع التعليمي.

سياسة التجهيل

ويتهم العديد من العاملين في القطاع التربوي والتعليمي النظام بإهمال التعليم في المناطق الشرقية والشمالية السورية، وبنوع من التمييز في تقديم الخدمات التعليمية لمحافظات على حساب أخرى، ويشير أحد الموجهين السابقين في مديرية التربية في حلب لأن جميع المؤشرات تدل على سياسة تمييز ممنهج لأهالي المحافظات الشمالية والشرقية ويوضح قائلاً «بمقارنة بسيطة في الأرقام الإحصائية لمديرية التربية، نجد أن معدل الإنفاق السنوي العام على الطالب الواحد في حلب هو 11 الف ليرة سورية في العام، بينما يصل في اللاذقية على سبيل المثال الى 31 الف ليرة، أما نصيب الطالب من المعلمين في حلب فيبلغ معلماً لكل 22 طالب، بينما يبلغ معلماً واحداً لكل 10 طلاب في المناطق الساحلية، حتى أن كثافة الطلاب تقدر ب 43طالباً في الصف الواحد في حلب، بينما تصل ل31 طالباً في المحافظات الجنوبية والغربية».

وتشير تقديرات اقتصادية لأن الأضرار المادية التي لحقت بالبنية التحتية للتعليم قد بلغت 5.4 مليون ليرة سورية حتى بداية عام 2013، وأن سورية بحاجة اليوم الى إنفاق ما يزيد عن 1.55 مليون دولار لإعادة أعمار مؤسسات القطاع التعليمي، وذلك وسط ارتفاع تكاليف الإعمار والتجهيزات مع انخفاض قيمة الليرة السورية، وتقدر تكلفة المدرسة المجهزة بتجهيزات ووسائل تعليمية متوسطة ب 100 الف دولار في القرية و2مليون دولار في المدينة، وهو ما يقع على عاتق الحكومات السورية القادمة في الوقت الذي لا تتعدى فيه مشاركة القطاع الخاص في التعليم الأساسي ال 2 بالمئة.

مؤسّسة فرسان الهيكل

التي حصل بشار الأسد على عضويتها

منذ تأسيس جماعة فرسان الهيكل في مطلع القرن الثاني عشر، جذبت المتطوعين والأموال على السواء، بطبيعة الحال كان على فارس الهيكل أن يتخلّى عن كل ممتلكاته ولم يكن يحقّ له امتلاك أي من متاع الدنيا، في نفس الوقت كان بحاجة للخيول والأسلحة والخدم، للقيام "بخدمة الربّ محارباً" على أكمل وجه.

حمزة علي الخطيب

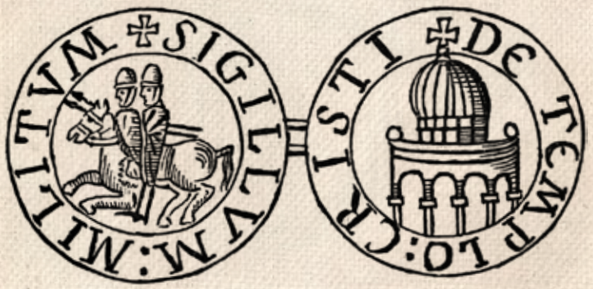

لقد ساعد ملك القدس الإفرنجي فرسان الهيكل في البداية، وأحد الأسباب الكثيرة لقيامه بذلك هو معرفته بأن زيارة الحجّاج تجلب الإيرادات الضروريّة لدول الصليبيين الناشئة. كان الحجّاج بحاجة للطعام والمأوى وكانوا يدفعون رسوم السفر ويحملون الهبات. منذ البداية، كانت الأوضاع الاقتصاديّة المستقرّة لفرسان الهيكل تساعد على "خدمة الربّ" في الأرض المقدسة.

الشبكة

تأسست شبكة أو منظمة فرسان الهيكل في أوروبا الغربية، حيث عزّزتها هبات من الأراضي منحها رجال ونساء أرادوا حماية أرواحهم الخالدة بدعم الصليبيين في الأرض المقدسة. كثير من الهبات التي تلقاها فرسان الهيكل كانت من رجال يرغبون بالانضمام للتنظيم نفسه. وجاء أعظم المساهمين من شمبين (شمبانيا) Champagne في شمالي فرنسا. انضمّ هيو كونت شامبين للتنظيم في عام 1120.

بحسب مالكوم باربر من جامعة ريدنج، كان يُعتبر واحداً من أهم المناصرين للجماعة. ولكن عندما انضم للتنظيم خسر مكانته كحاكم محليّ وتوجّب عليه أن يُخضع إرادته للسيّد الأعظم وأن يعيش حياة الفارس العادي. لذا فقد تخلّى عن قدر كبير من الأشياء فيما يتعلق بالمنزلة والراحة المادية ليصبح واحداً من فرسان الهيكل. في الواقع إذا كنت تؤمن إيماناً كاملاً بأنّ المهم هو روحك الخالدة وليس حياتك الزائلة على الأرض، حينئذ سيبدو ما فعله هيو طبيعي جداً ويستحقّ التخلّي عن الثروة ورفاهيات الحياة الدنيا.

لقد تلقى فرسان الهيكل بامتنان الكثير من الأراضي هبةً، ثمّ حوّلت هذه الأراضي إلى مجتمعات منتجة، حيث كان الإخوان يعيشون ويعملون في الغرب. في المُلكيّات المشتركة المسماة بالمستوطنات التي أصبحت حجر الأساس لشبكة جماعة فرسان الهيكل. أعتقد أن فرسان الهيكل اهتمّوا بشكل كبير بكيفية استغلال هذه المستوطنات في الغرب على أفضل وجه، بهدف دعم الخطوط العسكرية الأماميّة. ومع مرور الوقت حاولت الجماعة باجتهادٍ ترشيد أملاكها بطريقة تصبح فيها أكثر فعّالية. ففي بعض المناطق أُنشئت مستوطنات متخصّصة تختصّ بالأعمال المصرفيّة أو الزراعة أو توفير الشحن وهلمّ جرّا...

إنّ المستوطنات النموذجية لفرسان الهيكل في أوروبا تتألّف عادة من أراضٍ زراعية تتركز حول أحد القصور وعدد من الحظائر والإسطبلات والمراحيض الخارجية اعتباراً للموقع وعدد السكان. لم يبق اليوم أيّ من المستوطنات بشكلها الكامل. ولكن الكثير من الأبنية الخاصة تمكّن لها النجاة.

الغرض من جميع المستوطنات في أوروبا هو جمع المال، وكان ثلث الدخل يذهب إلى الجبهة، وأيّ تبرّع صغير كان أم كبير تم تسخيره بالكامل لتحقيق أقصى قدر من العائدات. فإذا تم منح الجماعة أرض بور، يقومون باستيطانها واستصلاحها. ثم يقومون بإنشاء مطاحن وأفران ومعاصر نبيذ جديدة لاستغلال الفائض من المنتجات الزراعية. وقام فرسان الهيكل بإنشاء أسواق جديدة في جميع المدن والقرى حول المستوطنة، وبهذه الطريقة يمكن دعم اقتصاد إقليم كامل بشكل مستدام. ولكن ذلك يعني أيضاً أن فرسان الهيكل يمكنهم تولي زمام الاقتصاد في مناطق كاملة من خلال سيطرتهم على الأعمال التجارية والأراضي. مثلاً في مدينة شامبين في بروفان فرنسا امتلكت جماعة فرسان الهيكل تدريجياً أكثر من سبعين عقاراً إنتاجياً.

كان فرسان الهيكل يطوّرون مكانتهم في السوق بشكل دائم، فسبّبت هيمنتهم استياءاً ملحوظاً لدى الفلاحين ومالكي الأراضي. وبالنسبة لمنافسيهم كان لدى فرسان الهيكل ميزة واحدة غير عادلة في حقّ من هم من غير الجماعة. وهي أن ممتلكاتهم معفاة من ضريبة العُشر الخاصّة بالكنيسة. إنّه لمن الطبيعي بالنسبة للسكان أن يدفعوا ضريبة العُشر. ولكن مُنح فرسان الهيكل إعفاءاً من الضريبة على ما يملكونه من الأراضي. وهذا ما مكّنهم من النمو بسرعة أكبر مما كانوا عليه في السابق. وبالمقارنة مع الآخرين ممّن يدفعون ما عليهم من ضريبة دخل للكنيسة.

المؤسّسة

بعد ثلاثين عام من تأسيسها أضحت منظمة فرسان الهيكل تدير مزارع وعقارات في المدن عبر فرنسا وإنكلترا وأجزاء كبيرة من أوروبا. أمّا مقرّاتهم الرئيسية فكانت في باريس ولندن. بينما كانت معظم مُلكيّات فرسان الهيكل في شبه الجزيرة الإيبيرية محصّنة خصوصاً في مناطق شرق الأندلس الفاطميّة الخليفة فلنسيا وكتالونيا.

وفّرت شبكة فرسان الهيكل الأمن والمأوى على طول طريق التجارة الأوربية حتّى الأرض المقدّسة أيضا. حيث كانت بعض أهم مقرّاتهم موجودة في موانئ رئيسية على البحر المتوسط. كان تنظيم فرسان الهيكل يعمل بالنقل منذ أيامه الأولى. وسرعان ما وسّع دوره بحماية الحجّاج في سوريا إلى حماية الحجاج المسافرين إلى سوريا. حيث أسّس التنظيم أول وكالة للسفر في أوروبا. ووفّر للحُجّاج إضافة. إلى الأمن. وسائل النقل والمأوى. ففي البداية استأجر التنظيم السفن من المدن الساحلية الكبيرة في إيطاليا. ولكن التنظيم قرّر تالياً تطوير مكانته في السوق. فقامت الجماعة بإنشاء مصانعها الخاصة بها لبناء سفنها ودمجت الأعمال التجارية بالسفر والصناعة التي أسّستها الجماعة أساساً.

أكثر مناطق فرسان الهيكل دخلاً كانت على المحور الرئيسي الذي يصل المراكز التجارية على البحر المتوسط جنوب أوروبا. بالموجودة في شمالي أوروبا. بينما كان إقليم شامبين في فرنسا (وهو أحد الأراضي المركزية لفرسان الهيكل) بمثابة جسر بين شمال وجنوب أوروبا. وفيها أُنشئت لأوّل مرة المعارض التجارية الضخمة التي بشّرت بانطلاق الأعمال التجارية العالمية كما هي معروفة اليوم. كانت المعارض التجارية الكبيرة في شامبين تبيع وتقايض السلع من جميع أرجاء أوروبا. والتي لم يخفق فرسان الهيكل من جني الفائدة منها.

أطلق الازدهار الاقتصادي أيضاً ثورة ماليّة شهدت ولادة الأعمال المصرفية الحديثة. احتلّ فرسان الهيكل مكانة بارزة في عالم الأعمال المصرفية. وكان لديهم مكاتب في كافة أنحاء القارة الأوروبية. إضافة إلى أنّ استمرار حالة الحرب منح فرسان الهيكل الخبرة اللازمة لحماية مبالغ طائلة من المال. إنّ أحد أهم أسباب نجاح فرسان الهيكل بالأعمال المصرفية هو ثقة الناس بهم. وقد منحهم الناس الثقة المطلقة ليس بسبب أمانتهم وحسب. بل أيضاً لأنهم يملكون وسائل القوّة لحماية الأموال المدّخرة. حيث يملكون حصوناً ورجالاً مسلحين مدرّبين لمرافقة انتقال الأموال إذا اقتضت الحاجة. وحافظوا على سمعتهم بالالتزامهم بإيفاء الأمانات والصدق في التعاملات والاتفاقات. ولذلك نجح فرسان الهيكل في الأعمال المصرفية غرب العالم القديم.

البقرات السّمان

كان مصرف فرسان الهيكل في باريس يقوم بمعظم الوظائف المتعلقة بالمصارف الحديثة. حيث كان يمنح القروض ويقبل إيداع المال في حسابات شخصيّة. وكانت لديه خزينة مفتوحة طيلة أيّام السنة. بشكل خاص عندما تكون الحاجة ملحّة لها في فترة جني الأموال في وقت الحصاد. وأوجد حسابات منفصلة للناس. كانت مختصّة بتحويل العملات والتعامل مع التمويل.

الكثير من المهام التي تتعلق بالمصرف الحديث يمكنكم أن تروها في مصارف فرسان الهيكل في باريس ولندن. وفي أماكن أخرى كذلك. وقد أبكروا أيضاً في بعض مهام المصرف الحديث. كما يمكننا القول بأنهم لعبوا دور شركات المحاسبة الحديثة. حين قاموا بتدقيق حسابات ملك فرنسا على سبيل المثال. إنّ دقّة فرسان الهيكل المالية التي لا تضاهى وروح المبادرة لديهم جلبت لجماعة الرهبان المحاربين ثروات طائلة.

لقد ارتقى التنظيم إلى قمّة المجتمع. ولم يعملوا لصالح التاج الفرنسي وحسب. بل قدّم التنظيم الاستشارة في مجال الأمن والمال إلى معظم حكام أوروبا الكبار بمن فيهم ملك إنكلترا والبابا. لكن بالنسبة لمعظم المراقبين كان يوجد فرق بين ما يجب أن يكون عليه التنظيم. أي فرسان الصليب الفقراء الذين يحاربون الكفار. وبين ما بدا أن الجماعة أصبحت عليه. أرستقراطيين أثرياء مع علاقات ملكيّة. رغم أن ثلث العائدات التي توفرها شبكة فرسان الهيكل يتم إرسالها إلى سوريا. لكن القليل من الناس في أوروبا شاهد نشاطاتهم في الأرض المقدّسة. ولمعظم الناس الذين سمعوا بالحملات الصليبية كانت بالنسبة لهم عبارة عن سجل للهزائم والإذلال.

لقد خسر الصليبيّون المواقع المسيحية المقدسة. والتي كانت تشكل الهدف الرئيسي لفرسان الهيكل. إن إخفاقاتهم المتكررة في الأرض المقدسة أصابت الكثيرين بالشكّ. كيف يمكنهم تبرير هذه الثروات بينما يُفترض أن يكونوا مجرد فرسان فقراء يحاربون المسلمين لكسب رضى الربّ وحده؟

لعدة سنوات كان مؤرخي العصور الوسطى يعتقدون بأن الدوافع المالية أثّرت على جميع تصرّفات فرسان الهيكل في الأرض المقدسة. وحصار أي قلعة يمكن تفسيره بأنه طمع بالذهب والغنائم. ورفض المشاركة بأي هجوم يُنظر إليه على أنه ادّخار للتكاليف. والكثير من الحوادث المثيرة للجدل أظهرت الدوافع الماليّة في تفاصيلها. وأحدها مثلاً أسر رجل أيّوبي اسمه ناصر الدين هرب من مصر بعد انقلاب سياسي فاشل عام 1154 م وتمّ أسره بواسطة المسيحيّين اللاتين. ثم سلّمه اللاتين لتصرّف فرسان الهيكل. وقام فرسان الهيكل بعدئذ ببيعه لأعدائه في مصر مقابل مبلغ ضخم من المال. ثم تعرّض للقتل على يد الغوغاء.

إن القصّة التي يرويها بعض المؤرّخين تذكر أن هذا الرجل أراد التحوّل إلى المسيحيّة. ولم يشكّل هذا أي أهميّة لفرسان الهيكل. حيث ينصب اهتمامهم بالحصول على مال الفدية أكثر من حصولهم على مسيحي جديد ذو أتباع.

بأدوات بسيطة..

مهرجان سوريا لأفلام الموبايل

طالما صنفت سوريا بالمراتب الأخيرة في حرية الصحافة والتعبير، برفقة كوريا الشمالية وإيران، ولم يفوت نظام الأسدين منذ استلامهم الحكم فرصة لتضييق الخناق على أي شكل صحفي وفني يقدم رؤية تخالف رؤيته وطبيعته.

جورج.ك.ميالة

ولعبت الكاميرا منذ اختراعها أداة توثيق ونقل للحقيقة، واظبت الأنظمة القمعية في العالم على محاربتها ومعاقبة فرسانها.

وفي الألفية الفائتة اندلعت في سوريا موجة احتجاجات شعبية وحزبية عارمة في نهاية سبعينيات القرن العشرين حاول النظام قمعها وتغيبها، توجت بمجازر حماه عام 1982، وراح ضحيتها عشرات الآلاف من المواطنين الحمويين غيبهم الموت وعتمة سجون نظام حافظ الأسد، ولم يخرج للإعلام آنذاك سوى بضع تقارير إذاعية بثتها إذاعة لندن، وعدداً قليلاً من سطور كتبتها بعض الصحف الأجنبية في صفحاتها الأخيرة، إضافة لبضع صور التقطتها عدسات كاميرات نقلت ماجرى من تنكيل بمدينة هدمت فوق رؤوس أبنائها، وفي الألفية الثانية تزامنت الثورة التكنولوجية الحديثة وانتشار تقنيات التصوير الرقمي والهواتف النقالّة وشبكة الإنترنيت ووسائل التواصل الاجتماعي وانتشارها في سوريا، مع انطلاق ثورة الكرامة من مدينة درعا، حيث لعبت كاميرا الموبايل وشبكات التواصل الاجتماعي العامل الأهم في امتداد الثورة السورية على كامل الأراضي السورية.

صورت أول المظاهرات في درعا بعدسات كاميرات بسيطة وانتقلت بتقنية «البلوتوث» من بيت لبيت مجاور، مخترقة جدران الصمت التي طالما بناها نظام الأسدين وصولاً لخارج المدينة المحاصرة من دبابات النظام، حتى شبكات التواصل الاجتماعي لتصل معاناة أهالي درعا للعالم بأثره.

مبادرة لإحياء أيام الثورة الأولى:

بمبادرة من مؤسسة الشارع للإعلام والتنمية وبالتعاون مع عدد من النشطاء أطلق «مهرجان سوريا لأفلام الموبايل»، ساعين لتشجيع ودعم المواهب الجديدة في التعامل مع هذه الكاميرا الهاتف المحمول كأداة إبداعية، وكمحاولة لخلق تجارب جديدة وفاعلة.

وقدم المهرجان في برنامجه مجموعة من الأفلام المنفذة داخل سوريا وخارجها، تتناول بمعظمها مواضيع وقضايا تمس في زوايا من الحياة اليومية لصناعها، وتلامس تجارب آخرين غيرت الظروف التي تمر بها سوريا مسارات حياتهم وتجاربهم.

وعن أهمية أفلام الموبايل كتقنية جديدة في الفن يقول عامر مطر لمجلة بناة المستقبل:

«تشكّل مقاطع الفيديو المصوّرة بواسطة الموبايل ذاكرة أساسية للسوريين، يستطيع الناس من خلالها توثيق ما يعيشونه بأبسط الأدوات، وما يمكّنهم من مواجهة الأنظمة القمعية، وقد يكون المهرجان فرصة لاستعراض التجربة السورية، وأداة قد تساعد الكثير من الناس على القيام بمشاريعهم الفنية، ولو بالموبايل».

مركز «معاً» يستضيف أول مهرجان سينمائي بعد الثورة:

تأسس مركز «معاً» الثقافي في قرية «جوزيف» بجبل الزاوية بريف إدلب الثقافي، واستأجر القائمون عليه صالة للأفراح، ليكون أول مركز ثقافي في المنطقة، ويضم في ثناياه حوالي عن 5 آلاف كتاب، إضافة لتقديم دورات في الحاسوب واللغات الأجنبية والتمريض.

واستضاف المركز حفل افتتاح المهرجان في الخامس عشر من تشرين الأول، تزامناً مع تقديم عروض في كفرنبل والأتارب حلب ودرعا وتلبيسة في ريف حمص وفي باريس وبرلين والولايات المتحدة.

وعرض في الافتتاح المهرجان فيلم «ماء الفضة» للمخرجين أسامة محمد ووائم بدرخان.

وفي اليوم الثاني عرضت الأفلام المشاركة في المسابقات الرسمية للمهرجان، حيث تقدم العروض على مدار اليوم ضمن برنامج يوزع محلياً، بالإضافة إلى افتتاح التصويت على جائزة عين المشاهد عبر الانترنت.

وفي اليوم الثالث عرض فيلم الختام «الرقيب الخالد» للمخرج زياد كلثوم.

وتنافس الأفلام المشاركة على أربعة جوائز يقدمها المهرجان قيمة كل منها ألف دولار، وهي جائزة التسجيلي التجريبي وجائزة التسجيلي القصير وجائزة المواطن الصحفي

كما يقدم المهرجان جائزة عين المشاهد التي تقوم على تصويت المشاهدين عبر شبكة الانترنت، وسيفتح التصويت لهذه الجائزة يوم ١٦ تشرين الأول وتعلن نتيجة الجائزة مع نهاية شهر تشرين الأول.

يقول عمر خيطو أحد أعضاء مؤسسة الشارع «حاولنا من خلال المهرجان تقديم منصة عرض لقصص هؤلاء المصورين والمخرجين، من أجل دفعهم لتقديم أفلامهم الأولى التي تعكس وجهة نظرهم ورؤيتهم هم ».

وعن الإقبال الجماهيري يقول نور الدين عبدو مدير مركز «معاً»:

«ماميّز المهرجان جلسات الحوار التي تلت عرض الأفلام والنقاشات الساخنة حول الأسلوب الفني للأفلام وصولاً لواقع الثورية السورية والحلول المقترحة لنجاحها» هكذا تحدث لنا نور الدين عبدو الشاب الثلاثيني مدير مركز «معاً» الثقافي.

وأضاف لبناة المستقبل:

«رغم اقتراب فصل الشتاء، وانشغال المواطنين بقطاف موسم الزيتون في جبل الزاية، فإن المهرجان شهد اقبالاً ممتازاً، مع حضور أنثوي مميز، وحضر أشخاص من محافظة حماة وحلب ومن مدن سراقب وخان شيخون وكفرنبل ومعرة النعمان ليحضروا ويزيدوا المهرجان تألقاً».

تدريبات على صناعة الأفلام قبل المهرجان:

أقامت المؤسسة ورشتي تدريب في كل من قرية جوزيف وكفرنبل بريف إدلب، في كل ورشة 20 متدرباً من مناطق متعددة، استمرت كل واحدة سبعة أيام.

وعن ورشات التدريب يقول نشوان مرزوق أحد المدربين في مؤسسة الشارع:

«معظم المتدربين كانوا مواطنين صحفيين يعملون في صناعة التقارير والتصوير في مدنهم وبلداتهم، ركزنا في التدريب على الهروب من هذا الأسلوب، ودفع المواطنين الصحفيين لاستغلال كاميرا الموبايل بشكلها الحقيقي، والاستفادة من ميزات هذه العدسة التي فتحت عيون العالم على جرائم النظام في بداية الثورة، وقدرتها على التقاط صورة حقيقية واستثنائية».

أما المدرب الآخر عمر خيطو فيقول:

«حاولنا نقل الإعلاميين من حالة تصوير المظاهرات السلمية والمعارك مع قوات النظام إلى تقنيات صناعة الفلم التلفزيوني والسينمائي».

المنفى ليس قصيدة، بل حادثة..

علي سفر

1

عصفور يرتب سكنه وراء حرف معدني في عنوان فندق في عينتاب.. ذكرني بالعصافير التي اجتمعت في شق جدار مقابل شرفة منزلي في دمشق..

لا كنايات هنا، أنا لست عصفوراً، ومنزلي ليس شقاً في جدار..

والمقابلة بين الصورتين، هي مجرد مدخل لتذكر ما يجب أن أنساه، كي لا أصاب بالكساح الحياتي، والبكاء المزمن على البيت الذي عشت فيه..

أنا مهجوس الآن بالبيت، والأخرون يكتبون عن الوطن..

أتذكر مقاربات باشلار: قصائد الشعراء الذين يكتبون عن البيت، الرحم، الوطن.. الخ.

هم يكتبون عن الوطن، يبكون أو يتباكون عليه..! وأنا فقط أفكر بالبيت، بالشرفة و عصافيرها، بشجرة الجنونة التي تدلني على المكان حين أبحث عنه على (google earth)..

ربما أحتاج لجلسة علاج تعيد تأهيلي، كي أنضم لجوقة الرثاء..

طيب، لابأس، سأستغل الوقت المتبقي، كي أتخلص من الفكرة الراهنة..

عصفور يرتب حياته للشتاء في مدينة غريبة..

يعيدني إلى دمشق بأسرع من نبضة دمٍ في ممرات الدماغ..

2013/10/3

2

ستمر عليَ لحظاتٌ أسوء من هذه..

أعرف..

وأدري أيضاً أن الأيام القادمة لن تكون جميلةً كما وعدتنا القصائد..

وأعرف أن لكل شيء نهاية..

كل شيء

ضحكة الديكتاتور.. وألمي..

حتى وإن جاءت النهاية على شكل خبر عاجلٍ أو صمت مباغت لقلب، كان يخفق وحيداً هناك، في البلاد التي كانت..

2014/1/12

3

لم نكن في مباراة لذرف العبرات، ولم يكن موعداً لإسكان العواطف في منازلها..

فقط لقاء، تأملنا فيه وجوهنا المتعبة، ودون أن نحكي عن البلد وما أصابها، ذهبنا عميقاً في البلاد..

نسينا كل خراب، ودون حواجز عدنا إلى الشام..

ومشينا في كل الشوارع التي أكلت من أقدامنا وأرواحنا، ضحكنا بوجوه من قتلونا، وتبادلنا معهم أرقام الهاتف، وبعد أن تركناهم مسحنا التفاصيل..

وحدها غربان دمشق كانت تتأملنا من على أغصان أشجار المتحف الوطني، غير مصدقة أننا عدنا..

معها كل الحق، فعلى بلاط شوارع المدينة سقطت عيوننا ببريقها الأخير.. ولم نعد لأخذها، فتلقفتها الغربان محض كريات زجاجية، بينما كنا نمضي في منافي العماء..!

2013/11/10

4

قصيدة واحدة تكفي يا أمي..

قصيدة مثل «هدهدات» نسيتُها بحكم الزمن الذي تلعنين..

واحدة تكفي..

2014/1/18

5

ويخطر في البال (أبو حسن الحريتاني):

أن نسأل المغني عما فكر به،

وفوهة المسدس ببرودتها تضغط على صدغه..

قبل أن تنطفئ الفكرة، ويتفجر الدم..

مقيد اليدين كان..

ورغم كل هذا الثقل في المعنى

فاض جسده

في نهر الشهداء..

2014/1/26

6

الباب الذي فتحته الريح الباردة، باب الفصول وهي يلخصها النهار..

في الصبح جاءت الطائرات، وفي المساء باغتتنا الأصوات

الرصاصة مازالت مغروزة في الاسمنت ..

وأخرى ذهبت في ازدحام المكتبة..

والصغير يطلب مني ألا أعود إلى غرفتي..

العتمة في الشام، تحفر في الروح..

والآن في مسارب وجع الليل،

أعود إلى كل شيء، لم أنس أي شيء

حتى غفلتي عن رسائلك

تغمرني الآن وأنا أشرح لك التفاصيل عني

مثل هذا البرد، مثل تلك النار..!

2014/2/22

7

المقال الذي أرغب، ولا أجرؤ على كتابته، يتحدث عن مرجعيات فعل القتل، الفعل الفيزيائي، القتل عبر نحر الضحية، أو القتل عبر اطلاق الرصاصة على الرأس..

العبارة السائدة عن توصيف القتلة هي : «قاطعو الرؤوس»، ولكن لم تصدر بالتوازي مع العبارة السابقة، عبارة من نوع : «مطلقو الرصاص على الرؤوس»..

شاهدت فيلماً عن رجل غاضب يقطع رأس رجل آخر، وشاهدت فيلماً آخر عن رجل يطلق الرصاص على رأس رجل آخر..

الضحيتان كانتا مقيدتي اليدين، ومعصوبتي العينين..

وبينما أمسك قاطع الرؤوس برأس ضحيته أمام المصور ثم رماه أرضاً، بصق مطلق الرصاص على المقتول ثم ركله بقدمه..

الفيلمان، جعلاني أصاب برضٍ نفسي وجسدي..

أرغب بالكتابة عن مرجعيات ما يفعله هؤلاء القتلة، وببطء شديد أحاول إلصاق رأسي بجسدي، وإعادة رأسي سليماً بعد أن هشمته الرصاصة التي استقرت في جدار الغرفة..

.... يا لها من تجربة قاسية..

2014/3/9

8

ترتيب المنفى..

ويمكن ترتيب المنفى كقبر، ولكن الإرباك سيأتي من تفاصيل لابد من جلبها إليه، وإحاطتها بالجسد..

هل نستطيع أن نجلب وطناً بأكمله إلى قبر المنفى..

أعرفُ منفياً رتب قبره في منفى بعيد.

وأعرف أخراً لم يشأ أن يُدفن في أرض غريبة، فطلب أن يحرق جسده..

كيف يمكن للجسد الذي أمسى رماداً أن يبعث حياً حين تقوم بنا القيامة؟؟

2014/4/20

من يوميّات انتظار العودة

رامي العاشق

في هذا اليوم تحديدًا، يبدأ الحنين للأشياء التي كنتَ تكرهها، وللروتين الممل في حياتِك السابقة، تبدأ بتذكّر مشاجراتك العائلية في بلد كنتَ تعتبرها مملةً وتنتظر فرصة لتهاجر منها، يظهر أمامك على شاشة الكومبيوتر شريط فيديو عن آخر مشهدٍ كوميدي بينك وبين والدك الذي لطالما وصلت المشاجرات بينك وبينه إلى حد القطيعة، تتذكره وهو نائم في الصالون، وصوت شخيره يعزف على طبقة (السوبرانو) حتى يدق أحد الجيران العائدين ليلًا من عملهم على باب البيت صارخًا:

- «أبو رامي ... جلّس نومتك !!!»

شريط فيديو آخر يتعلق بذات القضية، تذكر أنّك كنت تحمل هاتفًا برقم لا يعرفه أحد في العائلة فقط كي تزعجهم به، تتصل منه في تمام الساعة الثالثة والنصف فجرًا حتى توقظ أباك الغارق في سيمفونيته اليومية مرعوبًا مذعورًا لتسمع شتائمه وتنام قرير العين، لم تكن مراهقًا وقتها، بل كان العمر يأخذ حقّه من وقتك، كذلك الابتسامة والدمعة، كلّ تناقضاتك البشرية كانت تأخذ حقها من وقتِك، أما الآن، فأنت أسير الانتظار، لا شيء يملأ وقتك سوى الانتظار، انتظار مبهم الملامح.

2014-1-28

وكما ينهي أصحاب الرواية الدينية الجدل بالقول: «الله أعلم، هدانا الله» يجب علينا أنّ نجدَ مسلّمةً نلجأ لها عندما يحصرنا الجدل في خانة «يَك»

كان والدي عندما يضيق جدال المنطقِ على صدره -الذي تغيّر لونه الداخلي من تأثير التبغِ المحروق- يقف ويجعل كتفيه بلامسان شحمتي أذنيه، ويلوّح بسبّابته صانعًا منها عصا يهشّ بها على غنمه، ثم يقول:

«أنا هيك «ارتأيت» عجبك أهلًا وسهلًا، ما عجبك.. تعال صير أبوي»

لماذا لا نستعمل هذه التقنية في الانتصار الوهمي حتّى!؟

2014-2-10

موقع فيسبوك، يصرّ دومًا على التعامل معنا كأنه جزء من مجتمعنا السوري المقسوم، فيصنّفنا فيسبوك إلى مجموعات ثنائية متناحرة (مؤيد-معارض)، (إسلامي-علماني)، (سلمي، مسلح) .. إلخ.

كل ثنائية تمثّل حالةً زواجيةً مع فيسبوك، وكلّ من المتناحرَين يمثّل ضرّة للآخر، تشتكي الزوجة الأولى على الثانية، فيحظرها فيسبوك عن استعمال ميزاته، ويهجرها في المضاجع، ويجب عليها حتمًا كي تنقذ نفسها، أن تمارس (النكز) ورمزية النكز هي في دلال الرجل الشرقي، فتقوم الزوجة المحظورة بصنع قالب كيك، وتحضير جوٍّ رومنسي، وتضع أغاني سارية السواس على الآيباد، وتستمر في تغنيجه حتى يرضى، ويفك الحظر!

فليسقط هذه الموقع الذكوريّ إذن!!

2014-2-3

عمّتي التي لم ترَ يومًا ملامحي رغم أني قضيت أكثر من سبع سنوات معها بشكل يوميّ، إلّا أنّها تحفظها وترسمها في مخيّلتها يوميًا، ثم تصفها لصديقاتها وصبايا العائلة كي تتباهى بـ(شبوبيّة) ابنها الذي لم تلده، كانتْ تتظاهر بأنّها ترى وتكابر على فقدان البصر الذي أتاها عند سنّ المراهقة، كانتْ جبّارةً حدّ السّحقِ لكلّ ما يقف أمام إرادة استقلاليّتها، جبّارةً على أمّها وأشقّائها، وعاملة المنزل، لأنّها لا تريد أن يعاملها أحد على أنها فاقدة بصر أو أنها لا تستطيع العيش منفردةً، كانت يوميّا تصرّ على المشي من الميدان إلى مخيم اليرموك والعودة صباحًا لتشتري بعض الخضار، وتتنفس هواءَ القدرةِ على فعل ما تريد.

عمّتي هذه، لم تستطع باتصالها أمس أن تخفي دموعها عن سمّاعة الهاتف، ولم تستطع إلا أن تنوحَ على أمها التي ماتت، وبيتها الذي سرق ثم أصبح ثكنةً عسكريةً، وعائلتها التي تشرّدت في كل مكان، لم تستطع إلا أن تبكي عجزها، ثمّ انفجرت ..

قالت لي: «أنا لا أعرف ملامحك، ولم أعرفها يومًا، كنتُ أكذب كيلا يستضعفني أحد، والآن لم يعد لديّ ما أخسره لذلك أخبرتك!»

2014-1-30

الأبواب السورية الدوّارة

ليست الحلول السياسية سوى ثغرات الكيان السياسي، أو أبوابه المشرعة، أو تلك الموارية منها، التي يمكن من خلالها رسم خارطة المخاطر، أو حتى التحالفات، أو المصافحات السياسية، ولكن لن ننسى طبعاً أول معاني المداخل السياسية التي تمثلها (الثغرات) ليصبح التفكير في الثغرة، مجرّد تخيّل لها، أو تشخيص دقيق، أو حتى تصنيع لها يتم استحضاره من خيال المستشارين أو مراكز البحث والدراسات، والتزويد بالمعلومات والتي قد تفتقر إلى الخبرة وتغترّ بمكانتها وسيادتها، فتقرّر أن بإمكانها وصف الأزمة أو تصويرها بما يحلو لها من الوصف والتصوير، حتى لو لم تعتمد بياناتها على الدقة والتأكيد، وتصبح المشكلات من المداخل، وتصبح الاضطرابات من المداخل، والفساد السياسي والاقتصادي من المداخل، والتهديد الخارجي والمؤامرات من المداخل، وتأخير الإصلاح من المداخل، فتخرج الرؤية من التقويم إلى الغيبية، ليصير كلّ شيء.. من المداخل.. وتعيش البلاد في قلق توقّع كل شيء.

شام محمد علي

أما المخارج من الأزمات فيخطئ من يظنّ أنها منفصلة عن المداخل، وأنها لا تنبني عليها، وتؤسّس على جملتها وتفصيلها، فلا مخرج دون أن يقف المدخل سدّاً أمامه، أو طاقة فرجٍ له، ويخطئ من يظنّ أن بإمكانه خلق مخارج منفصلةٍ عن المداخل التي قدّم لها وشرحها وروّج لها.

والمخرج السياسي عادةً ما يتعلّق بمهارة اللاعب في استثمار كلّ المعطيات، والتناقضات، في سبيل سلوك الطريق المفضية إلى الانعتاق من الأزمة، ولما كانت المهارة ضرورةً سياسية، وخبرةً لا تقبل سوى العراقة لضمان نتائجها، فعليها إذاً تقع مسؤولية العمل اليوم، وليس على خيال الخلق، والقدرة على الترويج للموقف الراهن، أو نقله كما اعتاد السياسيون الذين عاشوا طويلاً في عالم الثابت.. وأهملوا احتمال المتحوّل.

وما بين المداخل والمخارج.. تقف اللحظة التاريخية السورية، أمام اختبار الحقائق ومواجهتها، وترك سواها جانباً، لأنه لا ينفع الناس، وهو زبدٌ سيذهب جفاءً دون شك، وما يمكث هو ما يصل من قلب الواقع والأفكار المشتركة، والطموحات المشتركة، والأرض المشتركة التي هي منجزةٌ أصلاً ولا تحتاج إلى اختراع..الدولة السورية.

في حدود هذه الدولة، وضمن خارطة مداخلها ومخارجها، لا تتوقف المسؤولية، بكل تأكيد، عند حدود، بل تنفتح على الجميع، وتبحث في تفكير الجميع، وتحتاج الجميع، وعلى من يفكّر بغير هذه الطريقة أن يقف جانباً كي يراقب كيف أن المنطق الكوني هو السائد، وهو الواقعي وهو الأقوى لا شك، منطق التفاهم على الغد، دون تخوينٍ أو توصيفٍ بشعٍ للآخر، مهما كان، ومهما كان أسلوبه في فهم مفردات الواقع، ولغته، ولكن في هذه الطريق ذات التضاريس، سيسأل سائلٌ: من هو الواقع؟! هل هو الشارع؟ أم هو النظام السياسي؟! أم هو المعارضة؟! أم هو الاضطراب؟! أم هو المؤامرة؟! أم لعبة الأمم؟!

الحقيقة أن الواقع الوحيد الثابت هو الدولة السورية، التي هي نتاجُ ذلك كلّه وثمرتُه، وخلاصة تشابكه وترابطه وتناقضه واختلافه واصطراعه، فالدولة هي الهوية، وإن كانت بحثاً جديداً علينا، وفكرةً افتراضية لا تراها العين، ولكن حقيقتها أبلغ من أن توصف بالكلمات، وأكثر واقعية من أن تحيط بها الأيدي والأبعاد.

في حدود تلك الدولة، وحدودها ليست في الأطلس وكتب التاريخ والجغرافيا، بل في روح الناس ووجدانهم الجمعي، يمكن للجميع أن يربطوا المداخل بالمخارج، ويسهّلوا مرور المجتمع من هذا المعبر الصعب، نحو مستقبله الأكيد.. في سورية الغد.. سورية الجميع.

جحا المشرمحي و حماره و قراقوش

حكاية: رهين المِحبَسَين

فرات نجيب

قال الحمار لجحا: - أتأسف لأني سأتركك يا صاحبي؛ أنا ذاهب لأعتكف عن الحيوانات وعن البشر.. معاً.

فسأله جحا: - تتركني.. إلى أين ؟!

- إلى معرة النعمان.. عند رهين المحبسين؛ أُلازِمُ قبرَه؛ وأحميه إذا اقتضى الأمر

- لكنك لن تحميه من قصف بن آل الوحش؛ ستتناثر قطعاً من اللحم؛ ولا يُرضيني أن يجتمع حولك أبناء آوى.. فيلتهمونك.

فتنهَّدَ الحمار: - هي حياة واحدة يا صاحبي؛ ولا يهمني أن أموت تحت القصف الأسدي؛ أو قبالة الداوعش؛ إذا خطر لهم أن ينبشوا قبره.. ليردموه.

- ولماذا عند أبي العلاء المعري.. بالذات ؟!

- اقتنعتُ من سيرةِ حياته؛ بأن العُزلَةَ الاختيارية.. تجلو البصيرة؛ حتى لو كان صاحبها فاقداً للبصر؛ ولسوف أتأمل فيما يجري؛ وفي خلاص السوريين.. جميعهم.

فداعبه جحا: - أعرف وجهاً للشبه واحداً.. بينكما؛ فكلاكما.. نباتيّان!.

رمقه الحمار شذراً: - وأغلبكم.. معشر البشر؛ من أكلة لحوم البشر؛ فإذا عزَّ اللحمُ.. أكلتم الأرواح؛ و نهشتم النفوس.

- من العجائب السبع أن يجتمع حمار و فيلسوف؟!

- هل قرأتَ أول رواية ساخرة في العالم؛ الحمار الذهبي لأبو لينوس الليبي؟!

قال جحا: لا.. ولكن..

فقاطعه الحمار: وقد قلّد برناردشو تلك الرواية؛ ثم جاء توفيق الحكيم.. فقلّده؛ من غير أن يسمع حتى.. بأبو لينوس؛ و هل تعرفُ بأنّ: سيت.. إله الحكمة عند المصرين يظهر في البُرديّات وفي النقوش على هيئة حمارٍ وقور؛ ولن تعلم بأنّه عند اليونان: حيوان صبور؛ حتى.. في المعارك؛ و شبَّهوا في إلياذتهم.. بطلَهُم الأسطوريّ: أجاكس.. بالحمار؛ لصبره وتحمله في المعارك.

اتسعت حدقتا جحا من الدهشة؛ فتابع حماره:

- و نحن معشر الحمير.. مذكورون؛ بكل التقدير في حكايات كليلة و دمنة؛ وفي حكايات لافونتين.. ولا أظنّ بأنك قرأتها؛ قال حمار الفلاسفة و فيلسوف الحمير؛ مُدافِعاً عن بني جلدته:

الانسان.. ذاك «الحيوان الكامل» يُدنِّسُ اسمنا المجيد. مُعامِلاً أيَّ واحدٍ؛ جاهلٍ؛ مُغفّلٍ؛ وثقيلِ الروح.. كحمار. نحن.. أيها البشر عكسُ ذلك تماماً.

فما كاد جحا أن يفتح فمَهُ ليُعلِّقَ.. حتى عاجله حماره:

- واسأل شباب الانتفاضة الكنعانية الثانية؛ كيف فخّخنا أنفسنا.. كانتحارين؛ لِنَنفَجِر بجنود الاحتلال الصهيوني.

فساله جحا: تقول: الكنعانيون؛ ولا تقول: الفلسطينيون ؟!

فنهق الحمار: - لستُ حماراً.. لأتبنَّى الاسمَ الذي أطلقه علينا.. أعداؤنا من المستشرقين التوراتيين؛ ليس الكنعانيون.. شعوباً ممّا وراء البحر؛ ولم نأتِ كقراصنةٍ لنستولي على أرض الميعاد؛ نحن أصل تلك الأرض؛ وكان أحد أجدادي برفقة كنعان؛ حين قال له والده آرام الذي كان قبلَ كلِّ أسباط بني إسرائيل على هذه الأرض:

لك برّ الشام وبخاصةٍ.. أور سالم؛ و لأخيكَ: فينيقُ.. كلُّ سواحلها.

ثم حدّق الحمار في الأفق الشامي.. فقال:

- و من سخرية الأقدار.. أن يكون الحمارُ رمزَ الحزب الديموقراطيّ الأمريكي؛ وهم أحفاد من أبادوا الهنود الحمر؛ وقراهم وقطعانهم وحميرهم الوحشية من أولاد عمومتنا.

فربتَ جحا على رأس حماره: - لا عليك.. يا صاحبي؛ في الدنيا.. مفارقات مُضحِكةٌ إلى أقصى حدود الألم.

هزّ الحمار رأسه.. وقال: - ومن المفارقات أنّي رأيتُ مناماً.. وفيه تهتزّ الأرضُ من قصف الطاغية؛ و تتطاير أشلاء الناس مع حجارة بيوتهم؛ ثم رفع أبو العلاء المعرّي رأسه من قبره مُنشداً:

خفّف الوطأ ما أظنّ أديمَ الشامِ / إلا.. من هذه الأجسادِ

فلما أفقتُ من ذاك الكابوس.. عرفتُ بأنّي كنتُ رهينَ محبسِ الاستبداد؛ فصرتُ رهينَ محبس مُعارَضَاتِه؛ لهذا.. قررتُ أن أشُدَّ رِحَالي إلى أبي العلاء المعري؛ فأعتزلَ المُعارَضَاتِ السوريةَ كلَّها؛ حتى يُغيِّرَ السوريونَ ما بأنفسهم.. بأنفسهم؛ وما تفشّى بينهم.. من أمراضِ الاستبداد و من فسادِه؛ بينما هم.. يحاربونه؛ حتى يكونوا جديرينَ.. بالحرية.

استنبول 11 - 10 - 2014 ق.م الحرية

أريد أن أعيش بذاكرة سمكة

غالبا ما أنتظر أيام الثلاثاء والأحد على أحر من الجمر.
لست متطيرة لأتفاءل بيوم معين أو أتشاءم من سواه، لكن القصة وما فيها أن حارات وشوارع باريس تفترش الأرصفة بأنواع لا تحصى من بضائع ومخضروات ،وشتى أنواع الاحتياجات اليومية، بأسعار رخيصة للغاية، في هذين اليومين وتزيدهم أحيانا بيوم الخميس أو الاربعاء بحسب كل منطقة ،تنتقي الأسرة متوسطة الحال احتياجاتها لأسبوع قادم بسعر قد تدفعه نفسه أو أكثر قليلاً على عدد قليل من الاغراض في اي سوبر ماركت عادي.

مزن مرشد

هذا السوق الشعبي او ما يسمونه هنا (المارشيه) يستقطبنا نحن أصحاب الدخل المتواضع في هذه البلاد ،أو هكذا كنت أعتقد ،إذ بدأت مع كل مارشيه أنتبه أكثر لكل أطياف المجتمع الفرنسي ،وكل الجنسيات والأعراق التي تعيش فوق هذه البقعة من الارض.
في هذه الاسواق كل ما يخطر و لا يخطر على بالك ،سلع من كل أنحاء العالم ،تُعرض بتناقض غريب بين بسطة وجارتها ،فعلى إحداها أدوات الزينة ،بجوارها مباشرة البهارات الهندية ذات الرائحة الواخزة التي تتطاير في كل مكان ،تعانق الحلي برابط غريب فتظن لوهلة أن السوار يناسبه القرفة مثلا...
تشعر بأنك في معرض للصناعات أو البضائع العالمية ،ولا معرض دمشق الدولي أيام عزه.
في خضم كل أنواع البضائع تجد الخضروات والفاكهة والجبن واللحوم وفي نهاية المطاف بسطة كبيرة طويلة عريضة للسمك ،تقف أمام هذه البسطة فترى -شي بتعرفه وشي ما بتعرفه -خاصة نحن اللذين لم نعرف من أنواع السمك إلا انه

بلا حسك ،هنا بدأت أتلمس أنواعا جديد من الأسماك و الحبار والقواقع والجمبري ،المشهية للعين قبل الفم من اللقس الى البوري فالسمك البني اياه بطل الأغنية الشهيرة ،أنواع لا تعد ولا تحصى وأنا أحاول أن أشتري ما أعتقد بأنني سأتقن طهوه وستحبه العائلة.

هذا الثلاثاء كان مختلفاً تماماً ،لم أمشي كثيرا في المارشيه ولم أقف عند كل طاولات العرض كما هي عادتي لأتفرج على كل شيء ،ما يهمني وما لا يهمني ،ما يعنيني وما لا يعنيني كنت أمشي بعين سائح لا بعين مشتر يبحث عن الأرخص.
هذه المرة أعرف ما أريده بالضبط ،لا أريد سوى سمكاً بحرياً طازجاً ،وأدرس فكريا سيناريوهات طهوه فكأن كتاباً للطهي يمعن في رأسي في رسم وصفات من شتى بقاع الأرض ،أخيرا حصرت تفكيري بذاك السمك الصغير فهو لا يحتاج إلا لقليل من الطحين والنكهات ويرمى في المقلاة ليصبح مقرمشاً لذيذا لا يضاهيه طعم.
حسمت أمري وبلا وجع رأس بوصفات ومقادير ووقت وجهد.
وصلت الى طاولة الأسماك المعروضة على ألواح من الجليد ،وكنت سعيدة بالبائع الجزائري ،اليوم لن أضطر لاستخدام عبقريتي باللغة الفرنسية المتسببة بتعضيل الشفاه ،ولن أبدع بالإشارات التي تجعلني مشهدا للفرجة.

سألته عن كل أنواع السمك الموجود وكأنني مشتاقة أن أسأل وأسمع الأجوبة دون جهد ،الى أن وصلت الى النوع الذي أريده وبدأ البائع الشاطر بحنكة التاجر العربي يمتدح أسماكه التي اريدها وختم جمله الكثيرة قائلا : انه طازج هذا سمك بحر إيجة الذي لا يضاهيه سمك.
جفلت مثل حصان ،تسمرت في مكاني كمن صفعني ألف صفعة على وجهي فجأة ،تسمرت أبحلق بهذه الأسماك بحقد لم أعرف بأنه موجود في قلبي أصلاً.

لم أجبه ولم أعد قادرة على فتح فمي ،تركت السوق وألوانه وضجيجه وكل الحياة التي يغص بها ومشيت ،قطعت الشارع ولم أنتبه أن سيارة كادت تودي بي ،المطر كان قد غسل وجهي تماماً ،السماء صافية لا غيوم ولا مطر ،فقط وجهي هو المبتل وهو ما ظننت أن مطراً بلله.

كانت تتلاطم في رأسي أمواج بحر إيجة ،كنت أرى قارباً مليئاً بالبشر ،ليسوا مجرد بشر ، كانوا سوريين ،لا أدري من أين أتت تلك الصورة ،كانت حقيقيةً أكثر من الشارع الذي تلامسه أقدامي ،كانت صور أناس يصارعون الأمواج ،أطفال تتقاذفهم المياه يغرقون مفتوحي الأعين .
عيونهم نهبت ذاكرتي ،نهشت قلبي كما تنهش لحومهم الأسماك ،كنت أرى الأسماء تحاول نهش عيونهم المفتوحة، أحاول ابعادها ،منعها ، تفجيرها ....
العجز وفقط العجز هو ما كان يسيطر، يفرض نفسه على وجودي ،عيونهم رسمت أمامي الطريق والمارة والسماء.
ذاكرتي المرهقة لم تعد تحملني ،ذاكرتي التي تعمل بنشاط عنكبوت دؤوب ،تنسج من الحزن أثواباً ،تلبسني ولا استطيع خلعها.
أسماك بحر إيجة ،باتت الكلمة الأكثر رعباً بالنسبة لي .
هذه الأسماك نفسها شبعت من لحم السوريين الغرقى في ذاك البحر الملعون.
السوريون الهاربون من شبح الموت الحالمون بفرصة للحياة ،فقط فرصة واحدة ليعيشوا كبشر ،هربا من ذلٍ وجوعٍ وموتٍ محقق.
ما ذنبنا أن يكون لحمنا طعاما للأسماك ،بعدما أكلته البراميل والمعتقلات ،ألا يكفي ما أكله الجوع من أجساد أطفالنا ،ألا يكفي ما أكله الهاون والسيف والرجم والتعذيب.

ألا يكفي ما أكلته العربان والغربان والكلاب من لحومنا.
ما الذي ينتظرك أكثر أيها السوري -المرضي- الراضي بكل ما مر عليك منذ أول شمس على أرضك ،أيها الصابر الساكت لدهور، العامل كثور حراثة دون كلل أو اعتراض ،كان لحمك دائما طعاماً لحروب الوحوش ودماؤك قرابين بقاء لعروشهم.

أيها السوري ماذا لو كنتَ سمكة في محيط ،ألم يكن أرحم لنا لو كنا أسماكاً ،نقتات عوالق الماء ونسبح كما نريد ،ننتقل عبر بحار الارض دون أوراق أو اثباتات او تأشيرة ولن نذل لمهرب يسرق حلمنا في قارب ،لنصبح طعاماً للسمك.
كم أنتِ محظوظة يا أسماك بحر إيجة.
أريد أن أعيش بذاكرة سمكة

الجوع ايضاً يموت

سما حسن

اعتاد جميع على رؤيتها تذهب في متأخر من النهار إلى السوق ولا أحد يعلم السبب، فسوق الخضار القريب من الحي ينفض في وقت مبكر عادة، حتى رآها أحد الجيران وهو يمر بسيارته بالقرب من السوق حيث كانت تجمع بقايا الخضار التي يلقيها الباعة على جانبي العربات بعد تأكدهم من تلفها وعدم صلاحيتها للبيع، فكانت تجمعها وتعود بها إلى بيتها، وان اطلقنا على غرفة واحدة متآكلة ومتصدعة الجدران مع حمام صغير تقشر طلاؤه وتسربت الرطوبة إلى زواياه وظهرت الأنابيب المعدنية من خلالها مع ممر صغير تعلق فيه حوضا صغيرة وفوقه يتدلى قفصا تضع به بعض الأواني التي تستخدمها في اعداد الطعام، فان اطلقنا على كل هذا الوصف بيتا فاننا نكون قد أعطينا المكان أكثر مما يستحق.

ديالا برصلي

تعيش وحيدة منذ سنوات. فقد رحل زوجها وتركها وتزوجت بناتها الثلاثة من ابناء اعمامهن لينقلن الفقر معهن ويجدن مثله ايضا في انتظارهن. ورغم جمالهن فلم تفلح احداهن في الوصول لاكثر من نهاية المرحلة الابتدائية في تعليمها بسبب ضيق ذات اليد للأب الراحل، وتعجله زواجهن ليرتاح من حملهن. كانت صديقة الجميع في الحي وتدخل كل البيوت، تعالج الصغار بطرقها الشعبية التي ورثتها عن أمها. وتقدم نصائحها للنساء اللواتي تأخر حملهن أو يعانين من فقدان أجنتهن دون سبب. وآمن السكان بأن يد الخالة نفيسة» مبروكة» فهي لم تقرأ فوق رأس أي طفل في الحي بضع آيات من القران الكريم حتى يشفى ويعود ليرتع في الأزقة. ولم تقم بتدليك ظهر وحوض امرأة تأخر حملها و» تطبق لها ظهرها بكاسات الهوا» حسبما تصف حتى تغيب عنها دروتها الشهرية في الشهر التالي وتعلن حملها الذي انتظرته طويلا. ولم تلف بطن امرأة بشريط قماشي دست به بضع أيات قرانية مكتوبة على ورق ابيض بحبر الزعفران حتى يسلم حملها ولا تفقد جنينها كما حدث في مرات سابقة عديدة.

حين دقت الحرب ابواب المدينة نسى الحي الخالة نفيسة، فأنساهم الخوف والذعر حمى اطفالهم وتأخر حمل نساءهم وسقوط أجنتهن. فلم يعد احدا يدق بابها طلبا لمساعدة. ولم تعد قادرة على الخروج من البيت لتصل السوق الذي تثق انه لا يعمر بالخضار بسبب القصف وغارات الموت المتلاحقة. وهكذا فلم تعد تحصل على بعض الطعام من الجيران الذين لم يكونوا يزيدوا على ذلك أكثر. ولم تجد بعض الخضار التالفة. فمرت عليها أياما نامت فيها بمعدة خاوية. وكركرت أمعاؤها طلبا للطعام. وتحاملت كثيرا وهي تأكل ما تبقى لديها من خبز جاف وكل ما تفعله هو سماع الاخبار من راديو عتيق تعلقه فوق رف خشبي في غرفتها.

سمعت من خلال الراديو أن المدارس قد امتلأت بالنازحين والمشردين والذين فقدوا بيوتهم. وبأن المؤسسات والجمعيات أهالت عليهم وغمرتهم بالمعونات العاجلة من الأغذية والأغطية. فقررت أن تذهب إلى احدى المدارس وتقبع فيها لعلها تظفر بوجبة مجانية تسد رمقها ولم تخبر أحدا بقرارها أو لم تجد من تخبره أو لم يعد أحد يهتم بأمرها. فرحى الحرب الدائرة شغلت الجميع عنها وجعلت مهمتها التي كانت تقوم بها لأهل الحي غير ذات أهمية لأحد فالجميع يريد ان ينجو بحياته حتى لو بعلة دائمة في المخ بسبب الحمى أو بعقم دائم أيضا.

في المدرسة انتحت جانبا فكل من وفدوا اليها هم اقارب وابناء عمومة تجمعوا من قرية صغيرة كانت يوما هادئة ولا يؤرق أهلها سوى صوت الديكة مع ساعات الصباح. فجلست وحيدة دون ان يعرفها احد ولم تفكر ان عليها تسجيل اسمها لدى موظف يقدم في الصباح لكي يحسب حسابها في الوجبة مع الادلاء بكافة بياناتها ومنها منطقة سكنها. فقد اعتقدت لجوعها وحاجتها أن عليها فقط الجلوس في مكان ما في المدرسة والانتظار حتى تهبط عليها وجبة مغلفة وقد الصق فوقها بطاقة توضح مصدرها . وهي حتما لن تعبأ بكل هذا ولا حتى بمحتوى الوجبة فقط هي تفكر بأمر واحد وهو أنها بحاجة للطعام . أي طعام وحسب.

مع اقتراب اذان المغرب لمحت من بعيد شاحنة ضخمة تدلف من باب المدرسة وتسير الهوينى بحثا عن مكان تقف فيه فقد احتل النازحون كل مكان حتى الساحات ومدخل المدرسة. وعرفت من نظرات الأعين الشاخصة ان هذه الشاحنة محملة بطعام الافطار والسحور. فلم يبق على موعد الآذان سوى وقت طويل. تحركت من مكانها وعدلت من جلستها وهي تتخيل الوجبة تحط فوق ركبتيها وتذكرت كيسا من النايلون الاسود كانت قد وضعته في جيبها وتضع فيه علبة كبريت بها عدة أعواد خوفا من تسرب الرطوبة اليها فأخرجته سريعا وفردته لتضع به الوجبة التي حلمت بها.

بعد قليل كانت طائرة تحوم في المكان وتسبق الشاحنة في التوزيع. فقد وزعت قذائفها فوق رءوس المنتظرين. ووجد رجال الاسعاف من بين الأشلاء التي انتشلوها بقايا اشلاء امرأة تقبض على أصابعها بشدة.....

صاحب يا ظلام السجن خيّم

نجيب الريس

الصحفي السوري الحر

هو صحفي سياسي، وناشر، ومفكر سوري ، ولد سنة 1898 في مدينة حماة السورية وتلقى علومه الأولية في مدارسها الخاصة ثم ارتحل عنها إلى مدينة حمص مع والده، الذي عين رئيساً لشرطة المدينة، حيث تابع دراسته على أيدي كبار أساتذة اللغة العربية والدين.

باسل الحمصي

من حمص إلى الشام

قصد الريس دمشق عام 1919 وجعلها مقره وعمل في الصحافة السورية وراسل بعدها عدداً من الصحف اللبنانية من بينها «الأحرار» و«النهار» ثم انتقل إلى إصدار جريدة القبس عام 1928 فكانت ديواناً للحركة القومية وسجلاً للنهضة الوطنية في سورية وفي الأقطار العربية، وأصبحت القبس من أشهر الصحف السورية وأكثرها تمتعاً بثقة أبناء الشعب السوري. اندمجت جريدة القبس عام 1953 مع «جريدة العلم» الدمشقية لـ عزة حصرية عند إصدار قرار الرئيس «أديب الشيشكلي» بدمج كل صحيفتين في البلاد في صحيفة واحدة، وأصدرت باسم جريدة الزمان عام 1952. انفصلت بعد ذلك عن صحيفة العلم عند انتهاء قرار الاندماج. اقترح فيما بعد ورثة «الريس» وعزة حصرية دمج الصحيفتين دمجاً اختيارياً وبالاتفاق بينهما. وأصدر العدد الأول عام 1954 باسم«القبس العلم» لكنها سرعان ما عادت لتصدر مستقلة.

في سجن أرواد

وقد اشتهر نجيب الريس بالإضافة إلى تميزه في العمل الصحفي بنضاله في الحقل الوطني. فكانت افتتاحياته سياطاً من نار، على المستعمر الفرنسي. ولذلك كانت «القبس» تعطل المرة تلو المرة حتى انتهى الأمر بدفعه ثمنا كبيراً لذلك سجناً ونفياً من قبل السلطات الفرنسية. كما اكتسب شهرة واسعة عبر نشيده الوطني الشهير «يا ظلام السجن خيّم» الذي نظمه في المنفى في جزيرة أرواد التي نفاه إليها الانتداب الفرنسي عام 1922. وفي الفترة الواقعة ما بين 1920 و 1943 كان نجيب الريس نزيل السجون والمعتقلات والمنافي في قلعة دمشق، المزة، وحلب، وبيروت، وراشيا، وغيرها حتى بلغ مجموع ما قضاه من عمره في السجون نحو ثماني سنوات.

كان الريس حراً نبيلاً ذا مبادئ لذا انتخبه أبناء دمشق عام 1943 نائباً عنهم على قائمة الرئيس شكري القوتلي أربع سنوات، واشتهر في البرلمان خطيباً مفوهاً جريئاً في الدفاع عن قضايا البلاد ومصالح الشعب. ولم يرشح نفسه للانتخابات بعدها، وانقطع لجريدته يكتب ويطالب بالمحافظة على الاستقلال وصيانته. مفضلاً العمل الصحفي على العمل النيابي. مطالباً الحكومات بتعزيز الاقتصاد وتدعيم الزراعة والصناعة وزيادة الإنتاج.

واصل الريس عمله في الصحافة إلى أن شعر ببعض التعب فقصد حمامات الحمة السورية للاستشفاء ومكث فيها بضعة عشر يوماً، ثم عاد منها تعباً وعالجه نفر من مهرة الأطباء وتماثل من المرض إلا أن المنية عاجلته فدفن في دمشق.

نضال

كتاب «نضال» هو أول كتاب صدر لنجيب الريس سنة 1934 في مطبعة القبس بدمشق وقد جمع عددا من مقالاته التي تناولت أحداثا مهمة في تلك الفترة وأعيد الآن نشر الكتاب دون أي تعديل إذ استمر على الصورة التي ظهر بها في طبعته الأولى. ووصف هذا الكتاب الذي يقع في 366 صفحة متوسطة بأنه يعتبر نموذجا لأسلوب نجيب الريس «الحار والخاص الذي كان يمارسه في جريدته «القبس» ودليلا على مواقفه السياسية الوطنية في الدفاع عن استقلال سوريا ووحدتها». أما الكتاب الثاني لنجيب الريس «جراح» فقد صدر بعد وفاته بأشهر قليلة عام 1952 وأعيد طبعه بعد ما يقارب ست وخمسين سنة دون أي تعديل أو تنقيح. وتروي مقالات هذا الكتاب الذي يقع في 220 صفحة متوسطة الحجم أحداث سوريا بين سنة 1935 وسنة 1945 «حيث كانت الحياة السياسية السورية صاخبة وحافلة بالثورات والنضال ضد الاستعمار والمطالبة بوحدة البلاد واستقلالها». أما كتاب «القبس المضيء» الكتاب العاشر في سلسلة «الأعمال المختارة» التي أصدرتها دار رياض الريس سنة 1994 فهو «كتاب عن نجيب الريس وبقلمه». ويضم الكتاب الذي اشتمل على 470 صفحة كبيرة بعض ما نشر عن نجيب الريس في حياته وبعد وفاته إلى جانب ما كتبه هو من متفرقات «في الصحافة اللبنانية تحديدا مما يلقي أضواء جديدة على حياته ومواقفه». وتابعت دار النشر تقول «وقد أضيف إلى هذا الكتاب بطبعته الجديدة بعض المقالات والصور التي غابت عن الطبعة الأساسية».

قصيدة يا ظلام السجن خيّم

نظم الشاعر نجيب الريس هذه القصيدة الرائعة في سجن أرواد عام 1922 و هي من أجمل ما كتبه شعراء السجون

يا ظلامَ السّجنِ خَيِّمْ إنّنا نَهْوَى الظلاما
ليسَ بعدَ الظلمِ إلا فجرُ مجدٍ يتَسَامى
أيّها الحُرّاسُ رِفقاً و اسمَعوا مِنّا الكَلاما
متّعُونا بِهَواء منعُهُ كَانَ حَرَاما
إيهِ يا دارَ الفخارِ يا مقرَّ المُخلِصينا
قدْ هبطْناكِ شَبَاباً لا يهابونَ المنونا
و تَعَاهدنا جَميعاً يومَ أقسَمْنا اليَمينا
لنْ نخونَ العهدَ يوماً واتخذنا الصدقَ دِينَا
يا رنينَ القيدِ زدني نغمةً تُشجي فُؤادي
إنّ في صَوتِكَ مَعنى للأسى والاضطهادِ
لستُ واللهِ نَسيّاً ما تقاسيه بِلادي
فاشْهَدَنْ يا نَجمُ إنّي ذو وفاءٍ وَ وِدادِ

في تاكاموندو.. سأعيش

نجم الدين سمّان

على سفوح الهيملايا.. في بلدٍ من أصغر بلدان العالم: لا تلوّث فيه: لم يشهد حرباً؛ و شبه معزولٍ عن العالم.. إلا من طائرة إسبوعية واحدة إلى نيودلهي: ذهاباً و إياباً في نفس اليوم: مثل باص أية ضيعة ضايعة في سفوح الجبال.

سأعيش في تاكاموندو.. من غير الدخول في أيّ اختبار فيسبوكي: يُقرّر.. أين و كيف أعيش: فتلك.. هي البلاد التي في أحلام يقظتي قد رأيت.

ولأني عشت خمسين عاماً في بلدٍ جمهوري: ثمّ رأيته يتحوّل إلى جمهورية ملكية وراثية: من غير أن أفعل شيئاً ضدّ هذا التحوُّل المُريب: من حكم الفرد الواحد إلى حكم العائلة الواحدة: سوى أنّي وقعتُ بيان ال 99 الذي تمّ التلميح فيه إلى نظامٍ جمهوري مُنتخبٍ ديموقراطياً؛ وله.. برلمان حقيقي: فاستنفرت ضدنا كلُّ أجهزة الاستشعار عن قرب: و تكفّل عبد الحليم خدام.. خدّام عائلة الأسد من الأب إلى ابنه: فهاجمنا بتهمة الخيانة العظمى لامبراطورية القائد الخالد: و بالعمالة لأمريكا واسرائيل: وربما.. لفرنسا حيث يعيش اليوم: لهذا كلّه.. اخترت تاكاموندو بلداً للعيش: ملكياً منذ بوذا وأزهار ربيعه الكرزي: فيما كنت أهجس بأنّ ربيعَ دمشق 2000 ق.م الحرية سيبقى مجرّد بيانٍ.. تبرَّأ من توقيعه بعضُ من وقّعوا عليه: ربما.. من الخوف السوري المزمن من العسس والجندرمة: حتى نهضت نار الثورة السورية من رماد الاستبداد عام 2011 : فتحوّل بعضٌ ممّن وقعوا على البيان من مُتشدّقٍ بالديموقراطية و المجتمع المدني إلى مجرَّد طائفيٍ كريه: حتى استشرت الطائفية بين الجميع: و لهذا.. اخترتُ تاكاموندو: من حيث لا طوائف فيها ولا مذاهب: ولا أديان: ولا أعراق: ولا جنسيات.. سوى ذاك الطيّار الألماني الذي يقود الميني طائرة: من مطار تاكوموندو إلى نيودلهي بخمسين مقعداً.. لا غير: ثم أغوته حسناء تاكاموندية: فخطفته إلى.. قفصها الذهبي: وأنعم عليه الملكُ بالجنسية التاكاموندية بعد جدلٍ برلماني عميق.

ليس في تاكاموندو.. تلوث: سوى من بعض سيارات الخدمة الحكومية العامة: للشرطة وسيارتي إسعافٍ و مطافىء: ثمّة.. السيارة الملكية تخرج الى شوارع العاصمة وهي تحمل الملك الشاب لينحني له الشعب في العيد الملكي الوطني مرةً واحدة في كلّ عام: وسيارة واحدة.. لرئيس الوزراء المنتخب: يُسلّم مفاتيحها له رئيسُ الوزراء الأسبق.. في مراسم على الهواء مباشرة وتحت أنظار التاكامونديين.

ليس في تاكاموندو.. تعدّد زوجات: سوى أن الملك قد تزوّج مثلي.. مرّتين: و سأقنعه حين أصير تاكاموندياً: بأن الثالثة.. ثابتة: و بأننا مابرحنا الخمسين من العمر سوى.. إلى الحكمةِ والخبرةِ الزوجية: وإلى بعضِ الميش في الشَعر.

ليس في تاكاموندو.. معارضة: سوى معارضةٍ حمراءَ شيوعية: غذّاها الصينيون الحمر في لعبة شدّ الحبل الدولية مع الرأسمالية: والاقليمية مع جارتها اللدود: الهند.

ثم جاء ملك تاكاموندي جديد: و مع مجيئه.. تحوّلت الصين من بلدٍ شيوعي إلى بلد رأسمالي تحت الراية الشيوعية: فنسي التنين الصيني توقه للزحف إلى سفوح الهيملايا: واكتفت الصين بتصنيع ملايين التنانين البلاستيكية وتصديرها الى الناس.. تتلوى وتغني وتتوهج بالاضواء الملونة: و تبتسم مثل ماوتسي تونغ.. من غير أن تأكل طفلك الصيني الوحيد.

استطاع الملك الشاب: أن يُقنع بعضَ مُعارضيه الحمر بدخول العصر الليبرالي من خلال انتخابات برلمانيةٍ حرّةٍ وتعددية: بدلاً عن أساليب العنف الثوري العتيقة التي لم تعُد موضةَ العصر: وتعّهدت جلالته الملكية التاكاموندية بأن تُعيِّن رئيساً للوزراء بمرسوم ملكي: ولكن.. بعد أن يختاره الحزب الفائز في الانتخابات: هكذا.. صار للحزب الملكي الذي كان وحيداً في الساحة.. مُنافسٌ آخر.. فاستنفر للإنتخابات بحملة شعواء شعارها: نحن.. نحبّ الملك: وردّ عليه الحزب المنافس بشعار مضاد وحاسم: نحن.. نحبّ الملك أكثر.

لهذا اخترت تاكاموندو.. بلداً للعيش!!.

مشروع تخرج

بناة المستقبل
2014

بناة المستقبل
السنة الأولى